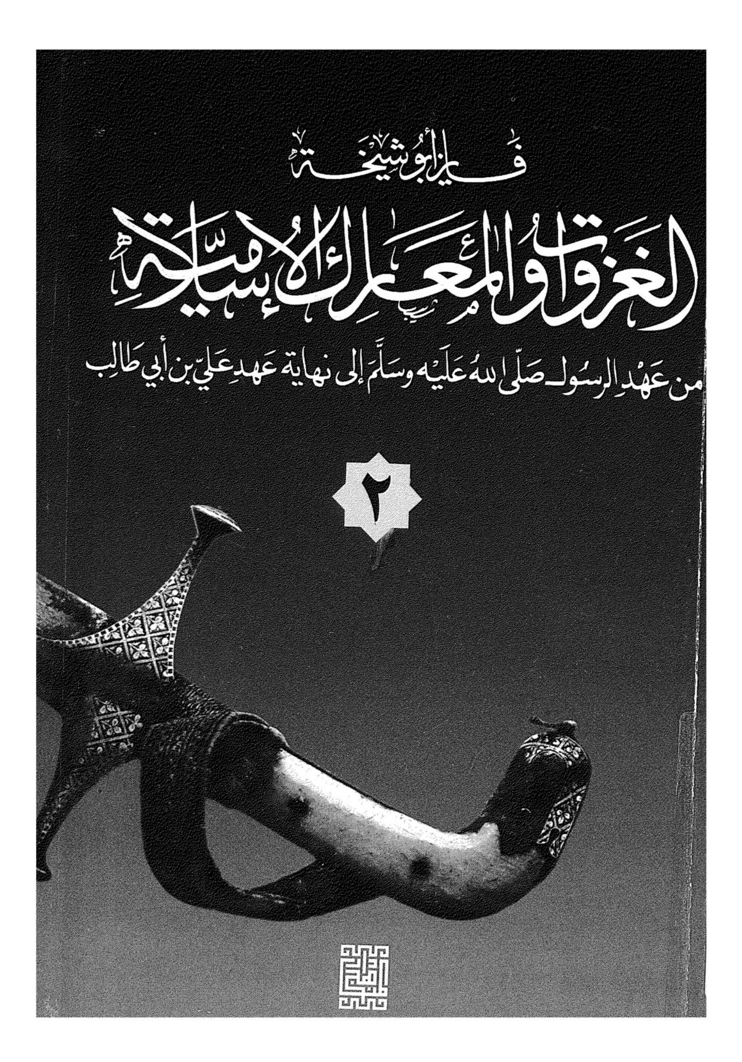

فايز أبو شيخة
الغزوات والمعارك الإسلامية
من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نهاية عهد علي بن أبي طالب
٢


الغزوات والمعارك الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإجازة ١٠١١ / ٩ / ٩٧

رقم الإيداع ١٢٤٧ / ٩ / ٩٧

فايز أبو شيخة

الغزوات والمعارك الإسلامية

من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نهاية عهد علي بن أبي طالب



الباب الأول

عهد الخليفة عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

الباب الثاني

عهد الخليفة عثمان بن عفان

رضي الله عنه

الباب الثالث

عهد الخليفة علي بن أبي طالب

رضي الله عنه



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



دار المناهج
للنشر والتوزيع
تلفون ٦٥٠٦٢٤ فاكس ٦٥٠٦٢٤
ص . ب ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الأردن

المحتويات

الباب الأول

عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه

الفصل الأول

سيرته

الفصل الثاني

الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الباب الثاني

عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي ا لله عنه

الفصل الأول

سيرته

الفصل الثاني

الفتوحات في عهد عثمان رضي ا لله عنه

الباب الثالث

عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي ا لله عنه

الفصل الأول

سيرته

الفصل الثاني

المعارك في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

المقدمة

الحمد لله الذي قال ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ ، إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]

وقال ﴿ إنَّ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِن بَعْدِهِ، وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون ﴾[2]

والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ الذي هدانا إلى طريق النصر من اتبعه نجا وانتصر ومن حاد عنه هلك وخسر .

وبعد ،

فإني اقدم هذا الكتاب الغزوات والمعارك الإسلامية الذي يحوي السرايا والغزوات والفتوح التي حدثت خلال العهد الإسلامي الأول منذ عهد رسول الله ﷺ وحتى نهاية عهد الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

وقد ذكرت في بداية كل عهد نبذة موجزة جامعة عن صاحب العهد منذ ولادته وحتى وفاته أتبعتها بالسرايا والغزوات والمعارك مرتبة حسب تسلسل وقوعها نتيجة لسرد الأحداث.

والكتاب مقسم إلى جزئين :

١- الجزء الأول : العهد النبوي وعهد الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه.

٢- الجزء الثاني : عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

---

(١) - الحج : ٤٠.

(٢) - آل عمران ١٦٠.

وفي هذه الأجزاء حرصت على أن يكون ما تحتويه من شرح هو المجريات العلمية للأحداث كحقائق سردتها دون إضافة أي تعليقات ذكرت عنها حتى لا يدخل القارئ في تفاصيل طويلة قد يكون في غنى عنها .

كما أبرزت ما حدث في بعض المعارك من قصص لها مغزى ديني وأخلاقي يشد المسلم إلى تاريخه وما فيه من قيم حري به أن يهتم بها .

أما بالنسبة لتاريخ وقوعها فهناك خلاف بين المراجع المتعددة بالنسبة لبعض الغزوات . وبما أن الهدف هو إظهار هذه الأحداث التاريخية وإظهار الدور الذي قام به المسلمون لنشر هذا الدين وليس المقصود السرد التاريخي وتحقيق الوقائع.

فإننا نرجو المعذرة إن ذكرت غزوة أو سرية أو معركة قبل الأخرى .

إن نظرة عامة على هذه المعارك التي خاضها المسلمون الأوائل نجد أن هدفها هو نشر الدعوة الإسلامية وتحرير الشعوب من ظلم الحكام واستبدادهم ولإعادتهم إلى طريق الحق الذي جاء به محمد ﷺ و لم يكن انتشارهم للعدوان وحب السيطرة.

إن انطلاقهم في الأرض كان بوحي من دينهم ووازع من عقيدتهم التي افنوا حياتهم في سبيلها وتحملوا حر الشمس وسياط الجلادين وقسوتهم حتى استطاعوا بعون من الله أن يهزموا أكبر دولتين في ذلك الوقت وهما دولتا الفرس والروم.

إن في قصصهم لعبرة للمؤمنين وسيرة يشمخ لذكرها المسلمون وعليهم أن يقتدوا بهم ويسيروا على هداهم ولا تغرنهم الحضارة الغربية الزائفة التي سماها المفكر الفرنسي المسلم جارودي "حضارة الانتحار" لأنها تحمل في طياتها جرثومة انهيارها وعليهم ألا ينبهروا بزخارفها بل يأخذوا النظريات العلمية والعملية والصناعية ويطبقوها بما لا يتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف الذي حث على العلم والمعرفة بقوله جل وعلا ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[1]

---

(1) – طه : ١١٤.

هذا ما يسر الله لي انجازه مقرا بالفضل الكامل لما جاء في هذا الكتاب لأصحاب المراجع التي اخذت منها هذه الغزوات والمعارك حيث يسروا لي الاستفادة من علمهم وكذلك الأخوة الذين تفضلوا رغم مشاغلهم العديدة بمراجعة محتويات أجزاء الكتاب حتى ظهر بهذه الصورة . فجزاهم الله جميعا خير الجزاء .

وإذا كان في العمر بقية فسوف تتبع هذا الكتاب إن شاء الله بأجزاء متتالية نضمنها ما وقع من معارك وفتوحات في الخلافتين الأموية والعباسية وما بعدهما سائلا المولى عز وعلا التوفيق لاختيار ما ينفع ويفيد ويحقق الغاية من اعداد هذا الكتاب آملا المعذرة إن كان فيه ما جانب الصواب .

وحسبي من ذلك أنني أردت بعملي هذا وجه الله وإبراز حقائق الجهاد الإسلامي ليعلم أبناء المسلمين الجهد الذي بذله اسلافهم للتمسك بعقيدتهم والاعتزاز بكرامتهم .

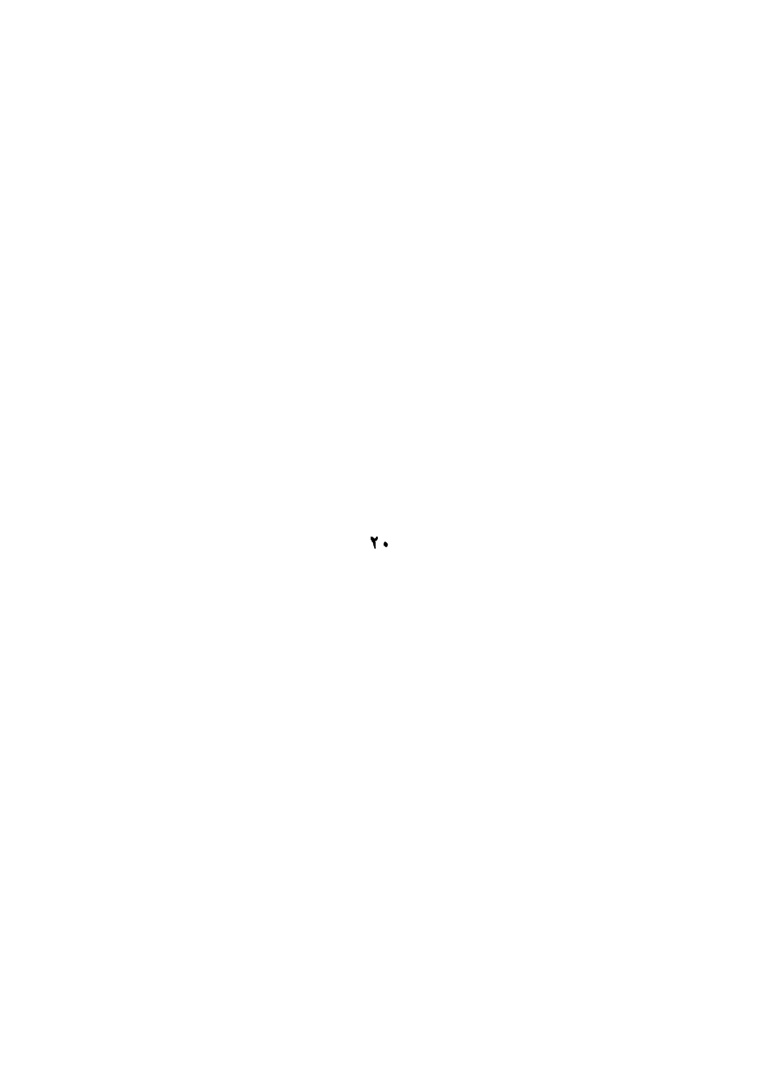
وفق الله أمة الإسلام وهيأ لها اسباب عودتها لدينها وحقق لها النصر والعزة إنه نعم المولى ونعم النصير.

فايز موسى ابو شيخة

الكويت


١٨

الباب الأول
عهد الخليفة عمر بن الخطاب
الفصل الأول
سيرته
الفصل الثاني
الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه



٢٠

الباب الأول

عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه

الفصل الأول

سيرته

نسبه

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبدالعُزّى بن رباح بن عبدا لله بن قُـرْط بـن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي[1] .

يجتمع بالنبي صلى ا لله عليه وسلم في الجد السابع "كعب بن لؤي".

وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدا لله بن عمر بن مخزوم.[2]

صفته

كان عمر رضي ا لله عنه رجلا أبيضاً أمهقاً ، تعلوه حمرة طوال، أشيب، أصلع، سبلته كبيرة في أطرافها صهبة[3] .

وعن سلمة بن الأكوع قال:" كان عمر رجل أعسر يَسَر – يعني يعتمد بيديه جميعاً – "

وعن خالد بن أبي بكر قال : كان عمر يصفر لحيته ويرجّل رأسه بالحِنّاء.[4]

---

(١) – تاريخ الطبري ٤/١٩٥.

(٢) – تاريخ الطبري ٤/١٩٥.

(٣) – السبلة : طرف الشارب، والصهبة: سواد في حمرة.

(٤) – الطبري ٤/١٩٦.

مولده

ولد عمر رضي الله عنه قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين (رواية أسامة ابن زيد عن أبيه عن جده)[1].

وذكر أنه ولد لثلاث عشرة سنة خلت من ميلاد رسول الله ﷺ[2] .

صباه وشبابه

كان عمر في صغره يرعى غنم أبيه ويضم إليهن غنيمات لخالات له، ولما كَبُرَ اشتغل بالتجارة يذهب بها إلى الشام، وبقيت هذه حرفته إلى أن وُلِّيَ الخلافة . كان في أهله عزيز الجانب محترماً بين قومه.

عمر في الجاهلية

تربى عمر رضي الله عنه على الشهامة والنجدة وكان من أشراف قريش وساداتها وإليه كانت سفارة قريش فهو سفيرهم إذا نشبت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم، وهو المُفاخِرُ والمُنافِرُ عنهم إذا فاخرهم احد أو نافرهم .

أسماء نِسائِه وَوِلْدِهِ

تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب، فولدت له عبدالله وعبدالرحمن الأكبر وحفصة .

وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية، فولدت له عبيد الله بن عمر. وذُكِرَ أنّ زيداً الأصغر وعبيدالله كانت أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب .

وتزوج قُرَيبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية .

---

(١) – المرجع السابق ١٩٧/٤.

(٢) – محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية / محمد الخضري ١٩٧/١.

وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، فولدت له فاطمة .

وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فولدت له عاصماً فطلقها

وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فولدت له زيداً ورقيّة .

وتزوج لهيبة ، امرأةٌ من اليمن، فولدت له عبدالرحمن .

وتزوج فكيهة، فولدت له زينب.

وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل (١) .

دعاء الرسول ﷺ أن يُعِزَّ الله الإسلام بعمر

كان رسول الله ﷺ في مبدأ أمره يتمنى أن يكون له بين المسلمين رجلٌ له عزٌ وشرفٌ وصدقٌ وعزيمةٌ يَكُفُّ عنهم أذى المشركين، ولذلك سأل الله قائلا:"**اللهم أعِز الإسلام بأحبِّ هذين الرجلين إليك ، بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام**". أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود وأنس رضي الله عنهم (٢) .

وذكر الحاكم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال :" اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة ". أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق وفي الكبير من حديث ثوبان (٣) . وكان أنِ استجاب الله له في عمر . فأسلم بعد خروج مُهاجرة الحبشة .

(١) – الطبري ١٩٩/٤.

(٢) – تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٩.

(٣) – المرجع السابق .

إسلامه

كانت أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما وكانا يخفيان اسلامهما خوفاً من عمر وكانت قريش تسعى لقتل محمد ﷺ ، فلما استعد عمر بن الخطاب لتنفيذ هذا الأمر ، خرج في يومٍ شديدِ الحرّ متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه فيهم أبو بكر وعلي وحمزة رضي الله عنهم في رجالٍ من المسلمين ممن أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج إلى الحبشة. وذكروا له أنهم كانوا مجتمعين في دار الأرقم أسفل الصفا .

وبينما هو في الطريق لقيه رجل من قريش (قيل إنه نعيم بن عبدالله النحام وقيل إنه سعد بن أبي وقاص) فقال له:

أين تريد يا عمر ؟

قال : أريد هذا الصابئُ الذي فَرّقَ أمْرَ قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها، وسبّ آلهتها، فأقتله.

فقال له : إنّ هذا الأمر قد دخل في بيتك. قال له : وماذاك .

قال : ختنك [1] وابن عمك وأختك قد أسلموا .

فمشى عمر مغضباً حتى أتاهما ، وعندهما خباب بن الأرت وكان يأتيهما فيعلمهما القرآن . فلما قَرع الباب قالوا : من هذا؟ قال: ابن الخطاب، - وكانوا يقرأون كتاباً في أيديهم - فلما سمعوا حسّ عمر قاموا مبادرين فاختبأوا ونسوا الصحيفة على حالها ، فلما رأته أخته عرفت الشر في وجهه فخبأت الصحيفة تحت فخذها.

فلما دخل قال : ما هذه الهينمة [2] التي سمعتها عندكم ؟ (وكانوا يقرأون سورة طه) فقالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبوتما ، فقال له

---

(١) - ختنه : زوج أخته .

(٢) - الهينمة : الصوت الخفي .

ختنه : أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ، فوثب عمر على ختنه سعيد وبطش بلحيته فتواثبا، وكان عمر قوياً شديداً فضرب بسعيد الأرض ووطِئَهُ وطئاً ثم جلس على صدره ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحةً بيده فأدمى وجهها فقالت وهي غضبى : يا عدو الله ، أتضربني على أني أوّحِدُ الله ؟ قال: نعم، قالت: ما كنتَ فاعلاً فافعل، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، لقد أسلمنا على رغم أنفك، فلما سمعها عمر ندم وقام عن زوجها ، فقعد ناحية ثم قال: أعطوني هذه الصحيفة التي عندكم فأقرأُها - وكان عمر يقرأ الكتب - فقالت أخته: لا أفعل ، قال : ويحك قد وقع في قلبي ما قلت فأعطنيها أنظر إليها ، فقالت له : إنك نجسٌ ولا يمسه إلا المطهرون .

فاغتسلَ أو توضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى : ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إله إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ (1) فقال عمر : دلّوني على محمد .

فلما سمع خبّاب قول عمر خرج فقال : ابشر يا عمر ، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس : " **اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام** " قد استُجيبَتْ .

فقال عمر : دلوني على مكان رسول الله، فلما عرفوا منه الصدق قالوا : هو في أسفل الصفا.

فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس ، فقال حمزة : هذا عمر ، إن يرد الله به خيراً يُسلم وإنْ يُرد غير ذلك يكن قَتلُهُ علينا هيّناً .

ففتحوا له .. وأدخلوه على رسول الله ﷺ ، فنهض ﷺ وأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ، فقال : " **ما أنت بمُنتهٍ يا عمر حتى يُنزل الله بك من الخزي**

---

(1) - طه ١٤.

والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم اهـدِ قلبـه" فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وأنّكَ عبدا لله ورسوله .

فَكَبر المسلمون تكبيرةً سُمعت بفجاج مكة .

وكان إسلام عمر في السنة السادسة من النبوة ، بعد إسلام حمزة رضي الله عنه بثلاثة أيام في ذي الحجة . وكان عدد المسلمين يوم أسلم تسعةٌ وثلاثون رجلاً فَكَمَّلَهُم أربعين ورُويَ أنهم كانوا أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأةً ..

قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أيّ أهل مكة أشدُّ لرسول الله ﷺ عداوةً حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت ، قال : قلت: أبو جهل .

فأقبلت حين أصبحتُ حتى ضربت عليه بابه . قال: فخرج إليّ أبو جهل فقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأخبرك أني قد آمنت با لله وبرسوله محمد ، وصدّقت بما جاء به.

قال : فضرب الباب في وجهي وقال : قَبّحك الله وقبّح ما جئت به .(١)

تسميته بالفاروق

لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دار الأرقم كبّر المسلمون تكبيرةً سمعها أَهْلُ مكة، ثم قال عمر : يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال : بلى ، قال: ففيمَ الإخفاء ؟ قال: فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إليّ وإلى حمزة ، فأصابها كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ " **الفاروق** " يومئذ لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل .(٢)

---

(١) – تهذيب سيرة ابن هشام ، عبدالسلام هارون ٨٢.

(٢) – تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٤.

هجرته إلى المدينة

هاجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مكة إلى المدينة كما هاجر غيره من المسلمين، لكنه اختلف عنهم في أنه هاجر علناً على مرأىً من رجالات قريش دون خوفٍ أو رهبةٍ مستعداً للدفاع عن نفسه .

وقد أخرج ابن عساكر عن عليّ قال : ما علمتُ أحداً هاجر إلاّ متخفياً إلاّ عمر بن الخطاب ، فإنه لما هَمَّ بالهجرة تقلّد سيفه وتنكّب قوسه [١] وانتضى[٢] في يده أسهماً وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها ، فطاف سبعاً، ثم صلّى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال : شاهت الوجوه [٣] ، من أراد أن تثكله أمه[٤] ويُيتم ولدُه وتُرمّل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد.[٥]

وأخرج عن البراء رضي الله عنه قال : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ، ثم ابن أم مكتوم ، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً فقلنا: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال: هو على أثري ، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه.[٦]

استخلافه

ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة بعهدٍ من أبي بكر الصديق رضي الله عنه في جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشرة للهجرة، وقد ذكرنا قصة استخلافه من قِبَلِ الخليفة أبي بكر رضي الله عنه وهو في مرضه الأخير، وتأكيده ذلك بأن أطل على

---

(١) – تنكب قوسه : وضعها في منكبه .

(٢) – انتضى السهم : أخرجه من الكنانة فجعله في يده .

(٣) – شاهت الوجوه : قبحت .

(٤) – تثكله أمه : تفقده .

(٥) – تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٥ ، ١١٦.

(٦) – المرجع السابق .

المسلمين في المسجد من كوته وطلب منهم أن يسمعوا لـه ويطيعـوا .. فأجـابوا سمعنـا وأطعنا ..

وصية أبو بكر لعمر رضي ا لله عنهما

ثم إن أبا بكر رضي ا لله عنه دعاه وأوصاه بوصية قال فيها : إني مستخلفك من بعدي ، وموصيك بتقوى ا لله ، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تُقبل نافلةٌ حتى تُؤدى الفريضة، فإنما ثَقُلَتْ موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحقٌ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خَفّتْ موازين من خَفّتْ موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخِفّتِهِ عليهم ، وحقٌ لميزان لا يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا .

إن ا لله عز وجل ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف ألا أكون من هؤلاء .

وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ولم يذكر حسناتهم فـإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو الا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً، ولا يتمنى على ا لله غير الحق ، ولا يُلقي بيده إلى التهلكة .

فإذا حَفِظْتَ وصيتي ، فلا يكن غائبٌ أحب إليك من الموت وهو آتيك، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائبٌ أبغض إليك من الموت ، ولست بمعجز ا لله.

يا ابن الخطاب إني استخلفتك نظراً لما خلّفتَ ورائي وقد صحبتُ رسول ا لله ﷺ ، فرأيت من آثرته أنفسُنا على نفسه ، وأهلُنا على أهله حتى إن كنا لنظل نهدي إلى أهله من فضول ما يأتينا عنه، وقد صحبتني فرأيتني إنما اتبعت سبيل من كان قبلي، وا لله ما نمت فحلمت ولا توهمتُ فسهوتُ، وإني لعلى السبيل ما زُغت وإنّ أول ما احذرك يا عمر نفسك، إنّ لكل نفس شهوةً فإذا أعطيتها تمادت في غيرها، واحذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول ا لله ﷺ الذين قد انتفخت أجوافهم وطمحت

أبصارهم وأحبَّ كلّ امرئٍ منهم لنفسه ، وان لهم لحيرة عند زلة واحد منهم فاياك أن تكونه، واعلم انهم لن يزالوا منك خائفين ما خِفْتَ ا لله ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك.

هذه وصيتي واقرأ عليك السلام .

بعد أن فرغ عمر من دفن أبي بكر وكان ذلك بعد منتصف الليل من مساء الاثنين لاحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة للسنة الثالثة عشرة للهجرة، عاد إلى منزله يفكر فيما ألقى عليه من مسؤوليات.

فلما أصبح خرج إلى الناس بالمسجد فأقبلوا على بيعته .

فلما كان الظهر واجتمع الناس للصلاة صعد عمر المنبر درجة دون الدرجة التي كان يقوم أبو بكر عليها ، فحمد ا لله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وذكر أبا بكر وفضله ، ثم قال: " ايها الناس ! ما أنا إلا رجل منكم ، ولولا أني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول ا لله ما تقلدت أمركم.

ثم توجه إلى السماء وقال : اللهم إني غليظٌ فليِّني ! اللهم إني ضعيفٌ فقوِّني! اللهم إني بخيلٌ فسخِّني .

منهاجه في الحكم

أحس عمر قوله في وجوه الناس ، وآنس منهم رعباً فصعد المنبر فقال:" بلغني أن الناس هابوا شِدتي ، وخافوا غلظتي وقالوا : قد كان عمر يشتد علينا ورسول ا لله ﷺ بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟ ومن قال ذلك فقد صدق . فقد كنت مع رسول ا لله ﷺ فكنت عبده وخادمه، وكان من لا يبلغُ أحدٌ صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال ا لله : ﴿ بِالْمُؤمِنِينَ رَؤوفًا رَحِيْمًا ﴾ فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يُغمدني أو يدعني فأمضي .

فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً ، وأنا به أسعد .

ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر فكان من لا ينكرون دعته وكرمه ولينه فكنت خادمه وعونه، اخلط شدتي بلينه ، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يُغمدني أو يدعني فأمضي.

فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راضٍ والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد.

ثم إني قد وُليت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، ولست أدعُ أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خدّه على الأرض وأضع قدمي على الخدّ الآخر حتى يذعن بالحق، وإني بعد شدتي تلك أضع خدّي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف .

ولكم عليّ أيها الناس خصالٌ أذكرها لكم فخذوني بها : لكم عليّ أن لا أجتبي شيئاً من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألاّ يخرج مني إلاّ في حقّهِ ولكم عليّ أن ازيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم . ولكم عليّ ألا أُلقيكم في المهالك ولا أجمركم[1] في ثغوركم وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا اليهم .

فاتقوا الله عباد الله ! وأعينوني على أنفسكم بكفّها عني وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما وَلانِي الله من أمركم.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم" .

---

(١) – جمر الجنود : حبسهم في أرض العدو .

تسميته أمير المؤمنين

كان يقال لأبي بكر: خليفة رسول الله ، فلما استخلف عمر قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله، فقال المسلمون : فمن جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة خليفة رسول الله فيطول هذا ، ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة يُدعى به مِنْ بعده الخلفاء .

فبعث إليه عامل العراق لبيد بن ربيعة العامري وعدي بن حاتم الطائي، فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا المسجد، فإذا هما بعمرو بن العاص فقالا له : استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه، نحن المؤمنون وهو أميرنا .. فوثب فدخل على عمر ، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم ؟ قال : إنّ لبيداً بن ربيعة وعديّ بن حاتم قدما فأناخا وقالا لي : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فهما والله أصابا اسمك، أنت الأمير ونحن المؤمنون. فجرى الكتاب بذلك (1) .

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى البخاري في صحيحه(2) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال : بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فوليت مُدْبِراً، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟.

وعن حمزة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : " بينا أنا نائمٌ شربتُ - يعني اللبن - حتى أنظر إلى الرِّيّ يجري في ظفري - أو في أظفاري - ثم ناولتُ عمر، قالوا: فما أوّلْتَهُ يا رسول الله ؟ قال : العلم.

---

(1) - أخبار عمر .

(2) - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر - باب مناقب عمر بن الخطاب ٧/٤٠.

وعن عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أن النبي ﷺ قـال : " أُريتُ في المنام أني أنزع بدلو بكرة [1] على قليب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفـا وا لله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربـاً، فلـم أرَ عبقريـاً يفـري فريـه حتى رُوي الناس وضربوا بعطن "

وعن قيس قال : قال عبدا لله: " ما زلنا أَعِزَّةً منذ أسلم عمر. وعـن أنـس بـن مالك رضي ا لله عنه قال : " صعـد النبـي ﷺ أُحـداً ومعـه أبـو بكـر وعمـر وعثمـان فرجف بهم، فضربـه برجلـه وقـال : اثبـت أُحـد ، فمـا عليـك إلا نـبيّ أو صدِّيـق أو شهيدان "

وعن أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: قـال رسـول ا لله ﷺ : لقد كـان فيمـا قبلكم من الأمم ناس محدَّثون ، فإن يكُ في أمتي أَحَدٌ فإنه عمر "

وعـن أبـي سـعيد الخـدري رضـي ا لله عنــه قـال: سمعـت رسـول ا لله ﷺ يقول: "بينا أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليّ وعليهـم قمُصٌ فمنهـا مـا يبلـغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعُرض عليّ عمر وعليه قميصٌ اجترَّه . قـالوا : فمـا أَوَّلْتَهُ يا رسول ا لله ؟ قال : الدِّين "[2] .

وعن أبي موسى رضي ا لله عنـه قال: " كنـت مـع النبـي ﷺ في حـائط مـن حيطان المدينة فجاء رجلٌ فاستفتح ، فقال النبي ﷺ : افتح له وبشِّره بالجنة ، ففتحـت له فإذا هو عمر ، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد ا لله ثم قـال: ا لله المستعان"[3]

---

(1) – البكرة: الأنثى من الابل وهي الشابة ، المرجع السابق ٤٦/٧ ويقصد الدلو التي يسقى بها .

(2) – المرجع السابق ٤٣/٧.

(3) – المرجع السابق ٤٣/٧.

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ :" يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قط إلا سلك فجاً غير فجّك"[1]

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب . إسناده صحيح .[2]

موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه موافقات وآراء تنزلت بها آيات الله سبحانه وتعالى، نذكر منها :

قال عمر : وافقتُ ربّي في ثلاثٍ : في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر.

في مقام إبراهيم

ففي موافقته في مقام إبراهيم، قال عمر : يا رسول الله أليس هذا مقام إبراهيم أبينا ؟ قال: بلى . قال عمر : فلو اتخذته مُصلّى .

فأنزل الله تعالى :﴿ **وَاتَخَذُوا مِن مَقَامِ ابْرَاهِيم مُصلًى** ﴾ [3]

موافقته في الحجاب

كان أزواجُ النبي ﷺ يخرجن ليلاً إلى - ليل قبل المناصع - (وهو صعيد أفيح خارج المدينة) فخرجت سودة بنت زمعة (وكانت امرأةً طويلةً) فرآها عمر وهو في المجلس فقال : عرفناك يا سودة ! حرصا على أن تُنزل الحجاب . قالت : فأنزل الله

---

(١) - الفج : الطريق ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٧.

(٢) - المرجع السابق ١١٥.

(٣) - البقرة : ١٢٥.

عز وجل آية الحجاب، (وفي رواية) قال عمر : قلت يا رسول الله لو أمرتَ نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البرّ والفاجر . فنزلت آية الحجاب .

موافقته في تحريم الخمر

عن أبي ميسرة قال : إنّ عمر كان حريصاً على تحريم الخمر فكان يقول: اللهم بيّن لنا في الخمر فإنها تُذهِبُ المالَ والعقلَ ، فنزل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (1) فدعا رسولُ الله ﷺ عمر فتلاها عليه .

فقال عمر : اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً . فنزلت الآية في سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُم سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُون﴾(2) فدعا رسول الله ﷺ عمر فتلاها عليه .

فقال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً . فنزلت الآية التي في المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ ﴾(3) فدعا رسول الله ﷺ عمر فتلاها عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(4) قال عمر : انتهينا يا رب انتهينا .

موافقته في ترك الصلاة على المنافقين

قال عمر : لما توفي عبدالله بن أُبي، دُعي رسولُ الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وَقَفَ عليه يُريد الصلاةَ تَحولتُ حتى قمتُ في صدره فقلت : يا رسول الله أعلى عدو الله عبدالله بن أُبي القائل يوم كذا : كذا وكذا ، والقائل يوم كذا : كذا وكذا أعدد أيامه الخبيثة ورسول الله ﷺ يبتسم حتى إذا أكثرت عليه قال : أخّر

---

(1) – البقرة : ٢١٩.

(2) – النساء : ٤٣.

(3) – المائدة : ٩٠.

(4) – المائدة : ٩١.

عني يا عمر ، إني خُيِّرتُ فاخترت ، قد قيل لي: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُم أَوْ لاَ تَسْتَغْفِر لَهُم إن تَسْتَغْفِر لَهُم سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ا للهُ لَهُم** ﴾ (١) فلو أعلم أني لو زدت على السبعين غُفِرَ له زدت ، ثم صلّى عليه ومشى معه ، فقام على قبره حتى فرغ منه.

فعجبت لي ولجرأتي على رسول ا لله وا لله ورسوله أعلم فوا لله ما كان إلاّ يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ **وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ** ﴾ (٢)

فما صلّى رسول ا لله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه ا لله عز وجل.(٣)

موافقته في الاستئذان

عن ابن عباس : ارسل النبي ﷺ غلاماً من الأنصار إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل عليه وكان نائماً وقد انكشف بعض جسده فقال : اللهم حَرِّم الدخول علينا في وقت نومنا . (وفي رواية) قال : يا رسول ا لله وددتُ لو أن ا لله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان فنزلت : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا ليسْتَأذِنكُم الَّذِين مَلَكَت أَيْمَانكُم والَّذِينَ لَم يَبلُغُوا الحلُم مِنْكُم ثَلاثَ مَرات مِنْ قَبلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُم مِنَ الظهِيرة ، وَمِن بَعْدِ صَلاةِ العِشاء** ﴾ (٤) .

من كراماته وفراسته

وجّه عمر جيشاً ورأس عليهم رجلاً يدعى سارية ، فبينما كان عمر يخطب الجمعة جعل ينادي : يا سارية الجبل ، ثلاثاً . ثم لما قدم رسول الجيش ، فسأله عمر، فقال : يا أمير المؤمنين هُزمنا فبينا نحن كذلك إذا سمعنا صوتا ينادي : يا سارية الجبل،

---

(١) التوبة : ٨٠.

(٢) – التوبه : ٨٤.

(٣) – صحيح مسلم ١١٦/٧ – أخبار عمر ٣٨١.

(٤) – الرياض النضرة ٢٠٦/١.

ثلاثا ، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل ، فهزمهم الله ، قال : قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك، وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم.

وقال عمر لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة ، قال: ابن من ؟ قال : ابن شهاب، قال : ممن ؟ قال : من الحرقة ، قال: أين مسكنك ؟ قال: الحرة ، قال: بأيها ؟ قال: بذات لظى ، فقال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا. فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا.

منهاجه في اختياره للولاه

كان عمر رضي الله عنه يهتم بتعيين الولاة ويختار لرعيته الأتقياء، الأقوياء، العلماء ، الزُهّاد ، العبّاد .

فكان إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار ، واشترط عليه ألاّ يركب برذوناً ولا يأكل نقيا ، ولا يلبس رقيقاً، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس (١) .

قال لأصحابه يوما : دلوني على رجلٍ أستعمله على أمرٍ قد أهمني، قالوا: فلان، قال: لا حاجة لنا فيه ، قالوا فمن تريد ؟ قال : أريد رجلا إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم .

قالوا : ما نعرف هذه الصفة إلا في الربيع بن زياد الحارثي، قال : صدقتم. فولاه .(٢)

لا يولي من لا يرحم

أمر عمر رضي الله عنه بكتابة عهد لرجل قد ولاّه فبينما الكاتب يكتب جاء صبي فجلس في حجر عمر فلاطفه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لي عشرة أولاد مثله ما دنا أحد منهم مني .

---

(١) - الطبري ٢٠٧/٤.

(٢) - أخبار عمر ، علي الطنطاوي ١٦٥.

قال عمر : فما ذنبي إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، ثم قال : مزّق الكتاب فإنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية [١] .

لا يفرق بين الوالي والرعية

وذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتي بمالٍ فجعل يُقَسِّمُه بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يُزاحم الناس حتى خلص إليه فعلاه بالدرّة، وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك .[٢]

مواقف من سيرته مع الرعية

١- يطعم الناس ويجوع إذا جاعوا

قال مالك بن أوس : لما كان عام الرمادة قدم على عمر قومي (بني النضير) وهم مئة بيت فنزلوا بالجبانة ، فكان عمر يطعم الناس ، من جاءه ومن لم يأت أرسل اليه بالدقيق والتمر والأدم إلى منزله، فكان يرسل إلى قومي بما يصلحهم شهراً بشهرٍ، وكان يتعاهد مرضاهم وأكفان من مات منهم، ولقد رأيت الموت وقع فيهم حتى أكلوا التفل.

وكان عمر رضي الله عنه يأتي بنفسه فيصلي عليهم ، لقد رأيته صلى على عشرة جميعا ، فلما أحيوا قال: اخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية فجعل عمر يحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم.[٣]

(١) - أخبار عمر ، علي الطنطاوي ١٦٥.

(٢) - الطبري ٢١٢/٤.

(٣) - أخبار عمر ، علي الطنطاوي ١٤٤.

وذُكر أنه أُتي له بخبزٍ مفتوت بسمن عـام الرّمـادة فدعـا رجـلاً بدويـاً فجعـل يأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللقمةِ الوَدَكَ (الدسم) في جانب الصفحة، فقـال لـه عمر : كأنك مقفر من الوَدَكِ ؟ فقال : أجل ، ما أكلت سمناً ولا زيتاً ولا رأيت آكـلاً له منذ كذا وكذا الى اليوم ، فحلف عمر لا يذوق سمنـا ولا لحمـا حتـى يحيى النـاس فكان بذلك حتى أحيا الناس (أي أخصبوا)[1]

وعن أنس قال: تقرقَر بطن عمر بن الخطاب عام الرمادة ، وكان يأكل الزيت - وكان قد حرم على نفسه السمن - فنقر بطنه بإصبعيه وقال: تقرقر، إنه ليـس لـك عندنا غيره حتى يحيى الناس !.

٢- يحمل الدقيق ويطبخ

عن أسلم قال : خرجنا مع عمـر بـن الخطـاب إلى حـرة واقـم حتـى إذا كنـا بصرار، إذا نارٍ تُؤَرَّث (أي تُشعل) قال: يا أسلم إني أرى ها هنا ركبانـاً قصّـر بهـم الليل والبرد ، انطلق بنا .

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا امرأة معها صبيان وقِدْرٌ منصوبةٌ علـى نارٍ وصبيانها يتضاغون (أي يتصايحون)، فقال عمر : السلام عليكم يا أهل الضـوء. وكره أن يقول يا أصحاب النار. فقالت : وعليكم السلام . فقـال : أأدنـو ؟ فقـالت: ادن بخيرٍ أو دَعْ . فدنا منها فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد. قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضـاغون ؟. قـالت : الجـوع . قـال: وأي شـيء في هـذا القـدر ؟ قالت: ماءٌ أُسْكتهم به حتى يناموا ، والله بيننا وبـين عمـر . فقـال : أي رحمـك الله، وما يدري عمر بكم ؟ قالت : يتولى أمرنا ، ثم يغفل عنا . فأقبل عليّ ، فقال: انطلـق بنا . فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيـق، فـأخرج عـدلا مـن دقيـق ، وكبـه شـحم وقال: احمله عليّ. قلت : أنا أحمله عنك. قـال: أنـت تحمـل وزري يـوم القيامـة لا أمّ

---

[1] - المرجع السابق ١٤٦.

لك! . فحملته عليه ، فـانطلق ، وانطلقـت معـه إليهـا نهـرول ، فـألقى ذلـك عندهـا وأخرج من الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها : ذرّي عليّ أنا أحرّ لك (يعني أحرك لـك). وجعل ينفخ تحت القدر فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم. ثم أنزلهـا وقال: أبغيني شيئاً ، فأتته بصحفـةٍ فأفرغهـا فيهـا، فجعـل يقـول لهـا : أطعميهـم وأنـا أسطح لهم (أي ابسطه حتى يبرد).

فلم يزل حتى شبعوا، وترك عندهـا فضـل ذلـك وقـام وقمـت معـه فجعلـت تقول: جزاك الله خيراً ، كُنتَ بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين فيقول: قولي خيراً، إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله . ثـم تنحـى ناحيـةً عنهـا، ثـم استقبلها فربض مربضاً ، فقلت لـه: لـك شـأن غـير هـذا ؟، فـلا يكلمـني حتـى رأيـت الصبيـة يصطرعون، ثم ناموا، وهدءوا فقام يحمد الله، ثم أقبل عليّ فقال: يا أسلم، إن الجـوع أسهرهم وأبكاهم فأحببتُ أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت.[1]

٣- عمر وزوجته يخدمان امرأةً

وبينما عمر يعُس ذات ليلةٍ ، إذ مَرَّ برحبة من رحاب المدينة ، فإذا هـو ببيـتٍ شَعْرٍ لم يكن بالأمس ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ، ورأى رجلاً قاعداً فدنا منـه فَسَـلَّمَ عليه، ثم قال: من أنت ؟ قال: رجلٌ من أهل البادية جئـتُ إلى أمـير المؤمنـين أصيـب من فَضْلِهِ. قال: مـا هـذا الصـوت الـذي أسمعـه في البيـت ؟ قـال: انطلـق رحمـك الله لحاجتك. قال: على ذاك ما هو . قال: امرأة تمخض . قال : هل عندها أَحَـدٌ؟ قـال: لا. فانطلق حتى أتى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت عليّ: هـل لـك في أجـر سَـاْقَهُ الله إليك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأة غريبـة تمخض ليـس عندهـا أحـدٌ. قـالت: نعم، إن شِئْتَ . قال: فخـذي معـك مـا يصلـح المرأة لولادتهـا مـن الخـرق والدهـن وجيئيني ببرمةٍ (أي: قدر) وشحم وحبوب . فجاءت به ، فقـال: انطلقـي . وحمـل

---

(١) - أخبار عمر ، علي الطنطاوي ٤٤١.

البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت. فقال لها : ادخلي على المرأة . وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له : أوقد لي ناراً . ففعل فأوقد تحت البرمه حتى انضجها، وولدت المراة فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بَشِّرْ صاحبك بغلامٍ.

فلما سمع الأعرابي بأمير المؤمنين ، كأنه هابَهُ ، فجعل يتنحى عنه فقال له: مكانك كما أنت ، فحمل البرمة فوضعها على الباب ثم قال: أشبعيها، ففعلت ، ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب ، فقام عمر فأخذها ، فوضعها بين يدي الرجل، وقال : كل ويحك فإنك سهرت من الليل . وقال لامرأته : اخرجي ، وقال للرجل إذا كان غداً فائتنا نأمر لك بما يصلحك .

فلما أصبح أتاه ففرض لابنه في الذرية وأعطاه.(١)

٤- صبر المرأة على زوجها

وبينما هو يعس بالمدينة إذْ مَرَّ بامرأةٍ من نساء العرب مُغلقةٌ عليها بابَها وهي تقول:

تطاول هذا الليل واخضل جانبه وأرّقني ان لا خليل ألاعِبُه
ألاعبه طوراً وطوراً كأنما بدا قمرٌ في ظلمةِ الليلِ حاجبُه
فوا لله لولا ا لله لا ربّ غيره لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يصدني وأكرم بَعْلي أن تُنال مراكبُه
ولكنني أخشى رقيباً موكلاً بأنفسنا لا يَفتر الدهرُ كاتبُه

ثم تنفست الصعداء وقالت : لهان على عمر بن الخطاب وحشتي وغيبة زوجي عني ، وعمرٌ واقفٌ يسمع فضرب باب الدار فقالت: من هذا الذي يأتي إلى امرأةٍ مغيبةٍ هذه الساعة؟ فقال: افتحي . فَأَبَتْ فلمّا أكثر عليها قالت : أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبكَ فلما رأى عَفافها قال: افتحي فأنا أمير المؤمنين. قالت:

---

(١) – اخبار عمر ، علي الطنطاوي ٤٢٠.

كذبتَ ما أنت أمير المؤمنين ، فرفع بها صوته وجهر بها ، فعرفت أنه هو ففتحت. فقال: هيه كيف قُلْتِ ، فأعادت عليه ما قالت. فقال: أين زوجك؟ قالت: في بَعْثِ كذا وكذا. فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرّح فلانا ، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك. ثم دخل على حفصة ابنته فقال: أي بنية كم تصير المرأة عن زوجها ؟. قالت: شهراً واثنين وثلاثة وفي الرابع ينفذ الصبرُ ، فجعل ذلك أجلاً للبعث .[1]

٥- امرأةٌ تَرُدُّ على عمر

قال عبدا لله بن مصعب : خطب عمر رضوان ا لله عليه فقال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية وإن كانت بنت ذي الفضة يعني يزيد بن الحصين الحارثي، فمن زاد أُلقيت الزيادةُ في بيت المال، فقامت امرأةٌ من صفٍّ النساء طويلةٌ، في أنفها فَطَسٌ فقالت : ما ذاك لك ! قال: ولِمَ ؟ قالت لأن ا لله تعالى يقول: ﴿وَآتَيْتُم احْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئَاً ، أَتَأْخُذُونَه بُهْتَاناً وَإِثْمَاً مُبِينَا ﴾

فقال عمر رضوان ا لله عليه : امرأةٌ أصابتْ ورجلٌ أخطأ .

٦- يسمع نصيحةَ امرأةٍ

خرج عمر بن الخطاب من المسجد والجارود العبدي معه، فبينما هما خارجان إذْ بامرأةٍ على ظهر الطريق ، فسلّم عليها عمر، فردت عليه السلام ثم قالت:

رويدك يا عمر حتى أكلمك كلماتٍ قليلة . قال لها: قولي، قالت : يا عمر ! عهدي بك وأنت تُسمّى عُميراً في سوق عكاظ تُصارع الفتيان فلم تذهب الأيام حتى سُمّيتَ عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُمّيتَ أمير المؤمنين ، فاتّقِ ا لله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت .

---

(١) المرجع السابق ٤٥٠.

فقال الجارود : هيه ، قد اجترأتِ على أمير المؤمنين . فقال عمر : دعها ، أما تعرف هذه يا جارود ؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائِهِ، فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها .[١]

٧- يُقَوِّمونَهُ إذا مَالَ

وقال حذيفة : دخلتُ على عمر فرأيته مهموماً حزيناً . فقلت له: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال : إني أخاف أن أقع في مُنكرٍ فلا ينهاني أحدٌ منكم تعظيماً لي. فقال حذيفة: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك . ففرح عمر وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقومونني إذا اعْوَجَجْتُ .

ورُوِيَ أنه قال يوما على المنبر : يا معشرَ المسلمين، ماذا تقولون لو مِلْتُ برأسي إلى الدنيا كذا (ومَيَّلَ رأسَهُ).

فقام إليه رجل فقال: أجل كنا نقول بالسيف كذا (وأشار إلى القطع). فقال: إياي تعني بقولك . قال : نعم إياك أعني بقولي . فقال عمر : رحمك الله، الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوجْتُ قَوَّمَني .[٢]

زُهدَهُ وَوَرَعَهُ

كان عمر بن الخطاب رضي الله زاهداً في الدنيا ، طَبَعَ نفسَه على الزُهد والتقشف والورع يخشى الله في كلِّ أموره .

قال أنس: دخلتُ حائطاً فسمعتُ عمر يقول – وبيني وبينه جدار – :عمر بن الخطاب أميرُ المؤمنين ! بخ ، والله لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبنّك الله.[٣]

---

(١) – اخبار عمر ، علي الطنطاوي ٤٢٠.

(٢) – مختصر منهاج القاصدين ١٣٤ ، اخبار عمر : علي الطنطاوي ٤٢٢.

(٣) – تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٩.

وقال عبدا لله بن عامر بن ربيعة : رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة ، يا ليتني لم أكُ شيئاً ، ليت أمي لم تلدني .(١)

وقال عبيد ا لله بن عمر : حمل عمر بن الخطاب قِربةً على عُنُقِهِ، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ نفسي أعجبتني فأردت أن أُذِلّها .(٢)

وقال عكرمة بن خالد وغيره: إنّ حفصة وعبدا لله وغيرهما كَلّموا عمراً فقالوا: لو أكلتَ طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق ، قال أَكُلُّكُم: على هذا الرأي؟ قالوا: نعم ، قال : قد علمتُ نُصحكم ، ولكني تركت صاحبيّ على جادّة، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل .

وأصاب الناس مجاعةٌ فما أَكَلَ عامئذ سمناً ولا سميناً .

وقال أنس : رأيت بين كَتِفَيْ عمر أربعُ رِقاعٍ في قميصه.

عَدَلْتَ فَأَمِنْتَ فَنِمْتَ

أرسل قيصر رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها ، وقال : أين مَلِكُكُم ؟ فقالوا : ما لنا مَلِكٌ ، بل لنا أميرٌ قد خرج إلى ظاهر المدينة. فخرج الرسولُ في طلبه ، فرآه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع دُرَّته كالوسادة والعَرَقُ يسقط من جبينه قد بَلّ الأرض، فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال : رجلٌ لا يقرّ للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حالته ! ولكنك يا عمر عَدَلْتَ فَأَمِنْتَ فَنِمْتَ . وَمَلِكُنا يجور فلا جرم انه لا يزال ساهراً خائفاً. أشهد أنّ دينَكَ الدين الحقُّ ، ولولا أنني أتيت رسولا لأسْلَمْتُ ، ولكن أعود وأُسْلِم .(٣)

---

(١) - المرجع السابق .

(٢) - المرج السابق .

(٣) - اخبار عمر : علي الطنطاوي ٤١٧ ، ٤١٨.

أمين الله

ولما حُملت إليه خزائن كسرى ، قال له صاحب بيت المال : ألا تُدْخِلُهُ بيتَ المال؟ قال: لا والله ولا يأوي تحت سقفي . فلما كشفوا عن الأموال رأى منظرا عظيما من الذهب والجواهر فقال: إن الذي أدّى هذا لأمين . فقالوا : أنت أمينُ الله وهم يؤدون إليك ما أدّيتَ إلى الله فإذا رَغتَ رَاغوا .

فَقَسَّمَهُ كما أمر الله في كتابه ولم يأخذْ لنفسه منه شيئاً .(١)

غَنَمُ الصدقة

وقال القاسم بن محمد : إنّ ابن الخطاب رضي الله عنه تعالى مرّت به غَنَم الصدقة . فيها شاةٌ ذاتُ ضرعٍ عظيمٍ ، فقال عمر : ما هذه ؟ قالوا : من غنم الصدقة. فقال عمر : ما أعطى هذه أهلُها وهم طائعون ، فلا تغتصبوا الناسَ ولا تأخذوا حزرات الناس – يعني خيار أموالهم – (٢) .

معاملته لاتباع الأديان الأخرى

كان عمر رضي الله عنه حريصاً على أماكن عبادة أهل الكتاب فقد رُوِيَ أنه حين دخل بيت المقدس وحضرته الصلاة في كنيسة ، لم يُصَلِّ بها حتى لا يتخذها المسلمون مسجداً من بعده فيظلموا أهلها .

وبعد عقد المعاهدة مع أهلها رأى هيكلاً قد دُفِنَ في التراب ثم علم أنه هيكلٌ لليهود طَمَرَهُ الرومان ، فتقدم منه عمر وأخذ يُزيل عنه التراب بفضل ثوبه فاتبعه المسلمون حتى أزالوا التراب عنه.

وحين اشتكى يهوديٌّ عليَّ ابنَ أبي طالب للخليفة عمر، ومكانةُ علي معروفة لدى الجميع فهو ابنُ عمِّ النبي ﷺ وزوجُ ابنتِهِ ومن السابقين في الإسلام ، ولما مثل

---

(١) – المرجع السابق .

(٢) – المرجع السابق .

الاثنان بين يديّ عمر ، نظر عمر إلى علي وقال له : قُمْ يـا أبـا الحسـن واجلـس أمـام خصمك أو قال له: ساوِ خصمك أبا الحسن . فسـاوى علـي خصمـه وجلـس أمامـه وقد بدأ التأثر على وجهه ، فلما انتهـت الخصومـة قـال عمـر : أكَرِهْـت يـا علـي أن تجلس أمام خصمك ؟ فأجابه علي: كلا ! ولكني كرهت أنّكَ لم تسوِّ بيننا حين قلت: يا أبا الحسن (يريد أن الكنية تشير إلى التعظيم).

وفي مِصْر ضرب ولدٌ لعمرو بن العاص فتىً قبطياً فأقسم الفتى لَيَشكُوَنَّهُ لأمـير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال له ما معناه : اذهب فلن ينالني ضرر مـن شـكواك فأنـا ابنُ الأكرمين . فبينما كان الخليفة عمر في موسم الحج ومعهم عمرو بن العاص وابنـه قَدِمَ هذا الرجل عليهم وقال مخاطباً عمر : يـا أمـير المؤمنـين إنّ هـذا ، وأشـار إلى ابـن عمرو – ضربني ظُلماً ، وقال: اذهب فأنا ابن الأكرمين. فنظر عمـر إلى عمـرو وقـال له: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " ثم توجّه إلى الشـاكي وناولـه دُرته. وقال له : اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك.

أولوياته

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من سمي أمـير المؤمنـين ، وأول مـن كتب التاريخ من الهجرة، وأول من جمع الناس لقيام رمضـان، وأول مـن عَـسّ بـالليل (طاف يتفقد أحوال الناس)، وأول من حمل الدرة وأدَّبَ بها ، وأول من عـاقب علـى الهجاء ، وأول من ضرب في الخمر ثمانين جلدة ، وأول من حرّم المتعة ، وأول من نهى عـن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنـائز علـى أربـع تكبيرات، وأول مـن دوّن الدواوين وفرض الأعطية ، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد، وأول من حمل الطعام من مصر في بحر إيلة إلى المدينة، وأول من أعال الفرائض (المواريث)، وأول من أخـذ زكـاة الخيـل ، وأول مـن اسـتقضى القضـاة في الأمصـار ، وأول مـن مَصّـرَ الأمصـار : الكوفـة، البصرة، الجزيرة ، الشام ومصر ، والموصل، وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز إلى الشـام، وقال ابن سعد: اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيهـا الدقيـق والسـويق والتمـر والزبيـب ، ومـا

يحتاج إليه، يعين المنقطع ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به. وهدم المسجد النبوي وزاد فيه ووسعه وفرشه بالحصاء وهو الذي أخر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم، وكان ملصقاً بالبيت ، وحجَّ بالناس عشر حجج متوالية ، وحجّ بأمهات المؤمنين في آخر حجةٍ حجَّها .[1]

استشهادُ عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه

عمر يطلب الشهادة

كان عمر يحجُّ في كل عامٍ يلتقي مع ولاتِهِ للتشاور في أمور البلاد والعباد، فلما كانت السنة الثالثة والعشرون للهجرة حجَّ كعادته وحجَّ معه أزواج رسول ا لله ﷺ فلما فرغ من الحج ونزل الأبطح شَعَرَ بالوَهَن في جسمه وأخذ يفكر بالبلدان الواسعة التي فُتِحَتْ في عهده وبانتشار المسلمين فيها فشقَّ عليه ذلك .

وأخذ يدعو ربَّه قائلاً " اللهم كَبُرَتْ سِنِّي وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي، فاقبضني اليك غير مُضيّعٍ ولا مُفَرِّطٍ ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل " أخرجه الحاكم[2] .

• وثَبتَ عنه في الصحيح أنه كان يقول: " اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك " أخرجه البخاري[3]، فاستجاب له ا لله هذا الدعاء .

الطعنات القاتلة

قال الزهري : كان عمر رضي ا لله عنه لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة، حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملةُ صنائع ويستأذنه أنْ يدخل المدينة ، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرةً فيها منافعُ للناس،

---

(1) - الأولويات بروايات : العسكري ، والنووي ، وابن سعد ، وذكرت في كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٧.

(2) - تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٣.

(3) - المرجع السابق.

إنه حداد ، نقاش ، نجار . فأذِنَ له أن يرسله إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر ، فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج ، فقال: ما خراجُك بكثيرٍ، فانصرف ساخطاً يتذمر، فلبث عمر ليالٍ ثم دعاه فقال: ألم أُخبر أنك تقول : لو أشاء لصنعت رحاً تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابساً وقال : لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها .

فلما ولى قال عمر لأصحابه : أوعدني العبدُ آنفاً، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن بزاويةٍ من زوايا المسجد في الغلس ، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة ، فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات.[1] أخرجه ابن سعد.

وذكر أن عمر رضي الله عنه لما أحس بِحَرِّ السلاح التفت إلى المصلين باسطاً يديه يقول: أدركوا الكلب فقد قتلني . واندفع القاتل يريد الفرار نجاةً بنفسه وماجَ الناس مضطربين لما سمعوا ذلك وأقبل كثيرون منهم يريدون القبض على القاتل فلم يدعهم بل جعل يطعنهم يمنةً ويسرةً حتى طعن اثني عشر مات منهم ستةٌ أو سبعةٌ ثم إنّ رجلاً أتاه من وراءه فألقى عليه رداءه وطرحه أرضاً فأيقن فيروز أنه مقتولٌ لا محالة فانتحر بنفس الخنجر الذي ضرب به أمير المؤمنين .

أصابت الطعنة عمر تحت سرته فلم يستطع الوقوف وسقط صريعاً على أرض المسجد ينزفُ دَمُهُ فاجتمع الناس عليه لاغاثته .

وظلوا في مرجهم واضطرابهم حتى قال قائلٌ : الصلاة عباد الله طلعت الشمس.

فدفعوا عبدالرحمن بن عوف فصلى بأقصر سورتين في القرآن ثم حملوا عمر إلى داره . ودخل معه كبار أهل الرأي مستفسرين ، قال عبدالله بن عباس " فلم أزل

---

(١) – المرجع السابق .

عند عمر و لم يزل في غشية واحدة حتى أسفر الصبح، فلما أسفر أفاق فنظر في وجوهنا فقال: أصلّى الناس ؟ قلت: نعم ، فقال : لا اسلام لمن ترك الصلاة ".

ثم سأل عمر عمّن طعنه فأجابه ابن عباس أنّ أبا لؤلؤة هو الذي طعنه ثم قتل نفسه.. فقال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدةٍ سجدها له قط ! ما كانت العرب لتقتلني !.

ثم جاء طبيب من العرب فسقى عمر نبيذاً فخرج من جوفه ثم سُقِيَ لَبَنَاً فخرج اللبن من جرحه أبيض لم يتغير لونه. فقال: يا أمير المؤمنين أعهد ، يريد أنه ميتٌ لا محالة فجزع الحاضرون لقول الطبيب وبكوا بكاءً شديداً .

رغباته في النزع الأخير

قضاءُ دَيْنِهِ

قال عمر لابنه عبدا لله : يا عبدا لله ، انظر ما عليَّ من الدَيْن، فحسبوه، فوجدوه ستةً وثمانين ألفاً أو نحوه ، فأخبره فقال : إن وفّى بذلك مال آل عمر فأدِّه من أموالهم وإلا فَسَلْ في بني عدي بن كعب ، فإن لم تفي أموالهم فَسَلْ في قريش، ولا تعدهُمْ إلى غيرهم فأدِّ عني هذا المال.

رحمك الله يا عمر تموت وأنت مَدِينٌ في وقتٍ تجمعت بين يديك أموالُ كسرى وقيصر وتيجانهم المرصعة بالجواهر فكنت الزاهد الذي اختار التقشف وخشونة العيش على التمتع بهذه الكنوز .

استئذانه أن يُدفن مع صاحبيه

ثم قال عمر رضي الله عنه لابنه عبدا لله : يا عبدا لله انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تَقُل أمير المؤمنين ، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه. فذهب وسلم واستأذن، ثم دخل عليها ، فوجدها تبكي ، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام

ويستأذن أن يدفن مع صاحبية ، فقالت : كنت أريده لنفسي ، ولاوثرن به اليوم على نفسي[1]. وذكر أنها قالت : يا بني ابلغ عمر سلامي وقل له : لا تَدَعْ أمة محمد بلا راعٍ ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة[2]. فقدِمَ عليه فاعلمه بذلك.

الاستخلاف

حين طُلِبَ من عمر بن الخطاب أن يستخلف قال: " أتحمَّلُ أمْرَكُمْ حيّاً وميتاً، لوددتُ أني أحظى منها الكفاف لا عليّ ولا لي ، وإن استخلف فقد استخلفَ من هو خيرٌ مني - يعني أبا بكر - وإن أترككم فقد تركدكم من هو خير مني - يعني رسول الله ﷺ -. قال عبدالله بن عمر : فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلفٍ "

ثم قال لعبدالله : ومن تأمرني أن أستخلف ! لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقيا استخلفته وولّيْتَهُ ، فإذا قدمتُ على ربي فسألني وقال لي : مَنْ وليت على أمة محمد؟ قلت: أي ربي ، سمعتُ عبدك ونبيك يقول : لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته فإذا قدمت على ربي فسألني: من وليت على أمة محمد ؟ قلت : أي ربي سمعتُ عبدك ونبيك يقول : إن معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة .ولو أدركت خالد بن الوليد لولّيته، فإذا قدمت على ربي فسألني : من وليت على أمة محمد ؟ قلت أي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول : خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلَّهُ على المشركين. ولكني سأستخلف النفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ ، فأرسل اليهم فجمعهم وهم:

---

(1) - اتمام الوفاء ، الخضري ١٥٦.

(2) - الامامه والسياسة ٢٨.

علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، وكان طلحة غائبا ، فقال: يا معشر المهاجرين الأولين ، إني نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقا ولا نفاقا، فإن يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم ، تشاوروا ثلاثة أيام ، فإن جاءكم طلحة إلى ذلك ، وإلا فأعزم عليكم يا لله أن لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فإن أشرتم إلى طلحة فهو لها أهل، وليصلّ بكم صهيب هذه الثلاثة أيام التي تشاورون فيها فإنه رجلٌ من الموالي لا ينازعكم أمركم . واحضروا معكم من شيوخ الأنصار وليس لهم من أمركم شيء ، واحضروا معكم الحسن بن علي وعبدالله بن عباس، فإن لهما قرابة، وأرجو لكم البركة في حضورهما ، وليس لهما من أمركم شيئا، ويحضر ابني عبدالله مستشاراً ، وليس له من الأمر شيء .

قالوا : يا أمير المؤمنين إن فيه للخلافة موضعاً فاسْتَخْلِفْه، فإنّا راضون به.

فقال: حسب آل الخطاب تحمُّلُ رجلٍ منهم الخلافة، ليس له من الأمر شيء، ثم قال: يا عبدالله إياك ثم إياك لا تتلبس بها ثم قال : إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه، وإن استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وإن استقر ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا إلى ابني عبدالله. فلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فإن أبى الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا أعناقهم.

فقالوا : قل فينا يا أمير المؤمنين مقالة نستدل فيها برأيك ونقتدي به، فقال: والله ما يمنعني أن استخلفك يا سعد إلا شدتك وغِلظتك مع أنك رجلُ حربٍ ، وما يمنعني منك يا عبدالرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة ، وما يمنعني منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضا، كافر الغضب، وما يمنعني من طلحة إلا نخوته وكِبْرُه ولو وَلِيَها وضع خاتمه في إصبع امرأته.

وما يمنعني منك يا عثمان إلا عصبيتك وحبك لقومك وأهلك وما يمنعني منك يا علي إلا حرصك عليها ، وإنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم.

أُوْصِي الخليفةَ منكم بتقوى الله العظيم وأحذِّرُهُ مثل مضجعي هذا وأخوِّفُهُ يوماً تَبْيَضُّ فيه وجوهٌ وتسودُّ وجوه ، يوم تُعرضون على الله لا تخفى منكم خافية.

ثم غشي عليه حتى ظنوا أنه قضى فجعلوا ينادونه ولا يفيق من إغمائه فقال قائل : ان كان شيء ينبهه فالصلاة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، الصلاة ، ففتح عينيه فقال: الصلاة هاءنذا ، ولا حظّ في الاسلام لمن ترك الصلاة . فصلّى وجرحه يثغب دماً ثم التفت اليهم وقال: قد قومت لكم الطريق فلا تعوجوه ثم التفت إلى علي بن ابي طالب فقال: لعل هؤلاء القوم يفرفون لك حقك وشرفك وقرابتك من رسول الله، وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك ، فإن وُلِّيتَ هذا الأمر فاتق الله يا علي فيه ولا تحمل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس.

ثم التفت إلى عثمان فقال : يا عثمان، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفوك فإن وليت هذا الأمر فلا تحمل أحداً من بني أمية على رقاب الناس.

ثم دعا صهيبا فقال: يا صهيب صلِّ بالناس ثلاثة أيام ويجنمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم ..

اخرجوا عني ، اللهم أَلِّفْهم واجمعهم على الحق ، ولا تردَّهُمْ على أعقابهم وَوَلِّ أمر أمة محمد خيرهم ، فخرجوا من عنده وتوفي رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودُفن وصلّى عليه صهيب .(١)

(١) – الامامة والسياسة ، ابن قتيبة الدينوري ٢٨.

تاريخ وفاته

طُعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بَقينَ من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودُفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين للهجرة . فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلةً .[1]

قالوا في عمر الشهيد

رُويَ عن طلحة أنه قال : ما من أهل بيتٍ من العرب حاضرٍ ولا بادٍ إلا وقد دخل عليهم بقتل عمر نقصٌ في دينهم وفي دنياهم.

وقال الحسن : " أي أهلَ بيتٍ لم يجدوا فقد عمر فهم أهلُ بيتِ سوءٍ ".

وبكى سعيد بن زيد فقيل له: ما يبكيك ؟ قال: على الإسلام أبكي ! إن موت عمر ثلم الاسلام ثلمةً لا تُرتَقُ إلى يوم القيامة.

ودخل علي رضي الله عنه على عمر إثر وفاته فألقاه مسجًّى بثوب في ناحيةِ غرفته فرفع الثوب عن وجهه وقال: يرحمك الله أبا حفص ! ما أحد أحب إليّ بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن ألقى الله بصحيفته منك ، وذكر أن قوله كان : والله ما على الأرض رجل أحبّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى بالثوب.

وقال عبدالله بن سلام : لئن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه لا تسبقوني بالثناء عليه، ثم وقف عند سريره وقال: نعم أخو الاسلام كنت يا عمر ، جوادا بالحق، بخيلاً بالباطل ترضى حين الرضا وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف ، طيب الظرف لم تكن مداحا ولا مغتابا ، ثم جلس .

وقال له عبدالله بن عباس وهو يعاني سكرات الموت : " أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يُعزّ الله بك الدين والمسلمون محبوسون بمكة ؟ فلما أسلمت كان

---

(1) – الطبري ١٩٣/٤.

إسلامك عزاً أعزَّ الله به الاسلام وظهر النبي وأصحابه، ثم هاجرت إلى المدينة فكانت هجرتك فتحاً.

ثم لم تغب عن مشهدٍ شهدهُ رسول الله من قتالٍ للمشركين وقال فيك رسول الله ﷺ كذا وكذا يوم كذا وكذا ، ثم قبض رسول الله وهو عنك راضٍ .

ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج رسول الله ، وضربتم من أدبرَ بمن أقبل حتى دخل الناس في الاسلام طوعاً وكرهاً.

ثم قُبِضَ الخليفةُ وهو عنك راضٍ .

مَصَّرَ الله بك الأمصار، وجبر بك الأموال ، ونفى بك العدو ، وأدخل الله على أهلِ كلِّ بيتٍ من المسلمين توسعةً في دينهم وتوسعةً في أرزاقهم.

ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئاً لك، فصبَّ الله الثناء عليك صَبّاً.

فقال: أتشهد لي بهذا يا عبدالله عند الله يوم القيامة ، قال: نعم، فقال عمر: اللهم لك الحمد.

خاتمة موجزة

هذه ترجمةٌ موجزةٌ عن حياة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة العادل الراشد الزاهد التقي الورع الذي أعزَّ الله به الاسلام وأيَّدَ به المسلمون، كان همُّهُ الإسلام والمسلمين فقال ذات يوم:

لئن عشت إن شاء الله لأسيرنَّ في الرعية حَوْلاً فإني أعلم أنّ للناس حوائج تُقطع دوني ، أما أعمالهم فلا يرفعونها اليّ، وأما هم فلا يَصِلونَ إليّ.

فأسير إلى الشام فأُقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأُقيم بها شهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم اسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم اسير إلى

الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البصرة فأُقيم بها شهرين ، وا لله لَنِعْمَ الحول هذا[1] .

عمر الذي حثّ الحكام والمسؤولين على استشارة الأمين الصالح فقال: من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مِثْله.[2]

عمر الذي كان يقف على شاطئ الصحراء في الحر والريح ينتظر أخبار جنده في معاركهم حتى كان ذات مرة ، عندما جاء أعرابي يريد أمير المؤمنين ليبشره بالنصر وهو راكبٌ متجه للمدينة وعمر يهرول خلفه يسأله ولا يعرفه حتى دخلا المدينة، وسمع الناس بالنصر فأقبلوا يبشرونه، فخجل الاعرابي وانخلع قلبه ونزل يعتذر لأمير المؤمنين.

عمر الذي خَطا نحو رسول ا لله ﷺ مُهدداً متوعداً يريد قتله فيريد ا لله له غير ذلك فيقبلُ عليه بقالبٍ جديدٍ بعمر الخير، عمر المؤمن ويقر عنده بالشهادتين فينتقل بها من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام ومن الشرك والضلال إلى الايمان بوحدانية ا لله.

وينطلق صدى إسلامه مُدوياً في أرجاء مكة ويتحرك الاسلام بمظاهرة العزة والكرامة في صَفّين، صف عليه حمزة وصف عليه عمر فيسير مخترقا شوارع مكة لا يهاب أحداً. ويبدأ مشواره عبقرياً تتنزل في أقواله الكثير من آيات ا لله حتى يوافق قوله قول الحق سبحانه وتعالى. ويحبه رسول ا لله ﷺ ويرعاه علما وادبا حتى ينتقل إلى الرفيق الأعلى وهو عنه راضٍ.

ثم يأتي الخليفة أبو بكر فيكون وزيره ومستشاره رأيهم على الحق وخطواتهم ينيرها الايمان حتى يتوفى أبو بكر وهو عنه راضٍ .

---

(١) - سيرة عمر ٣٦٩ ، تاريخ الطبري ١٨/٥.

(٢) - سيرة عمر ، ابن الجوزي .

ثم يحمل أمانة الإسلام والمسلمين فيحق فيهم الحق ، يبطش بالظالم المتعجرف المتكبر ويرحم الفقير المسكين، يخرج في الله يتفقد رعيتـه فيوقـد النـار ويصنـع الطعـام ويحمل على ظهره البر والسمن للمحتـاجين حتـى أحبـه الجميـع واطمـأن لـه القريـب والبعيد.

عمر الذي عدل في رعيته فأمِنَ فنام.

ثـم يـأتي دوره في اكتسـاح أكـبر وأعـرق الممـالك في زمنـه، قيـاصرة الـروم واكاسرة الفرس فيدعو إلى قتالهم ويحرك القلوب ويحث على الصبر ويعد العدة فتنطلق جيوش الحق تهدم ظلمهم وتبدد شملهم وتغنم كنوزهم لتأتي بها إلى بلد الأمن والأمان في المدينة فينتفع بها المسلمون كلهم دون تفريق ودون تمييز.

ويبقى نور عمر مضيئا حتى يتسلل عبدٌ فارسيّ لئيمٌ بمؤامرةٍ دنيئةٍ فيطعنه طعنةً تُنهي سنواتٍ من العمل فيهوى رحمه الله ليلقى ربَّهُ طاهراً يسرح في جناته..

وعلى الصفحات التالية نذكر المعارك التي دارت في عهده رضي الله عنه منـذ توليه إمارة المؤمنين وحتى استشهاده نقتصر فيها على الحقائق والوقـائع التاريخيـة كمـا ذُكرتْ في المراجع التاريخية دون إطالة أو زيادة .

الفصل الثاني

الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

الفصل الثاني

الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فتح دمشق

وقتها : رجب من السنة الثالثة عشرة للهجرة [1] .

موقعها : دمشق .

قادتها : أبو عبيدة عامر بن الجراح على المسلمين .

نسطاس بن نسطوس على الروم .

أحداثها

سار أبو عبيدة من اليرموك بعد أن استخلف عليها بشير بن كعب الحميري حتى نزل بمرج الصفر وهناك بلغه أن الروم قد تجمعوا في فحل بـ- غور الاردن- وأنّ مدداً من قبل هِرَقْل قد سار إلى دمشق فكتب بذلك إلى عمر يستشيره ، فأجابه عمر:

أمّا بعد ، فابدءوا بدمشق فإنها حصن الشام واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم، وأهل فلسطين وأهل حمص ، فإنْ فَتَحَها الله قبل دمشق فذلك الذي نحبّ وإن فُتحتْ دمشق قبلها فسر أنت ومن معك ، واسْتَخْلِفْ على دمشق ، فإذا فتح الله عليكم فسر أنت وخالد إلى حمص واترك عمراً وشُرحبيل على الأردن وفلسطين.

بعث أبو عبيدة طائفةً من المسلمين إلى فحلٍ فنزلوا قريباً منها وبعث جُنداً فنزلوا بين حمص ودمشق وأرسل آخرين فكانوا بين دمشق وفلسطين ، وسار هو باتجاه دمشق .

---

(1) - اختلف المؤرخون في وقتها فمنهم من ذكر أنها في محرم وذكر أنها في أواخر عام ١٣ للهجرة .

نظّمَ أبو عبيدة جيشه فوضع على المقدمة خالد بن الوليد وكان هو على الميسرة وعمرو بن العاص على الميمنة وعِياض بن الغنم على الخيل وشُرحبيل بن حسنة على الرجّالة.

ثم انطلق الجيش نحو دمشق فدخل الغوطة واحتلها ليقطع المساعدات والتموين عنها، وواصل سيرهُ حتى وصل دمشق فوزع أبو عبيدة الجيش حول الأبواب فكان عمرو بن العاص بباب الفراديس وشُرحبيل بن حسنة بباب توما وقيس بن هبيرة بباب الفرج وأبو عبيدة بباب الجابيه وبقي خالد بن الوليد بالباب الشرقي.وحاصرها الجميع حصاراً شديداً دام سبعين يوما كانوا يرمونها بالمجانيق ويمنعون عنها المدد حتى أصاب أهلها اليأس وَوَهِنُوا .

كان خالد بن الوليد يتتبع أخبار الروم داخل دمشق وَيَبُثُّ العيون حتى علم يوماً أنه قد ولد لبطريق الروم ولد فاحتفل بذلك وأقام وليمةً دعا إليها الجند والناس وأطعمهم وسقاهم حتى باتوا سكارى. فانتهز خالد هذه الفرصة واستدعى بعض صناديد القوم أمثال القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وعزم على مهاجمة الحصن، فاحضر سَلالِماً صنعت من الحبال أعدَّها لتسلق الحصن. وقال لمن معه من الجند: إذا سمعتم تكبيرنا على السور فاهجموا واقصدوا الأبواب .

سار خالد ومن معه فقطعوا الخندق المليء بالمياه وعلى ظهورهم القِرَب حتى وصلوا الأسوار، رموا السلالم على الشُرَفِ، فعلق منها حبلان ثم قصد القعقاع ومذعور واثبتوا بقية الحبال بالشرف في موقع من أحْصَنِ المواقع وأبقى جماعة على السور وانحدر ومن معه إلى الباب فقاتل الروم أمامه قتالاً عنيفاً حتى أنامهم وقطع مغاليق الأبواب وفتحها وأمر اصحابه على السور فَكَبَّروا.

فاتجه جيشه نحو الأسوار والأبواب فدخلوها وأخذوا يقاتلون من يقابلهم من الروم ويخترقون دمشق إلى وسطها .

ولما أفاق أهل دمشق على أصوات التكبير وصياح المسلمين داخل مدينتهم ووجدوا أنفسهم محاصرين ، لم يجدوا مفرا من التسليم وفعل ذلك بقية الروم مع من قابلهم على الأبواب الأخرى ، ففتحوها كلها ودخلت جيوش المسلمين من كل ناحيةٍ وأخذت تخترق دمشق حتى تقابلَ القادةُ جميعهم في وسط دمشق.

أرسل أبو عبيدة بالفتح إلى عمر بن الخطاب ، فأجابه عمر بأن يرسل جند العراق نحو العراق إلى سعد بن أبي وقاص فارسلهم وأمَّرَ عليهم هاشم بن عتبة المرقال. وسار هو إلى فحل كما سيأتي.

وقعة النمارق

وقتها : شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة .

موقعها : النمارق .

قادتها : المثنى بن حارثة الشيباني وأبو عبيد بن مسعود الثقفي على المسلمين.

رستم على الفرس .

أحداثها ·

عمر يندب الناس مع المثنى

لما عاد المثنى بن حارثة الشيباني من المدينة بعد موت أبي بكر ، وتولى عمر رضي الله عنه الخلافة ندب معه الناس بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وأمَرَهُ أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ وأن يستشير سليط بن قيس .

تَحَرُّكُ الجيشين

سار المسلمون إلى أرض العراق ، وكان المثنى قد سبقهم إلى الحيرة. والفرس في هذا الوقت مضطربين في خلافاتٍ داخليةٍ على الحُكْمِ حتى استقر رأيهم على بوران بنت كسرى على أن يقوم بأمرها رستم بن فرحزاد ويتولى أمر الحرب.

استعد رستم للقتال وجهز لذلك الجيوش فبعث أميرا يقال لـه: جابـان وعلـى مجنبتيه رجلان أحدهما حشنس ماء والآخر مرادانشاه وأرسل جيشا آخـر إلى كسـكر يقوده نرسي .

كما أرسل إلى الفلاحين لينقضوا على المسلمين ففعلوا أمـا المثنـى فلمـا بلغتـه هذه الأخبار خرج من الحيرة حتى نزل خفان (مكان قرب الكوفة) وانتظر أبو عبيـد حتى وصل بعد شهرٍ من مَقْدم المثنى .

القتال

اجتمع الفرس بمكانٍ يقالُ له: النمارق (وهو بين الحـيرة والقادسية) فـالتقوا مع أبي عبيد وكان على الخيل المثنى بن حارثة وعلى الميسرة عمرو بـن الهيثـم فـاقتتلوا قتالاً شديداً حتى هزمَ ا لله الفرسَ ووقع جابان ومرادانشاه في الأسْـرِ، فأمـا مرادانشـاه فقتله الذي أسَرَهُ وأما جابان فقد أمَّنه الذي اسـره و لم يقتلـه ثـم بـدأ المسـلمون بجمـع الغنائم وبعث أبو عبيد بالبشرى والخُمس إلى عمر.

وقعة السقاطية بكسكر

وقتها : شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة .

موقعها : السقاطية .

قادتها : أبو عبيد بن مسعود الثقفي على المسلمين .

نرسي على الفرس .

أحداثها

بعد أن انهزم الفرس في وقعة النمارق، التجأ الفارّين إلى مدينة كسكر وكـان أميرها نرسي ابن خالة كسرى فتبعهم أبو عبيد وكان المثنى معه على تعبيتـه الـتي قـاتل بها في النمارق فنزل على نرسي بالنمارق. ولما بلغ الخبر بوران ورسـتم بهزيمـة جابـان بعثا الجالينوس مددا لنرسي فلحقه قبل الحرب .

عاجلهم أبو عبيد والتقى بهم في السقاطية وهي أسفل كسكر فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى انهزمت الفرس وهرب نرسي وغَلَبَ المسلمون على عسكره وأرضه وجمعوا الغنائم وكان فيها التمر الخاص الذي لا يأكله إلا ملوك الأعاجم فأطعمه الفلاحين وبعث بالخمس إلى عمر وكتب له :" إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة تحميها وأحببنا أن تروها لتشكروا أنعام الله وأفضاله ".

ثم بعث أبو عبيد المثنى إلى باروسما ، وبعث والقاً إلى الزوابي وعاصماً إلى نهر جور فَهَزَمُوا من تجمع فيها وسَبَوا أهلها وصالحوا بعضها وأخذوا الجزية وجاءوا إلى أبي عبيد.

ولما اقترب الجالينوس في المدد الذي ارسله رستم بادرهُ أبو عبيد في باقسياثا من باروسما فقاتلهُ فهزمهُ وهرب الجالينوس واستولى أبو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل إلى الحيرة .

معركة باقسياثا

وقتها : شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة .

موقعها : باقسياثا.

قادتها : أبو عبيد على جيش المسلمين .

جالنوس على جيش المجوس .

أحداثها

خرج أبو عبيد من السقاطية نحو باروسما فبلغه مسير جالنوس، وقد اجتمعت إليه فلول جابان. لقد كان مكلفاً أن يُدرك نرسي قبل المعركة ، غير أنها كانت أسرعَ منه فلم يُدركها، و لم يدع له أبو عبيد فرصة الوصول إلى كسكر إذْ زاحفه. فنزل جالنوس في باقسياثا من أرض باروسما ، وكان اللقاء : أبو عبيد في جيش المسلمين

المنتصر في النمارق والسقاطية وجالنوس في جيش ضَمَّ أعداداً كبيرةً من الفلول المنهزمة من المعركتين ، وقلّما يفلحُ مهزومٌ فَقَدَ معنوياته.

ودارت المعركة فانتصر المسلمون وعمد جالنوس إلى الفرار وأقام أبو عبيد في قرية من قرى باروسما، وقد غلب على تلك البلاد.

وقعة الجسر

وقتها : شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة .

موقعها : قس الناطف - المروحة .

قادتها : أبو عبيد بن مسعود الثقفي على جيش المسلمين .

بهمن جاذويه على الفرس .

أحداثها

لما رجع جالينوس إلى رستم منهزماً جهز جيشاً عظيماً تحت قيادة بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب ومعه الراية العظمى لفارس المسماة: درفش كابيان وهي من جلود النمر وعرضها ثمانية أذرع وكانت الفرس تتيمن بها .

سار بهمن بجيشه حتى وصل قس الناطف وأقبل أبو عبيد حتى نزل المروحة. وكان بينهم النهر وعليه جسر .

القتال

بعث بهمن إلى أبو عبيد : إمّا أنْ تعبروا إلينا وَنَدَعَكُم والعبور وإمّا أنْ تدعونا نعبرُ إليكم .. فنهاه الناس ونهاهُ سليط لكنه ترك الرأي وقال : " لا يكونوا أجرأ على الموت منا ".

فعبر إليهم على الجسر - عقده ابن صلوبا - والتقى الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديداً وكان في جيش الفرس فِيَلَةٌ لم تشهدها خيلُ المسلمين فنفرت منها فأمر أبو عبيده بقتل الفِيَلَة وتقدم هو إلى الفيل الأبيض فقطع زلّومةُ فحمِيَ وثار عليه وَوَطِئَهُ

حتى مات فأخذ الراية بعده ثنية فقاتل حتى قُتل ثم تتابع الراية سبعة نفر من ثقيف، كلهم يأخذ الراية ويُقتل حتى أخذ الراية المثنى بن حارثة.

بدأت كفة المعركة ترجح لصالح الفرس وبدأ بعض المسلمين بالفرار متجهين نحو الجسر فلمّا رأى ذلك عبدالله بن مرثد بادر إلى الجسر فقطعه وقال: أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تَظْفَروا ، إلاّ أن الفرس دفعوا المسلمين نحو الجسر وهم يقتلون منهم وتواثب بعضهم إلى النهر فمات غرقاً.

ولما رأى المثنى فرار المسلمين وكثرة القتلى فيهم نادى من عبر النهر منهم وأمرهم بأن يعقدوا الجسر فعقدوه ، ثم صاح بالمسلمين أن يعبروا الجسر، وقال : أنا دونكم فاعبروا على هينتكم، ولا تدهشوا ولا تغرقوا أنفسكم.

ثم عبر الناس وبقي المثنى ومعه بعض الجنود يحمي مرورهم حتى جُرح وعبر آخرهم ثم انشغل الفرس بما جاءهم من أخبار بلادهم ، فلم يعبروا خلف المسلمين.

نتيجة المعركة

كان لترك أبو عبيد الرأي والمشورة في اختيار موقع المعركة دورٌ في هزيمة المسلمين ، هذه الهزيمة التي كان من نتيجتها أنْ هلك أربعة آلاف بين قتيلٍ وغريقٍ وهرب ألفان في البراري لا يدرون أين يذهبون وعاد منهم إلى المدينة النبوية من عاد يحمل أخبار الهزيمة .

أما من عاد إلى المدينة يحمل الخبر فهو عبدالله بن زيد بن عاصم المازني وقد وصل إليها وعمر بن الخطاب على المنبر فأخبره ما كان من أمر المسلمين فلم يؤنبهم عمر بن الخطاب، بل أخذ يندب الناس في مددٍ جديدٍ للعراق .

خبر أليس

لما علم الفرس بما حصل في بلادهم عادوا إلى المدائن فلحق بهم المثنى في نفرٍ من المسلمين . فاعترضه أميران من أمرائهم فأسرهما وأسَرَ معهما بشراً كثيراً فضرب أعناقهم.

وقعة البويب

وقتها : رمضان من السنة الثالثة عشرة للهجرة .

موقعها : البويب – قرب الكوفة .

قادتها : المثنى بن حارثة الشيباني على المسلمين .

مهران على الفرس .

أحداثها

لما بلغ عمر ما كان في وقعة الجسر بعث إلى المثنى بمدد كثير وأمَّرَ عليهم جرير بن عبدالله في قومه ومعه كثير من المسلمين . وبعث المثنى إلى مَنْ يليه من العرب يستمدهم فأمدوه فاجتمع له جيشٌ كبيرٌ . والتقوا جميعاً بالبويب .

بلغ ذلك أمراء الفرس فبعثوا إليه بجيشٍ يقودهُ مهران الهمذاني فنزل مقابل جيش المسلمين وبينهما النهر .

القتال

أرسل مهران إلى المثنى يقول : إما أنْ تعبر إلينا وإما أنْ نعبر إليك فقال المثنى: اعبروا.. فعبر مهران فنزل على شاطئ الفرات..

كان ذلك في رمضان فأمر المثنى جيشه بالإفطار ليقووا على عددهم ثم أفطر وأفطروا وعبّى الجيش وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء يَعِظُهُم ويحثهم ويحرضهم وكان على مجنبتي المثنى ، بشير بن الخصاصية وبُسر بن أبي رهم ثم قال لهم: إني لأرجو أن لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم ، وا لله ما يسرني اليوم لنفسي شيء

إلا هو يسرني لعامتكم ، فيجيبونه بمثل ذلك . ثم قال إني مُكَبِّر ثلاثاً فتهيأوا ثم احملوا في الرابعة .

فلما كَبَّر أول تكبيرةٍ عاجلتهم الفرس فرأى خللاً في بعض صفوفه فأرسل إليهم يقول: الأمير يُقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم فقالوا : نعم واعتدلوا فضحك فرحاً . ثم أخذ المثنى يدعو الله بالنصر.

واشتد القتال وطال فتقدم المثنى ومن معه من الأبطال فحمل على مهران فأزاله عن موضعه وقام إليه رجلان من المسلمين فقتلاه واحتزا رأسه فهربت المجوس وهزمت هزيمةً منكرةً.

ولما رأى المثنى هروبهم سبقهم إلى الجسر وحال بينهم وبينه ليمنعهم من العبور عليه ليزداد القتل فيهم . فتبعهم المسلمون حتى أحالوهم جثثاً.. فما كانت بين المسلمين والفرس وقعةٌ أبقى رمّة منها حيث بقيت عظامهم دهراً طويلاً بأرض المعركة.

نتيجة المعركة

كان للمسلمين في هذه المعركة نصراً مؤزراً هَزَمُوا فيه جيشُ الفرس بأعداده الكبيرة وقَتَلوا فيه أعداداً كثيرةً بلغت مائة ألف وغنم المسلمون مالاً جزيلاً وطعاماً كثيراً وبقراً وسبياً . ثم أرسل المثنى السرايا لتتبُّعِ المنهزمين فتبعوهم وأغاروا على بلادهم حتى بلغوا ساباط وتحركوا بين دجلة والفرات لا يخافون كيداً ولا يلقون مانعاً. فغنموا شيئاً عظيماً .

ثم قسّم المثنى الغنائم بين الجند وبعث بالخُمس والبشارة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

موقعة فحل

وقتها : ذو القعدة من السنة الثالثة عشرة للهجرة.(١)

موقعها : فحل – مكان بغور الأردن.

قادتها: شرحبيل بن حسنة على جيش المسلمين.

سقلاب بن مخراق على جيش الروم.

أحداثها

لما فُتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى فحل بعد أن استخلف على دمشق يزيد ابن أبي سفيان، وكان على مقدمته خالد بن الوليد وعلى الناس شُرحبيل بن حسنة. فوصلوا إلى فحل وهي بلدةٌ بالغور وكان أهلها من الروم قد غادروها إلى بيسان بعد أن أرسلوا المياه فأغرقوا الأرض بها حتى أردغت فسميت بـ" الردغة". مما حال بينهم وبين المسلمين.

نزل شرحبيل بفحل وحاصرها وأرسل إلى الخليفة عمر رضي الله عنه يُخبره بما هم فيه وما صنعه الروم من تلك المكيدة وطَمَّنَهُ أنّ المسلمين بخيرٍ وعلى أهبة من أمرهم، حسب ما كان يوصيهم رضي الله عنه.

ظنّ الروم أنّ بإمكانهم مباغتة المسلمين فهجموا عليهم بقيادة سقلاب بن مخراق، فهبّ إليهم المسلمين واقتتلوا قتالاً شديداً استغرق الليل ونهار اليوم التالي والليل، فلما كان الظلام إذا بالروم يَفّرون أمام ضربات المسلمين حتى انتهت بهم الهزيمة إلى الوحل فغرقوا فيه، وقَتَلَ منهم المسلمون أعداداً كبيرةً جداً قاربت الثمانين ألفا، وكان ممن قُتل رئيسهم سقلاب . وَغَنِمَ المسلمون منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً.

---

(١) – تاريخ الطبري ٤٣٥/٣.

معركة القادسية

وقتها : شعبان من السنة الرابعة عشرة للهجرة .

موقعها : القادسية .

قادتها : سعد بن أبي وقاص على جيش المسلمين.

رستم على جيش الفرس.

أحداثها

حالُ الفرس : إنّ من الأخطار التي تُحدق بالأمة وتُفتّتُ عضدها وتُميت قوتها وتهدر طاقاتها ، التنازع على السلطة والتهافت على حُبِّ الرياسة وهذا ما حصل لدولة الفرس، فقد تنازع ملوكها على الحكمِ ابتداءً من كِسرى أبرويز الذي عسف بالرعية وأبعد أبناءَهُ ومنعهم من التصرف، حتى اتفقت الرعية فأحضرت إبنا له اسمه شيرويه ودفعت والدِهُ لأن يتنازل له عن الحكم ففعل ثم أرغموا الابن على قتل والده، وسرى القتل فيهم فأمر شيرويه بقتل إخوته ثم ندم ومات، فَمُلّكَ من بعده ابنه ازدشير ثم قُتل فتولّت المُلْكَ بعده بوران، ثم مَلَكَ رجلٌ اسمُه خشنشبنده فأنكر الجند سيرته فقتلوه، ثم مَلَكَتْ بعده إزرميدخت فخطبها والي خراسان فاحتالت عليه حتى قتلته فانتصر له ابنه رُستم وجاء المدائن فتمكن من إزرميدخت وقتلها وأقام مقامها بوران، فاختلفت مع الفيرزان أحد عظماء الدولة وتنازعا السلطة.

ولما نظر الفرس فرأوا حالهم هذه والجيوش الإسلامية تهزمهم في مواقعهم المتعددة وتحتل مدنهم وقراهم، اجتمعوا إلى رستم والفيرزان وقالوا لهما : لم يبرح بكما الاختلاف حتى وَهّنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم ، و لم يبلغ من أمركما أن نُقِرّكما على هذا الرأي وإن تعرّضنا للهَلكة ، ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلاّ المدائن ، وا لله لتجتمعان أو لنبدأنّ بكما ثم نَهلك وقد اشتفينا منكما.

اجتمع الفيزان ورستم إلى بوران ابنة كسرى وعَلِموا منها أسماء نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم، فأمروا بإحضارهِنّ وأخذوهنّ بالعذاب ليستدلوا مِنهُنّ على غُلامٍ لكسرى، فقالت بعضهم : لم يبقَ إلا غلامٌ يُدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى فجاؤوا به وملّكوه. فاطمأنت فارسُ إليه فجمع الجموع وسمّى الجنود ووزّعها لقتال المسلمين.

حال المسلمين : بلغت الأخبار المثنى بن حارثة الشيباني" وهو قائدُ المسلمين بالعراق" من اجتماع شمل الفرس على يزدجرد وإعداده العُدة وتسمية الجيوش لحماية الثغور وأنه سيّر جيشاً للحيرة وجيشاً للأبلة وجيشاً للأنبار وهي أعظم ثغور الفرس في الجبهة الغربية ، كما نَقَضَ أهل الذمة بالعراق عهودهم وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم.

رأى المثنى أنّ الوضع صعبٌ وأنّ قواته القليلة لا تستطيع الاحتفاظ بما تحتله من أراضٍ فقرر الانسحاب من العراق وكتب إلى عمر بن الخطاب يبلغه الأخبار ويطلب المدد.

كان عمر رضي الله عنه قد اطمأن إلى جبهة الروم بعد هزيمتهم في أجنادين فوجّه همَّه لغزو العراق. فما أن وصله كتاب المثنى حتى قرّرَ حشد كلِّ الطاقات لإرسالها إلى القادسية وبدأ بدعوة الناس إلى الجهاد وكتب إلى المثنى :

أمّا بعد، فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا اجتلبتموه، فإنْ أتى طائعا وإلا حشرتموه، احملوا العرب على الجِدِّ إذا جَدّ العجم، فلتلقوا جِدَّهُم بجِدّكُم.

فأقام المثنى بـ" ذي قار" ونزل الناس أولهم بـ" الجِلّة" وآخرهم بـ"غضَى" (وهو جبل البصرة) متناظرين يغيث بعضهم بعضاً .

كتب عمر إلى عُمّالِه أن يبعثوا مَنْ كانت له نجدةٌ أو فـرسٌ أو سـلاحٌ أو رأيٌ وخرج إلى الحجِّ سنة ثلاثة عشر ، فحجَّ ورجع فجاءته أفواجهم إلى المدينة ومَـنْ كـان قريباً من العراق انضم إلى المثنى .

فلما اجتمع عند عمر جيشٌ عظيمٌ خرج به في أول المحرم سـنة (أربعـة عشـر) فعسكر قرب المدينة بمكانٍ يُدعى (صِرار) واستخلف على المدينة علي بن أبي طـالب والمسلمون لا يعلمون قصده : أيسافر إلى العراق أم يقيم، وكان معه عثمان بـن عفـان وساداتٌ من الصحابة . وفي الصِرار أرسل إلى علي بن أبـي طـالب ليأتيـه مـن المدينـة وعقد مجلساً استشارياً للتشاور في شأن سفرهِ بالجيش إلى العراق: أيُقيـم ويُوَلّـي قيـادة الجيش غيره أم يقود الجيش بنفسه، فقال العامة: سِرْ وسِرْ بنـا معـك وأشـار أصحـاب رسول الله ﷺ بالمقام وتولية رجل من أهل الشهامة والنجدة أمـيراً علـى الجيـش فتبـع رأيهم.

تولية سعد قيادة المدد : استقر رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه على توليـة سعد بن أبي وقاص الزهـري القرشي خالُ رسـول الله ﷺ فولاه ووصّاه وكان فيمـا قـال له: " ياسعد ابن أم سـعد لا يغرنّـكَ مـن الله أنْ يُقـال خـالُ رسـول الله ، وصـاحب رسول الله ، فإنّ الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيءَ بالحَسَنِ وليس بـين الله وبين أحدٍ نسبٌ إلا بطاعته فالناسُ في دين الله سَواء وهم عبادهُ يتفـاضلون عنـده بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمـر الذي رأيت رسول الله ﷺ يلزمـه فالزمه".

ثم سَرّحه بأربعة آلاف ، وأتبعه بمثلها وأرسل إليه عهداً حثّه فيـه علـى تقـوى الله ودعاه إلى الأخذ بأسباب النصر فقال :" إنما يُنصَرُ المسلمون بمعصيـةِ عدوِّهِـم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم وعُدتنا ليست كعُدتهم، فـإن استوينا في المعصيـة كـان لهـم الفضـلُ علينـا في القـوة " كمـا أوصـاه بالمسـلمين ،

فقال:"وترفق بالمسلمين في سَيْرهم ولا تُجشّمهم مسيراً يتعبهم ولا تُقصر بهم عن منزلٍ يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم".

سار سعد بن أبي وقاص في ثمانيةِ آلافٍ من المسلمين وكان المثنى ينتظره ومعه أيضاً ثمانية آلافٍ إلا أنّ المنية عاجلت المثنى قبل وصول سعد، فمات رحمه الله إثر جراحٍ أصابَتْهُ يوم الجسر . وكان قد استخلف على الجيش بشير بن الخصاصية .

وصل سعد إلى القادسية وهي قريةٌ قرب الكوفة فضمّ الجيوش الإسلامية بالعراق كلها إليه وأمدَّهُ عمر بإمداد آخر حتى اجتمع إليه بالقادسية ثلاثون ألفاً وقيل ستة وثلاثون ألفاً، وقال عمر : لأرْمِيَنَّ ملوك العجم بملوك العرب، وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، ويأمره بالمبادرة إلى القادسية وأن يكون بين الحجر والمدر وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس وأن يبادرهم بالضرب والشدة وقال له:" لا يهولَنَّكَ كثرةُ عَدَدهم وعُدَدهم فإنهم قوم خدعةٍ ومكرةٍ ، وإن أنتم صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة رجوتُ أن تنتصروا عليهم ، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً ، إلاّ أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وإنْ كانت الأخرى فارجعوا إلى ما وراءكم حتى تصلوا إلى الحجر فانكم عليه أجرأ وإنهم عليه أجبن وبه أجهل حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويردَّ لكم الكرة" . وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فإن النصر يأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة وأن يسألوا الله العافية ، وأن يُكثروا من قولِ: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكثرت المكاتبات بين عمر رضي الله عنه وسعد يصف له أدق التفاصيل، سواء من ناحية الأعداء وأمكنتهم أو من ناحية مواقع المسلمين يصف له فيها المنازل والأراضي ويرد عليه عمر بما ينفعه ويشد من أزره ويرفع من معنوياته، ويُوصيه بالوفاء بالعهد والأمان.

أمّا سعدُ فإنه قبل وصوله القادسية لقيَ جمعاً من جيش الفرس مع شيرزاد بن أراذويه فهزمه وغنموا مما معه شيئا كثيرا فخمَّسَهَا سعد وقَسَّم أربعة أخماسٍ بين الناس واستبشر المسلمون بهذا النصر وفرحوا وتفاءلوا .

ثم سار سعد فنزل القادسية وأقام بها شهراً، يَبُثُّ سراياه في كل مكان للإغارة والإرهاب، فأرسل إلى ميسان عاصم بن عمرو فتحصن أهلها فاستاق نِعَمَهُم من البقر والغنم فأتى بها سعداً فقسَّمَها على الناس ثم بثّ السرايا للإغارة بين كسكر والأنبار فَغنِموا من الأطعمة ما استكفوا به زماناً.

تحرك الفرس : اغتاظ حلفاء الفرس في تلك النواحي من هجمات المسلمين فكتبوا إلى يزدجرد يعلموه أنّ العرب قد نزلوا القادسية وقد أضربوا ما بينهم وبين الفرات وأخذوا الأطعمة والدواب وإن لم يُنجِدْهم فإنهم سيضطرون إلى تسليم ما بأيديهم إلى المسلمين أو يصالحوهم.

لما وصل كتابهم إلى يزدجرد أرسل إلى رُستم فقال له : إني أريد أن أُوَجِّهُكَ فأنت رجل فارس اليوم وقد ترى ما حلَّ بفارسٍ مما لم يأتهم مثله .. إلا أن رستم استجاب كارهاً لأنه كان يرى إرسال الجيوش بعد الجيوش أشدّ على العرب من إرسال الجيش الكثيف مرة واحدة ، فأبى الملكُ إلا إرساله.

سار رُستم بجيشٍ هائلٍ يزيدُ على مائةِ ألفِ فارسيّ ومعهم الخيل والفيلة وقد جعل على المقدمة الجالينوس وعلى الميمنة الهرمزان وعلى الميسرة مهران وعلى الساقة البندران حتى وصل إلى ساباط بين المدائن والقادسية فعسكر بها.

إرسال الرُسُل :ثم إنّ سعداً بعث إلى عمر بن الخطاب يعلمه بمسير الفرس وذكر له عَدَدهم وعُدّتهم فأجابه عمر :

" لا يكربّنك ما يأتيك عنهم واستعن با لله وتوكل عليه وابعث رجالاً من أهلِ المناظرة والرأي والجلدِ يدعونه إلى ا لله فإنّ ا لله جاعلٌ دعاءهم توهيناً لهم "

فبعث سعد إلى يزدجرد وفـداً اختـارهُ مـن قـادة المسـلمين فيهـم النعمـان بـن مقرن، والمغيرة بن شعبة، والمغيرة بـن زرارة . فلمـا قدمـوا عليـه واستأذنوا بـالدخول حبسوا عن ذلك فترةً حتى أحضر يزدجرد وزراءَه ومستشاريه ورُستم معهم وبـاحثهم في أمر الوفد وما يقوله لهم حتى اتفقوا ، ثم سمح لوفد المسلمين بالدخول وسألهم عـن طريق ترجمانه:

ما جاء بكم ودعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا، أمن أجل أنّا تشاغلنا عنكـم اجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه: إنْ شئتم تكلمـت عنكـم ومـن شـاء آثرته، فقالوا : بل تكلم، فقال :

" إن الله رحمنا ، فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عـن الشـر ، وَعَدنـا على إجابته خيرَ الدنيا والآخرةِ ، فلم يدعُ قبيلةً إلا قاربه منها فرقةٌ، وتباعد عنـه منهـا فرقةٌ، ثم أمرَ أن نبتدئ بمن خالفه من العرب ، فبدأنا بهم ، فدخلوا معه على وجهين: مُكرهٌ عليه فاغتبط ، وطائع فازدادَ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنـا عليْـه مـن العـداوة والضيـق ، ثـم أمـر أن نبتـدئ بمـن جاورنـا مـن الأمـم ، فندعوهـم إلى الانصاف؛ فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دينٌ حَسَّنَ الحسن ، وقبّح القبيح كله، فـإن أبيتم فأمر من الشرّ هو أهون من آخر شرّ منـه : الجزيـة ، فـان أبيتـم فالمنـاجزة ، فـإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمنـا علـى أن تحكمـوا بأحكامـه، ونرجـع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وإن بذلتم الجزاء قبلنا منكم ومنعناكم وإلاّ قاتلناكم "

فقال يزدجرد : لا أعلمُ أمة في الأرض كانت أشقى ولا أقل عـدداً ولا أسـوأ ذاتَ بينٍ منكم ، فقد كنا نُوَكِّل بكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم ، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس، فإن كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا ، وإنْ كان الجهد فرضنـا لكـم قوتاً إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم، وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكـم، فقام المغيرة بن زرارة ، فقال : أما ما ذكرت من سوءِ الحالِ فكما وصفت وأشد، ثـم

ذكر من سوء عيش العرب ورحمة الله بـهم بارسال النبي ﷺ مثلَ مقالة النعمان، ثـم قال :

" اختر إما الجزية عن يد وأنت صاغر ، أو السيف ، وإلا فنجٍّ نفسك بالإسلام "

فقال يزدجرد : لولا أنّ الرسل لا تُقتَلُ لقتلتكم، لا شيء لكم عندي. ثم استدعى بوقر من تراب ، وقال لقومه: احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ، ارجعوا إلى صاحبكم فاعلموا إني مُرسِلٌ إليه رُستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ، ثم أُوْرِدُه بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور .

فقام عاصم بن عمر ليأخذ التراب وقال: أنا أشرفهم، أنا سـيِّدُ هؤلاء وحمل التراب على عاتقه وخرج إلى سعد فلما وصله قال له سعد:

أبشر، فوا لله لقد أعطانا الله مقاليدَ مُلْكِهِم .

تشاؤُمُ رُستم : كان رستم منجماً كاهناً فتشاءم من أن يحمل العرب تراب بلادهم ويخرجوا به ، وخرج من عند يزدجرد غاضباً فأرسل في أثرهم رسولاً لإحضارهم وقال لثقته : إنْ أدركهم الرسول تلافينا أرضَنا وإنْ أعجزه سلبكم الله أرضكم، فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم . فقال: ذهب القوم بأرضكم من غير شَك.

عاد رستم إلى جيشه في ساباط فنظم الصفوف وسار بهم فلما مَرّ على كوثي (قرية بين المدائن وبابل) أُتِيَ له برجلٍ من المسلمين فقال له: ما جاء بكم وما تطلبون؟.

فقال المسلم : جئنا نطلب موعود الله في أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا.

قال رستم : فإن قتلتم قبل ذلك؟ .

قال المسلم : من قُتل منّا دخل الجنة ومن بقي منا أنجزه الله ما وعده فنحن على يقينٍ .

فقال رستم : قد وضعنا إذن في أيديكم ، فقال المسلم : أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ، فلا يغرنّك ما مِنْ ترى حَوْلكَ فإنك لستَ تحاولُ الإنسَ إنما تحاول القَدَرَ .

فغضب منه رستم وضرب عنقه ثم سار فنزل البرس وهناك عاثَ جيشه الفساد فغصبوا الأموالَ والأولادَ ووقَعوا على النساء وشربوا الخمر فشكى أهل البرس إلى رستم فقال لقومه:

والله لقد صدق الأعرابي ، والله ما أسلمنا إلا أعمالنا ، إنّ الله كان ينصركم على العدو ويمكّن لكم في البلاد بحسنِ السيرة وكفٍّ الظلمِ ، والوفاءِ والإحسانِ ، فإذا تغيرتم فلا أرى الله إلا مُغيِّراً ما بكم ، وما أنا بآمنٍ من أن ينزعَ الله سلطانه منكم ، ثم أتى ببعض من يُشْكى منه فضرب عنقه. ثم سار إلى الحيرة.

سعد يستكشف الفرس : علم سعد باقتراب رستم فأرسل سرية فيها عمرو بن معديكرب الزبيدي وطليحة بن خويلد الأسدي يستكشفان خبر الفُرس مع عشرة رجالٍ ، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى سرح العدو على الطفوف وقد ملأوها فرجع عمرو ومن معه وأبى طليحة إلا التقدم فقالوا له : أنت رجلٌ في نفسك غدرٌ ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى ، وعاد عمرو فأخبر سعد باقتراب الفرسِ.

ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وتخطى الألوف وتمكن من أسْرِ أحدهم وجاء به إلى سعد ، فسأله عن حال الفرس وعَدَدهم وعُدتهم فجعل قبل الجواب يصف شجاعة طليحة وما رأى من قتله لجماعة من الفرس ثم أخبره عنهم وأسلم وقاتل مع المسلمين .

مفاوضة رستم : سار رستم من الحيرة حتى نزل بالقادسية على العتيق (جسر القادسية) أمام عسكر المسلمين وبينهم وبينه النهر. ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة، فتأمل المسلمين ووقف على موضعٍ يشرفُ منه عليهم وأرسل إلى **زُهرة بن الحوية** من سادات بني تميم (١) (حسب رواية ابن الأثير) فأراده أن يُصالحه ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه من غير أن يصرح له بذلك بل يقول له : كنتم جيراننا وكنا نحسن إليكم ، ونحفظكم ، ويخبره عن صنيعهم مع العرب .

فقال له زُهرة : ليس أمرُنا أمر أولئك ، إنّا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنما طلبتنا وهمّتنا الآخرة ، وقد كنّا كما ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولا فدعانا إلى ربه فأجبناه ، فقال لرسوله : إني سلّطتُ هذه الطائفة على من لم يُدِن بديني ، فأنا منتقمٌ به منهم وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ ولا يعتصم به أحد إلا عزّ . فقال له رستم : وما هو ؟ قال : أمّا عمودُه الذي لا يصلح إلاّ به فشهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قال : وأيّ شيءٍ أيضاً؟ قال : وإخراج العِباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، والناس بنو آدم وحواء أخوة لأبٍ وأمٍ. قال: ما أحسن هذا . ثم قال رستم : أرأيتَ إن أجبت إلى هذا ومعي قومي، كيف يكون أمركم ، أترجعون ؟ قال : إي والله . قال : صدقتني ، أما إنّ أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم. فقال زُهرة : نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون بل نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا .

ولما انصرف زُهرة من عنده ذاكرَ رستم رؤساءَ قومه في الإسلام فأبَوا ذلك.

---

(١) - في رواية ابن كثير أن سعدا أرسل له المغيرة بن شعبه.

ثمَ إن رستم استمر في طلب الرُسُلِ وهو يسعى ليعرض عليهم في مجلسه النمارق المذهّبة والحرير ويظهر اللآلئ والياقوت ويجلس على السرير المذهَّب ليحاول ترغيبهم في الدنيا وثنيهم عن القتال. ولكن هيهات له أن يؤثِّرَ في أتباع الحقِّ. طلب رستم ثانية من سعد إرسال رجلٍ آخر، فأرسل إليه **ربعي بن عامر** لوحده فسار إليه، ودخل عليه. وقد زين مجلسه بمتاع الدنيا من ذهب وحرير . وجلس على سريره، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ، و لم ينزل راكِبها حتى داسَ بها على طَرْف البساط ثم نزل وربطها ببعض الوسائد ، وأقبلَ وعليه سلاحَه ودِرْعه وبيضته على رأسه، فقالوا له : ضع سلاحك. فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له ، فأقبل يتوكأُ على رمحهُ فوق النمارق فخرق عامتها . فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركّز رمحه على البسط فقيل له: ما حملك على هذا ؟ قال: إنّا لا نستحب القعود على زينتكم ، ثم قال له ترجمان رستم واسمه عبود من أهل الحيرة : ما جاء بكم ؟ قال: ا لله جاء بنا ، و هو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتهاا ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبله منا رجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر . فقال رستم: قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه. فقال ربعي : نعم، وإن مما سن لنا رسول ا لله ﷺ ألا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاثٍ فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر في أمرك واختر واحدةً من ثلاثٍ بعد الأجل : أما الإسلام ، وندعكَ وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكفّ عنك وإن احتجت إلينا نصرناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا ، أنا كفيل بذلك عن أصحابي . قال رستم : أسيّدهم انت ؟ قال: لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم.

رستم مع مستشاريه : ثم خَلا رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم كلاماً قط أعزّ وأوضح من كلام هذا الرجل ؟

فقالوا : معاذ الله أن نميل إلى دينِ هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال رستم: ويحكم إلا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إنّ العرب تستخفُّ باللباس وتصونُ الاحسابَ ، ليسوا مثلكم..

ولما كان اليوم التالي أرسل رستم إلى سعد : أنْ ابعث إلينا ذلك الرجل فبعث إليهم **حذيفة بن محصن** . فأقبل ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم واقفاً، فقال له رستم : إنزل .. قال: لا أفعل . فقال له : ما جاء بك ولم يجيء الأول ؟ قال له: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدّة والرخاء ، وهذه نوبتي . فقال: ما جاء بكم؟ فأجابه مثل الأول . فقال رستم : أو المواعدة إلى يومٍ ما ؟ قال : نعم ، ثلاثاً من أمس.

وفي اليوم الثالث أرسل رستم إلى سعد يطلب رجلاً آخرَ فبعث إليه **المغيرة بن شعبة** ، ولما وصله دخل فجلس مع رستم على سريره ، فوثبوا عليه وأنزلوه. فقال لهم : قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنّا معشر العرب.لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أنّ بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، وإني لم آتكم ، ولكنكم دعوتموني، اليومَ علمتُ أنكم مغلوبون وأنّ مُلْكاً لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول ، فقالت السوقة: صدق والله العربي ، وقالت الدهاقين : والله لقد رمى بكلامٍ لا تزال عبيدنا تنزع إليه، قاتل الله سابقينا حيث كانوا يصغرون أمر هذه الأمة. ثم تكلم رستم بكلام عظّم فيه شأن الفرس وصغر شأن العرب وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وضيق العيش. فقال المغيرة : " أما الذي وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه

ولا ننكره والدنيا دُول ، والشدة بعدُهـا الرخـاءُ ، ولـو شـكرتم مـا أتـاكم الله لكـان شكركم قليلاً على ما أوتيتم ، وقد أسلمكم ضعفُ الشكر إلى تغير الحال وإنّ الله بعث فينا رسولاً... ثم ذكر مثل مـا تقـدم ، وختـم كلامـه بالتخيير بين الإسلام أو الجزية أو المنابذة ". فقال رستم : إذاً تموتون دونها . فقال المغيرة : يدخل من قتل منّـا الجنة ومن قتل منكم النار، ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم.

فاستشاط رستم غضبا ثم حلف أن لا يرتفع الصبح غدا حتى يقتلهـم أجمعـين وانصرف المغيرة .

خلا رستم بأهل فارس وقد أعجب بالعرب فقال لهم : انظروا فـإنّ هـؤلاء لا يخلو أمرهم من أن يكون صدقـا أو كذبـا. فـإن كـانوا كـاذبين ، فـإن قومـا يحفظـون أسرارهم هذا الحفظ ، ولا يختلفون في شيء ، وقد تعاهدوا على كتمـان سِـرِّهِم هـذا التعاقد بحيث لا يظهـر أحـد منهـم سـرَّهُم لقـوم في غايـة الشـدة والقـوة. وإن كـانوا صادقين فهؤلاء لا يقف حذاءهم أحد. فصاحوا حولـه وقـالوا : الله الله إن تـترك مـا أنت عليه لشيء رأيته من هؤلاء الكلاب ، بل صمم على حربهم، فقال رستم: " هـو ما أقول لكم ولكني معكم على ما تريدون "

ثم بعد ذلك أرسل إليه سعد بقية ذوي الرأي فساروا وكـانوا ثلاثـة فكلّمهـم بمثل ما تكلم به وكلّموه بمثل ما تكلم به سابقوهم وضرب لهم الأمثال فقال: إنما مثلكـم في دخولكم أرضنا كمثلِ الذباب رأى العسل فقال من يوصلني إليه وله درهمـان، فلمـا سـقط عليه غرق فيه فجعل يطلب الخلاص فلا يجده وجعل يقول من يخلصني وله أربعة دراهم ؟

وَمَثَلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جحـر في كـرمٍ فلمـا رآه صـاحب الكـرمِ ضعيفاً رحمه فتركه، فلما سمن أفسد شيئاً كثيراً فجـاء بجيشـه واستعان عليـه بغلمانـه فذهب ليخرج فلم يستطع لسمنه، فضربه حتى قتله فهكذا تخرجون من بلادنا.[1]

---

(١) – ورد في البداية والنهاية أن هذا قيل للمغيرة بن شعبة .

ثم قال أحدُ المسلمين : أما ما ضربت لنا من الأمثال فليس كذلك ولكن إنما مثلكم كمثل رجل غرس أرضاً واختار لها الشجر وأجرى اليها الأنهار وزيّنها بالقصور، وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها ، فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب فأطالَ إمهالهم فلم يستحيوا ، فدعا إليها غيرهم وأخرجهم منها ، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناسُ وإن أقاموا فيها صاروا خولاً لهؤلاء فيسومونهم الخسف ، وا لله لو لم يكن ما نقول حقا و لم يكن إلا الدنيا لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقارعناكم عليه !

فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا: بل اعبروا إلينا .

استعداد الفرس : رجع الوفد إلى سعد وأخبره بما اتفق عليه مع الفرس ، بينما تجهز رستم وعبر نهر العقيق بجيشه العرمرم الذي قارب المائة والعشرين ألفاً ومعهم ثلاثون فيلاً فنظم صفوفه وجعل في القلب ثمانية عشر فيلاً عليها صناديق ورجال وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والفيرزان بينه وبين ميسرته . وكان اتصاله بيزدجرد عن طريق رجال وَضَعَهم يزدجرد أولهم على باب إيوانه وآخرهم مع رستم.

تنظيم صفوف المسلمين : أما سعد فكان به يومئذٍ مَرَض عِرق النساء وقروحٌ في إِلْيَتِهِ لا يستطيع معها الجلوسَ أو ركوبَ الخيل فجلس مكبّا على وجهه فوق وسادةٍ وهو ينظر إلى الجيش يدير أمرَه وقد جعل أمـرَ الحرب إلى خالد بن عرفطة وجعل على الميمنة جرير بن عبدا لله البجلي وعلى الميسرة قيس بن مكشوح.

ثم دعا بناس من ذوي الرأي والنجدة منهم المغيرة بن شعبة وطليحة الأسدي وعمرو بن معديكرب وأمثالهم، وأمرهم بتحريض الناس على القتال ففعلوا وأمر سعد الناس بقراءة سورة الأنفال ، فلما قرئت اطمأن الناس بها وملأت قلوبهم السكينةُ فلما فرغ القراء منها قال سعد :

الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فإذا صلّيتم فإني مكبر تكبيرةً فكبروا واستعدوا ، فإذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عُدتكم ، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ، فإذا كبرتُ الرابعةَ فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا با لله ، فلما كبر سعد التكبيرة الثانيةَ تهيأ الناس ثم كبرَ الثالثةَ فأنشب أهل النجدات القتال وخرجوا يبارزون أهل فارس الذين أقبلوا عليهم . وكبرَ سعد الرابعةَ فالتحم الجيشان في قتال شديد أبلى فيه صناديد المسلمين بلاءً حسناً وقتلَ من الطرفين خلقٌ كثير، لكن فيلة الفرس أخافت خيول المسلمين واشتد الأمر على قبيلة بجيلة فأعانهم سعد ببني أسد واستبسل بنو تميم فعمدوا إلى قطع أوضان الفيلة فوقعت الصناديق عن ظهورها و لم يبق راكبٌ من ركبان الفيلة إلا قُتِل فعادت الفيلة إلى أماكنها بعد أن قُتل من بني أسد نحو خمسمائة مقاتل .

استمر القتال شديداً إلى أن غَرُبت الشمس فانفصل الجيشان وكان الظفرُ في هذا اليوم ظاهراً في صفوف الفُرس وسمي هذا اليوم يوم أرماث وسميت ليلته ليلة الهدأة لإنه لم يحصل فيها قتال .

فلما أصبحوا وَكَّلَ سعد بالجرحى من يداويهم وبالقتلى من يدفنهم وعبىَّ الجيش كما كان بالأمس .

وفي اليوم التالي أصبح القوم على تعبئة وبينما هم كذلك إذْ ظهرت نواصي خيل المسلمين قادمةً من الشام بجيشٍ تعداده ستة آلاف مقاتلٍ وعليه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى مجنبته قيس بن هبيرة والهزهاز بن عمرو العجلي، وتعجل القعقاع حتى قَدِم على المسلمين بالقادسية يوم أغوات وكان عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه قد أرسل إلى أبي عبيدة بن الجراح بعد فتح دمشق أن يرد الجند الذين جاءوا من العراق إلى الشام مع خالد بن الوليد ليكونوا عونا لجنود سعد على قتال الفرس فكان وصولهم قبل انتشاب القتال ذلك اليوم.

أراد القعقاع أن يُوقِعَ الرُّعْبَ في قلوب الفرس فعهد إلى أصحابه ان يتقطعوا أعشارا وطلب منهم أن لا تسير فرقة حتى تكون الفرقة التي سبقتها على مدى البصر ثم سار هو على رأس الفرقة الأولى .

ولما بلغ القعقاع سعداً وأصحابه بالقادسية سلّم عليهم وبشّرهم بالجنود وأقبالها ثم تقدم الصفوف يستفتح القتال بعد أن قال للناس اصنعوا كما أصنع فلما كان بين الصفين نادى: من يبارز ؟ فخرج إليه ذو الحاجب وعرَّفه بنفسه قائلاً : أنا بهمن جاذويه ! عند ذلك صاح القعقاع : يالثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر! ثم انقض عليه القعقاع وقتله.

ورأى الناس صنيعهُ والجنود المقبلةُ من الشام فتنشطوا وكأن لم تكن بالأمس مصيبة فخرجوا من كل ناحية يقاتلون الفرس، وزادهم حماسا أن لم يروا الفيلة بينهم وحميَ القتال والقعقاع يبدّد صفوف الأعداء وصِيْحَ في الناس : باشروهم بالسيوف فإنما يحصد الناس بها .

حمل بنو عمٍ للقعقاع عشرةً عشرةً على إبل قد ألبسوها وهي مجللةٌ مبرقعةٌ تشبه الفيلة نفرت منها خيلُ الفرس ، فركبتهم قوات المسلمين وأعملوا فيهم السيوف قتلاً وبتراً .

استمر القتال إلى نصف الليل وقد شعر فيه المسلمون بالظَفَر وسمي هذا اليوم يوم أغواث وهو اليوم الثاني من أيام القادسية وتسمى ليلته ليلة السواد. وقتل من المسلمين ألفان ومن المشركين الفرس عشرة آلاف.

كان عند سعد رجلٌ مسجونٌ على الشراب هو" أبو محجن الثقفي" فلما رأى الخيول تصول وتجول وكان من الشجعان الأبطال قال :

كفى حزناً أن تُردى الخيلُ بالقَنا وأُتركُ مشدوداً عليَّ وِثاقيا

حتى قال :

و للهِ عهدٌ لا أخيسُ بعهــــدهِ   لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فلما سمعت سلمى (زوج سعد بن أبي وقاص) شعره رقّتْ له وقالت: إني استخرت الله ورضيت بعهدك وأطلقته فاقتاد البلقاء وركبها وعليه سلاحه، وانطلق بين الصفين يكبر ويقصف الأعداء بسيفه قصفا منكراً و لم يعرفه الناس، أما سعد فكان يقول: لولا محبسُ أبي محجن لقلتُ هذا هو أبو محجن وهذه البلقاء. فلما انقضى اليوم رجع فوضع رجليه في القيدِ وتحمل سعد فنزل فوجد فرسهُ يعرقُ فسأل في ذلك فـروت لـه سـلمى ما حدث فرضيَ عن أبي محجن وأطلقَهُ..

وفي اليوم الثالث أصبح الجيشان في مواقفهـم بعـد أن دَفَـنَ كـلُّ جيـش قتـلاه ونقل الجرحى إلى حيث يُعنى بهم وكانت نساء المسلمين يَعنين بـالجرحى ويمرِّضنهـم ولذلك كان دورُ المرأةِ في المعارك الإسلامية رائعاً خلّدهُ التـاريخ. أمـا قتلى المشـركين فقد تُرِكوا على أرض المعركة لم يعتن بهم أحد.

احتاط الفرسُ في هذا اليوم على الفيلـة فجعلـوا وراءهـا رجـالاً يحمونهـا لئـلا تقطع وضنها، ولكن خيل المسلمين لم تنفر منها لأنّ الفيلَ إذا كان وحده كان أوحش وإذا طاف به أصحابه كان آنس .

ابتدأ القتال وحميَ وطيسُهُ وكـان سـجالاً بـين الفريقـين، يتقـدم العـرب تـارةً فيردهم الفرسُ ويتقدم الفـرسُ تـارةً فـيردهم العـرب وأقحـم الفـرسُ الفِيلَـة ، فـدارت المعركةُ من حولهـا حتـى أَلِفَـتْ ذلـك فعـادت تفتـك بالمسـلمين، ورآهـا سـعد تفعـل الأفاعيل فأرســل إلى القعقـاع وعـاصم ابـني عمـرو : أكفيـاني الفيـل الأبيـض وكـان بازائهما وأرسل إلى حمّال والربيل وكانا من بني أسد يقول: أكفيـاني الفيـلَ الأجـربَ وكان هذان الفيلان أشدَّ الفيلةِ ضراوةً وكانت الفيلة كلها تتبعهما ، وترجـلَ القعقـاع وعاصم فوضعا رمحيهما في عيني الفيل الأبيض ، فتراجع الحيوانُ من الألم ونفض رأسـه وطرح سائِسَهُ وَدَلّى مشفَرَهُ فضربه القعقاع بسيفه وحَمَلَ حمّـال والربيـل على الفيـل

الأجرب ففقئا إحدى عينيه وضربا مشفرَهُ وصاح الفيلان وارتدا ناحية صفوف الفرس وتبعتهما الفيلة وألقت ما عليها وعبرت العقيق حتى أتت المدائن.

ولما ذهبت الفيلة ، تزاحم المسلمين على أهل فارس واقتتلوا بشدةٍ حتى أقبل الليلُ والغبار مخيمٌ.

فهدأ القتال ، لكن سعد خشي أن يأتيه العدو من مخاضةٍ بأسفل العسكر فارسل طليحَة وعمراً في جماعة من الجند وقال لهما :" إن وجدتما القوم قد سبقوكما إليها فانزلا بحيالهم وإن لم تجدوهم علّموا بها فأقيما حتى يأتيكما أمري ". و لم يجدا على المخاضةِ أحدا فسولت لهما نفساهما أن يخوضاها وأن يأتيا الأعاجم من خلفهم واختلفا كيف يفعلان، فأخذ طليحة مكانه وراء العسكر وكبرَ ثلاثَ تكبيراتٍ ارتاع لها أهل فارس، وظنوا أن جيش المسلمين ازمع الغدر بهم ، وتعجب لسماعها المسلمون وظنّوا أن الأعاجم فتكوا برجالهم فهم يكبرون مستغيثين ، وأغار عمرو على جماعةٍ من الفُرسِ أسفل المخاضةِ ، فلم يبق لديهم ريب في غدر العرب بهم ، فقَدّموا صفوفهم زاحفين، ورأى القعقاع صنيعهم فزاحفهم من غير أن يستأذن سعداً .

وأطلّ سعد فرأى القعقاعُ يزاحفهم ، فقال: اللهم اغفرها له وانصره فقد أذنتُ له وإن لم يستأذني .

واستقبل الناس الفرسَ بسيوفهم فكان للسيوف قعقعةٌ وصليلٌ وكان المقاتلون لا يتكلمون بل يصيحون ، والقتال يشتدّ ويحمى وطيسُه مع تقدم الليل، وانقطعت الأخبار عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء وسميت هذه الليلة بليلة الهرير.

استمر القتال إلى الصباح فقال القعقاع: إنّ الدائرة تكون لمن صبر ساعةً فاصبروا ساعةً ، فإن النصر مع الصبر. وانضم إليه جماعةٌ من الرؤساء واقتتلوا أشدّ القتال حتى بدأت صفوف الفرس تضطرب ، فتراجع الفيرزان والهرمزان وهبّت ريحٌ شديدةٌ فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت إلى العقيق، وزحف القعقاع ومن معه

إلى السرير فحملَ هلال بن عُلفة أحد فرســان المسـلمين فقتـلَ رُسـتم ، ثـم صعـد إلى سـريره يصيـح : قتلـت رسـتم ورب الكعبـة، إليّ ! إليّ ! وأطـاف الجنـد بـه يُكـبرون ويهللون. فنفله سعد سَلَبَهُ و لم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألفٍ.

عرف الأعاجم ما اصاب قائدهم الأعظم فَوَهِنَتْ قوتهم وقام فيهم الجـالينوس على الردمِ ونادى الفُرسَ إلى العبور، كما عبر الفيرزان والهرمزان لكن الردم أنهار بهـم في النهر فغرق بانهياره ثلاثـون ألـف فارسـيٍّ مقـترنين بالسلاسـل، وانهزمـت جيـوش يزدجرد شر هزيمة وأخذ ضرار بن الخطاب "درفش كابيان" وهو العلـمُ الأكـبرُ الـذي كان للفرس فعوض منه ثلاثين ألفاً وكانت قيمته ألـفَ ألـفٍ ومـائتي ألـفٍ، وقتلـوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الأيام المقبلة، وقُتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة وقُتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستةُ آلافٍ.

ملاحقة المنهزمين بالقادسية

انهزم الفرس كما ذكرنا سابقا وعبروا العتيق فمنهم من فرَّ إلى مـا وراء النهـر ومنهم من سقط غريقا فقُتلَ قائدهم رستم وأرسل سعد إلى هــلال فسـأله عـن رسـتم فأحضره ، فقال: جرده إلا ما شئت، فأخذ سلبه فلم يـدع عليـه شيئاً وأمـر القعقـاع وشرحبيل باتباعهم حتى بلغا الخرارة من القادسية وخرج زهرة بن الحويـة التميمـي في آثارهم في ثلاثمائة فارسٍ ثم أدركه الناس فلحـق المنهزمـين والجـالينوس يجمعهـم فقتلـه زهرة وأخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة إلى السليحين إلى النجف.

لما تبع المسلمون الفرس كان الرجل يُشير إلى الفارسيّ فيأتيه فيقتله، وربما أخذ سلاحه فقتله به وربما أمر الرجلين فيقتل أحدهما صاحبه ، نظرا لما أصابهم من وهنٍ.

ولحق سليمان بن ربيعة الباهلي وعبدالرحمن بن ربيعة بطائفةٍ من الفـرس وقـد نصبوا رايةً وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فقتلهم سلمان ومن معه. وتراجـع النـاس مـن طلب المنهزمين وسمي هذا اليوم بيوم القادسية .

وجُمع في ذلك اليوم من الأسلاب والأموال ما لم يُجمع مِثْله، فأمر سعد بتقسيمها كما أمر الله سبحانه وتعالى وبعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب .

الخليفة عمر ينتظر النتيجة

كان عمر رضي الله عنه يخرج كل يوم من المدينة يتنسم الأخبار حتى ينتصف النهار وتشتد الحرارة فيعود إلى أهله ومنزله حتى كان ذات يوم لقي فيه البشير فسأله عمر : من أين ؟ قال له الرجل: من قبل سعد فقال : يا عبدالله حدثني ، قال: هزمَ الله المشركين ، وعمر يخبّ معه يسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة وإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين ، فقال البشير: هلاّ أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : لا بأس عليك يا أخي .

برس [1]

وقتها : شوال من السنة الرابعة عشرة للهجرة .

موقعها : برس .

قادتها : زهرة بن الحوية.

تقدم زهرة بن الحوية في فرسان المسلمين وتبعه عبدالله بن المعتم وشرحبيل ابن السمط ثم هاشم بن عتبة ومعهم السلاح والمال والكراع ، فلما وصلت مقدمتهم برس لقيهم جمعٌ من الفرس عليهم " بصبهري " و لم يكن بين الفريقين كبيرُ قتالٍ حتى انهزم الفرس وصاروا إلى بابل ونجا بصبهري بطعنةٍ مات بعدها .

ولما رأى بسطام دهقان برس أنّ المسلمين قادمون على بلاده وقد علم أن بلده لا بد واقع في قبضتهم خاف معرّة دخولهم عليه عنوة وخشي أن يناله أحدٌ منهم

---

(1) – برس : اجمة في موضع قريب من بابل وبعضهم يسمي هذه الموقعة يوم برس.

بسوءٍ فبادر إلى زهرة واعتقد منه ذمّة وعقد له الجسور وأتاه بخبر الذين اجتمعوا بيابل لمواقفة المسلمين.

يوم بابل

وقتها : شوال من السنة الرابعة عشرة للهجرة .

موقعها: بابل .

قادتها : سعد بن أبي وقاص .

أحداثها

قدم سعد بن أبي وقاص على زهرة في برس وأعلمه ما كان من خبر تجمع الفرس ببابل فسارا جميعا إليها والتقوا بالفيرزان ومن معه من الفرس المنهزمين وقد قالوا نقاتلهم قبل أن تفترق ، ولكن ما لبث القتال أن بدأ حتى انهزموا بسرعةٍ وانطلقوا على وجوههم . فخرج الهرمزان متوجهاً نحو الأهواز وخرج الفيرزان حتى نزل على نهاوند وبها كنوز كسرى فاحتواها وولى النخيرجان ومهران الرازي وجهيهما شطر المدائن .

كوثي

وقتها : شوال من السنة الرابعة عشرة للهجرة .

موقعها : كوثي – موضعٌ قريبٌ من بابل .

قادتها : زهرة بن حوية .

أحداثها

استخلف النخيرجان ومهران على جنودهما شهريار (دهقان كوثي) وهربا إلى المدائن . أما سعد فأقام ببابلٍ وقدّم زهرة بن الحوية فسار نحو كوثي وقد أقامت قوةٌ من المجوس بين الدير وكوثي وفي جوانب كوثي التقت أوائل خيل المسلمين بجيشِ شهريار.

خرج شهريار عليه درعه وبيده رمحه ينادي ويقول : " ألا فارسٌ منكم شـديدٌ عظيمٌ يخرج إليّ حتى أنكّل به " فأجابه زهرة :

لقد أردت أن أبارزكَ ، فأما إذ سمعت قولك فـإني لا أخـرج إليـك إلا عبـداً، فإن أقمتَ له قتلكَ إن شاء الله ببغيك وإن فررتَ منه فإنما فررت من عبدٍ"

ثم أمر أبا نباتة ، نائل بن جعشم الأعرجي – وكان من شـجعان بـني تميـم – فخرج إليه وبيده رمح أيضاً وكان كلاهما جسيماً (وثيق الخلق) إلا أن شهريار مثل الجمل.

فلما رأى نائلاً ألقى الرمح ليعتنقه وألقى نائلٌ رُمحه ليعتنقـه وانتضيـا سيفيهما فاجتلدا واعتنقا (تصارعا) فخرا عن فرسيهما فوقـع شـهريار علـى نـائل كأنـه بيـت فضغطه بفخذه وأخذ الخنجر وأراغ حل أزرار درعه فوقعـت إبهامـه في نـائلٍ فحطـم عظمها ورأى منه فتوراً فثاوره فجلد به الأرض ثـم قعـد علـى صـدره وأخـذ خنجـره فكشف درعه وطعنه في بطنِهِ وجنبِهِ حتى مات وأخذ فرسه وسواريه وسلبَهُ وانكشف أصحابه فذهبوا في البلاد .

وأقام زهرة بكوثي حتى قدم عليه سعد فقدم إليه نائلاً وألبسه سلاح شـهريار وسواريه وأركبه برذونه وغنّمه الجميع فكان أول أعرجـي سُـور بـالعراق، وأقـام بهـا سعد أياماً .

بيسان وطبرية

وقتها : السنة الرابعة عشرة للهجرة .

موقعها : بيسان وطبرية .

قادتها : شرحبيل بن حسنة على جند بيسان .

أبو الأعور السلمي على جند طبرية .

أحداثها

بعد أن فرغ شرحبيل بن حسنة سار ومعه عمرو بن العاص إلى بيسان وقد تجمع فيها عددٌ كبيرٌ من الروم فحاصرهم أياما حتى خرجوا إليه فاقتتلوا فهزمهم جند المسلمين وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ثم صالحوهم على مثل ما صالحت عليه دمشق وضربوا عليهم الجزية .

ولما سمع أهل طبرية بما جرى في بيسان صالحوا أبو الأعور السلمي على ما صالح عليه أهل بيسان .

ونزل القواد بجندهم في مدائن المنطقة وقُراها . وكُتب بذلك إلى عمر بن الخطاب .

فتح أجنادين

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

موقعها: أجنادين .

قادتها : عمرو بن العاص على جيش المسلمين .

أرطبون على جيش الروم .

أحداثها

كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يأمره بالمسير إلى إيلياء ومناجزة صاحبها .

فسار عمرو بجيشه وقد وضع على ميمنته ابنه عبدا لله بن عمرو وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي من بني مالك ومعه شرحبيل بن حسنة واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي ، حتى وصل أجنادين فوجد عسكر الروم وقد اجتمعوا بها وعليهم قائد روماني يسمى الأرطبون وكان أدهى الروم وأبعدهم غوراً، استعد للقاء المسلمين فوضع جيشاً عظيماً بالرملة وجيشاً آخر عظيماً بإيلياء .

لما رأى عمرو أن قوة الروم أكبر مما كان يظن كتب إلى عمر بن الخطاب الذي قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عما تنفرج. وكتب إلى يزيد بأن يبعث بأخيه معاوية بن أبي سفيان في جيشٍ إلى قيسارية فسار إليها وافتتحها ليشغل جيش الروم عن عمرو .

ثم إن عمرو بعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة وعليها التذارق وبعث مسروق العكي لقتال أهل ايلياء ليشغلهم عن إمداد أرطبون. وتتابعت عليه الإمدادات من عند عمر فيرسلها لدعم الجيوش .

أقام عمرو على أجنادين لا يقدر على شيء ، وسارت بينهم الرسل دون أن تحقق له مراده . فسار إليه بنفسه ودخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد معرفته.

فطن الأرطبون لذلك ووقع في نفسه أن الرسول هو عمرو بن العاص ومستشار عمر في الحرب فأمر أحد حراسه سرا بقتله . ففطن عمرو إلى كلام الأرطبون فقال : قد سمعت مني وسمعت منك ، وقد وقع قولك مني موقعاً وأنا واحدٌ من عشرةٍ بعثنا عمر إلى هذا الوالي لنشهد أموره ، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت ، فقال الأرطبون : نعم . فاذهب فاتني بهم ثم دعا مَنْ أمَرَهُ بقتله لِيَكفَّ . وقام عمرو فذهب إلى جيشه .

ولما تحقق للأرطبون أنه عمرو بـن العـاص قـال : خدعـني الرجـل، هـذا وا لله أدهى العرب . وبلغ عمر بن الخطاب ذلك فقال : لله دَرّ عمرو .

ثم ابتدأ الطرفان القتال ، وكان شديدا كقتال اليرموك حتى كثر القتـل بينهـم ثم اجتمعـت الجيـوش الاسـلامية فهـزم أرطبـون وفـر إلى ايليـاء فدخـل المسـلمون إلى أجنادين وتقدموا نحو بيت المقدس .

كان من انتصار عمرو على أرطبون أن أذعن لسلطان العرب كل من يافا ونـابلس وعسقلان وغزة والرملة وعكا وبيروت وفتحت أبوابها من غير قتال إلا بيت المقدس.

ساباط

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

مكانها : ساباط .

قادتها : زهرة بن الحوية .

أحداثها

سار زُهرة بن الحوية نحو بهرسير[1] وفي ساباط على بعد ثلاثين كيلومـتراً مـن المدائن بطريق بهرسير استقبله شيرزاد - وهو صاحب سـاباط - بطلـب الصلـح وأداء الجزية عن ساباط فبعث به زهرة إلى سعد .

ثم سار زهرة حتـى قـدم " مُظلـم " بضواحـي سـاباط فـالتقى بقـوةٍ مجوسـيةٍ ذكرتها المصادر على أنها كتيبة كسرى وحملت اسم بوران بنت كسرى برويز، وكان أهل هذه الكتيبة يحلفون كل يوم ألاّ يزول ملك فارسٍ ما عاشوا فلقيهم زُهـرة بجنـوده فهزمهم .

---

(١) - في الطبري بهرسير

ثم جاء هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (ابن أخي سعد) المظلم ووقف حتى لحق به سعد فدخلا إلى المظلم وقرأ " أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال".

ثم اتجه الجميع إلى بهرسير فكانوا أفواجاً تترى كلما قدمت خيلٌ من خيول المسلمين إليها كبروا إلى أن تتام الجند .

بهرسير

تاريخها :ذي الحجة من السنة الخامسة عشرة للهجرة .

موقعها : بهرسير [١] .

قادتها : سعد بن أبي وقاص .

أحداثها

اجتمع الجيش المسلم حول بهرسير وأقاموا يحاصرونها شهرين ويرمونها بالمجانيق ويدبون إليها بالدبابات ويقاتلونهم بكلِّ عُـدةٍ . ولم يهن الفرس بشدة هذا الرمي فقد أيقنوا أنهم إن لم يردُّوا عدوهم عن مدينتهم انكشفت أمامهم العاصمة وعَظُم الخطر عليها . وليس الدفاع عن بهرسير بالأمر العسير فأسوارها قويةٌ وحصونها منيعة وجسر دجلة يصلها بالمدائن وعلى هذا الجسر تجيء من أرجاء فارس إمدادا لا تحصى وأقوات لا نهاية لها ، وفي أثناء الحصار كانت قوات الفرس تتخطى الأسوار أحياناً تقاتل المسلمين لعلها تنزل بهم من الهزيمة ما يردهم على أعقابهم، لكن المسلمين كانوا لا يفتأون يظفرون بهذه القوات ويردونها إلى المدينة تحتمي بأسوارها.

وخلال هذا القتال أصيب زُهرة بسهم من قَطْعٍ في درعه فغرست فيه ورغم ذلك فقد مضى نحو المجوس فضرب بسيفه شهربراز من أهل اصطخر فقتله وانكشف أصحابَه .

---

(١) – بهرسير : إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن وهي في جهة دجلة الغربية وذكرت في البداية والنهاية نهرشير.

استمر الحصار حتى قيل أنهم أكلوا الكلاب والسنانير وبينما هم يحاصرونهم إذْ أشرف عليهم رسولُ الملكِ فقال: الملك يقول لكم : هل لكم إلى المصالحة على أنّ لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أمَا شبعتم لا أشبع الله بطونكم.

فردَّ عليه أبو مُغزِّر الأسود بن قطبة ، وقد أنطقه الله بما لا يدري ! قال لهم ما قال ثم رجع .فرأيناهم يقطعون إلى المدائن ! فقلنا يا أبا مُغزِّر ، ما قلت له ؟ فقال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما هو ، وأنا أرجو أن أكون أنطقت بالذي هو خير، فنادى سعد بالناس ، فنهدوا إليهم . فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج رجلٌ إلا رجلٌ ينادي بالأمان فأمّناه. فقال لهم : ما بقي بالمدينة أحد فما يمنعكم. فتسوروها الرجال ، ودخلوها . وعلموا أن حامية بهرسير انتقلت إلى المدائن بأمر يزدجرد وأنها أحرقت الجسر وجمعت كل السفن التي تجري فوق دجلة ليبقى النهر بتياره المتدفق خطّ دفاع يرد الغزاة عن العاصمة .

دخل المسلمون بهرسير في جوف الليل وأرادوا العبور إلى المدائن فلم يجدوا الجسر ليعبروا عليه و لم يجدوا سُفنا تحملهم فوقفوا على شاطئه فرأوا أمامهم منظرا بهرهم وهو إيوان كسرى بقبته البيضاء الشامخة وجدرانه البيضاء ولما أقبل ضرار بن الخطاب في زمرته ورأى ما رأوا نادى بأعلى صوته : الله أكبر ! هذا أبيض كسرى ! هذا ما وعد الله ورسوله. عند ذلك تعالت الأصوات بالتكبير من كل جانب .

فتح بيت المقدس

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

موقعها : بيت المقدس (إيلياء).

قادتها : أبو عبيدة عامر بن الجراح .

أحداثها

لما فرغ أبو عبيدة من دمشق وَلّى عليها سعيد بن زيد وسار مع الجيوش لمحاصرة بيت المقدس. فلما وصلها حاصرها حصاراً شديداً وضَيَّقَ عليهم حتى لم يجدوا مَفَرّاً من طلب الصلح، فلا مَدَدٌ يأتيهم والبلاد كُلّها من حولهم قد وقعت بأيدي المسلمين فأجابوا إلى الصلح واشترطوا أن يَقْدِمَ عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب."وفي روايةٍ أن عمرو بن العاص بعثَ رسولاً للأرطبون الذي دخل بيت المقدس يطالبه بالصلح فرفض الأرطبون وقال وعنده وزراؤه : لا يفتح وا لله عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين، فقالوا له : من أين علمت هذا ؟ فقال : صاحبها رجلٌ صفته كذا وكذا، وذكر صفة عمر. فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره الخبر فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب ". كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب بذلك فاستشار عمر الناس فأشار عليه عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم ، وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم .

رغب عمر بما قال علي ولم يَهْوَ ما قال عثمان وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، فَقَدِمَ الجابية وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بها فلقوه فكان أول من لَقِيَهُ يزيد بن أبي سفيان ثم خالد بن الوليد ثم أبو عبيدة ثم بقية الأمراء وعليهم يلامق الديباج، فنزل عمر وقد أغضبه ذلك فأخذ الحجارة يضربهم بها فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح ، وأنهم يحتاجون إليه في

حروبهم فسكت عنهم . وكان ذلك حرصاً منه رضي الله عنه على أن لا يُركَنَ المسلمون لفتن الدنيا وينسوا الآخرة .

اجتمع الأمراء كلهم بعدما استخلفوا على أعمالهم عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة فكانا مواقفين للأرطبون بأجنادين، فبينما عمر في الجابية إذا بِكَرْدوسٍ من الروم بأيديهم سيوف مسلولةٌ ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح ، فقال عمر : إنّ هؤلاء قومٌ يستأمنون ، فساروا نحوهم فإذا هم جندٌ من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر رضي الله عنه إلى ما سألوا . وكتب لأهل إيلياء كتابا هذا نصّه :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر مِلّتِها لا تُسكَنُ كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ولا يضار على أحدٍ منهم ولا يسكن معهم أحدٌ من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمنٌ على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن أقام منهم ، فهو آمنٌ وعليه مثلُ ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحبَّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعه وصلبه فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل (فلان) فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ومن شاءَ رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيءٌ حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهدُ الله وذمةُ رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية ، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة ١٥ هـ ".

ولما أتم عمر عهد الصلح أراد المسير إلى بيت المقدس فأُتيَ له ببرذون فركبه، فلما سار جعل يتخلج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال : لا عَلّمَ الله من عَلّمَكَ هذا الخيلاء ! ولم يركب برذوناً قبله ولا بعده .

ثم ركب فرسه ودخل المسجد الأقصى ولما وصل كنيسة القيامة وجلس في صحنها وحان وقت الصلاة ، قال للبطريرك : أريد الصلاة ، فقال له : صَلِّ موضعك، فامتنع وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً ، فلما قضى صلاته قال للبطريرك : لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا : هنا صلّى عمر وكتب لهم ألا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يُؤذنُ عليها ثم قال : أرني موضعا أبني فيه مسجداً فقال: على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب ووجد عليها ردماً كثيراً ، فشرع في إزالته وتناوله بيده يرفعه في ثوبه واقتدى به المسلمون كافةً، فزال لحينه وأمر ببناء المسجد (١). ثم ولّى رضي الله عنه الولاة على الشام بعد أن قسّمَها أقساماً وقسّمَ الأموال وجنّدَ الأجناد وعاد إلى المدينة فائزاً منصوراً .

---

(١) – اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضري ١١٦.

فتح قيسارية

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

موقعها : قيسارية .

قادتها : معاوية بن أبي سفيان .

أحداثها

كتب عمر إلى يزيد بن أبي سفيان أنْ يرسل معاوية بن أبي سفيان إلى قيسارية وكتب إليه: " أما بعد، إني قد وَلَّيتُكَ قيسارية فَسِرْ إليها واستنصر الله عليهم وأكثِر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الله ربَّنا ، وثقتُنا ورجاؤنا ومولانا فنِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير".

سار معاوية إلى قيسارية وكان فيها قريباً مائة ألفٍ أو يَزيدون فحاصرها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم إلى حِصنهم حتى زاحفوه آخر مرة واقتتلوا قتالاً شديداً ففتح الله عليه وتمكن من الانتصار عليهم وقتلَ منهم ما يزيد على ثمانين ألفاً.

وبعث بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب .

فتح حلب وإنطاكية وغيرها

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

موقعها : حلب .

قادتها : أبو عبيدة عامر بن الجراح .

أحداثها

فتحُ حلب : سار أبو عبيدة إلى حلب فوجد حولها أصنافاً من العرب فصالحهم على الجِزْيَةِ ثم أسلموا بعد ذلك. وواصل سيره إلى حلب وعلى مُقَدّمته عياض بن غنم الفهري فتحصّن أهلها ثم طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم وكنائسهم وحصنهم فأجابهم أبو عبيدة على ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد. وقيل إن الذي صالحهم عياض فأجاز أبو عبيدة ذلك .[1]

فتحُ إنطاكية : ثم سار أبو عبيدة إلى إنطاكية وقد تحصَّن بها خَلْقٌ كثيرٌ من الفارّين من قنسرين وغيرها فلما فارقها لَقِيَهُ جمعُ العدوِّ فهزمه فألجأهم إلى المدينة وحاصرها من جميع نواحيها ، ثم إنهم صالحوه على الجلاء أو الجزية فجلا بعض وأقام بعض فآمنهم، ثم نقضوا فوجّه أبو عبيدة إليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ، ففتحاها على الصلح الأول .

وكانت إنطاكية عظيمة الذِكْرِ عند المسلمين ، فلما فُتحت كتب عمر إلى أبي عبيدة أن رَتِّبْ بإنطاكية جماعةً من المسلمين واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء .[2]

فتحُ بلدانٍ أخرى : ثم إن أبا عبيدة بَلَغَهُ أنّ جمعاً من الروم بين معرّة مصرين وحلب فسار إليهم فلقيهم فهزمهم وقتل عدةً بطارقةٍ وسبى وغنِم وفتح (معرة مصرين) على

---

(۱) – ابن الأثير ٢/٤٩٥.

(۲) – ابن الأثير ٢/٤٩٥.

مثل صلح حلب ثم بثّ السرايا لِمَا جاورها من القرى والبلدان فبلغتْ (بوقا) وفتحت قرى (الجومة ، وسرمين وتيزين) . ثم سار إلى (مَنْبَجْ) من بلاد الروم على الفرات فصالح أهلها على مثل صلح حمص ، ثم فتح (دلوك) (ورعبسان) صلحا واشترط على أهلها أن يخبروا المسلمين بأخبار الروم ثم وجّه أبو عبيدة خالد وهو بمنبج إلى (مرعش) ففتحها وأجْلى أهلها وأخربها ، كما أنه فتح حصن (الحدث) وبذلك أكمل أبو عبيدة فتح أرض الشام من هذه الناحية إلى الفرات فولّى على كل مدينة فتحها عاملاً وضمَّ إليه جماعةً يعاونونه في إدارة منطقته وجيشاً يُدافع عنها، وكان بجبلِ اللطام مدينة يقال لها: جرجرومة وأهلها يقال لهم: الجراجمة فسار حبيب بن مسلمة إليها من إنطاكية أم فتحها صلحاً على أن يكونوا أعواناً للمسلمين.[1]

ثم عاد أبو عبيدة إلى فلسطين وسيَّر جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي وأمدّهُ بمالك بن الحارث الملقب بالأشتر فسلكوا درب بفراس من أعمال انطاكية وهو أول من سلك ذلك الدرب فلقي جمعاً للروم معهم عربٌ من غسّان، وتنوخ، وأياد يريدون اللحاق بهرقل ، فأوقع بهم وقتل منهم عدداً كبيراً .

(١) – ابن الأثير ٤٩٦/٢.

فتح قنسرين

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

موقعها : قنسرين .

قادتها : خالد بن الوليد على المسلمين .

ميناس على الروم .

أحداثها

بعث أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين فلما وصلها زحف إليه الروم بقيادة ميناس وكان من أعظم الروم بعد هرقل، فقاتلهم خالد قتالاً شديداً وقتلَ منهم خلقاً كثيراً بما فيهم قائدهم ميناس ثم سار إلى قنسرين . فتحصن أهلها فقال لهم خالد: لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم أو لأنزلَكُمْ إلينا .

فنظروا في أمرهم وما لقيه أهلُ البلدان الأخرى من المسلمين وعلموا أن لا طاقة لهم بحربهم فطلبوا الصلح على ما صالح عليه أهلُ دمشق . فأبى خالد إلا أن يكون ذلك بعد تخريب المدينة فخُرِّبَتْ حصونها.

ولما بلغ عمر ما صنعه خالد في هذه الوقعة قال : يرحم الله أبا بكر كان أعلم بالرجال مني ، والله إني لم أعزله عن رِيبَةٍ ولكني خشيت أن يوكل الناس إليه.

ثم إنّ هرقل أدرب نحو القسطنطينية ، فلما أراد المسير منها علا على نَشزٍ والتفت إلى الشام فقال : السلام عليك يا سورية، سلامٌ لا اجتماع بعده ، إلا أن أسلم عليك تسليم المفارق ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم ويا ليته لم يولد فما أحلى فعله وأمرّ فتنته على الروم . ثم سار فدخل القسطنطينية .

ولما فرغ أبو عبيدة من قنسرين وسار إلى حلب بلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا، فوجّه إليهم السمط الكندي فحاصرهم وفتحها وأصاب فيها بقرا وغنما فقسّمَ بعضه في جيشه ، وجعل بقيته في المغنم .[1]

موقعة مرج الروم

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

موقعها : مرج الروم .

قادتها : أبو عبيدة ، خالد بن الوليد ، على جيش المسلمين .

شنش الرومي وتوذر على جيش الروم .

أحداثها

سار أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد باتجاه حِمص ، ولما وصلوا إلى مرج الروم التقوا بجيشين للروم بعثهما هرقل لقتال المسلمين أحدهما بقيادة توذر والثاني بقيادة شنش الرومي، فوقف خالد أمام جيش توذر ووقف أبو عبيدة في مواجهة جيش شنش .

أما جيش توذر فإنه طمع في فتح الشام فانسحب إليها لِظَنِّهِ أنها خالية من حامية المسلمين، فلحقه خالد وكان يزيد بن أبي سفيان أميراً على دمشق فاستعد للقائه، ولما وصل توذر إليها كان يزيد ومن معه في الانتظار، ووصل خالد من خلفه فانحصر بين الجيشين وهجم عليه المسلمين فقتلوا معظم أفراده ولم يفلت منهم إلا القليل.

وأما أبو عبيدة فإنه لاقى شنش واقتتل معه قتالاً شديداً فهزمه بإذن الله.

---

(1) – الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤٩٤/٢.

وقتل أبو عبيدة شنش وانهزم مَنْ بقِيَ إلى حمص، ثـم التقى مع خـالد الـذي قضى على جيش توذر وسارا جميعاً إلى حمص . بينما بقـي يزيـد في دمشـق وقـد غنِـمَ المسلمون ما معهم فقسّمه يزيد في أصحابه وأصحاب خالد.

فتح حمص وبعلبك

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

مواقعها : حمص ، بعلبك .

قادتها : أبو عبيدة عامر بن الجراح.

أحداثها

لما انتهى أبو عبيدة من الاستيلاء على دمشـق سـار إلى حمـص فسـلك طريـق بعلبك ، فلما وصل بعلبك حاصرها فطلب أهلُها الأمانَ فآمنهم وصالحهم .

ثم واصـل سَيْرَهُ ومعـه خـالد بـن الوليـد إلى حمـص في زمـنٍ شـديدِ البرودةِ فحاصرها ، وصمد أهلُها للحصار على أمل أن يرجع المسلمين بسبب شدة البرد بـل كانوا يقولون : " تمسكوا بمدينتكم فإنهم حفاة ، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم"، فكانت أقدامُ الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين أصبع وهذا من تأييد الله لهذا الجيـش الذي لا يرجو إلاّ إعلاء كلمة الله.

وكذلك فقد طمع أهل حمص بمدد هرقل الذي وعدهـم بـه، ولكـن لمـا طـال عليهم الأمر راسلوا أبا عبيدة وطلبوا الصلح كما كـان في دمشـق ، فأجـابهم لذلـك، ودخل المسلمون حمص واستَخْلَفَ عليها عبادة بن الصامت وسار هُوَ قاصداً حماة.

ثم إن أبا عبيدة بعد الانتهاء من حمص أرسل بالأخماس إلى عمر بن الخطاب مع عبدالله بن مسعود ، فأجابه عمر أن أقم بمدينتك وادْعُ أهل القوة من عرب الشام فإني غيرُ تاركِ البعثة لك.

فتح
(حماة ، شيزر ، المعرّة ، اللاذقية)

وقتها : السنة الخامسة عشرة للهجرة .

موقعها : مجموعة من البلدان.

قادتها : أبو عبيدة عامر بن الجراح .

أحداثها

بعد أن دخل أبو عبيدة حمص وصالحهُ أهلُها، أبقى بها جيشاً كبيراً واستخلفَ عليها عبادة بن الصامت وسار هو إلى حماة فتلّقاه أهلها مُذعنين، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم ثم سار نحو شيزر (بلدة قرب حماة) ففتحها صلحاً.

ثم سار إلى معرّة حمص وهي معرة النعمان نُسِبَتْ بعدُ إلى النعمان بن بشير الأنصاري فأذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص .

فتحُ اللاذقية : ثم سار أبو عبيدة إلى اللاذقية فقاتله أهلُها وكان لها بابٌ عظيمٌ يفتحه جمعٌ من الناس ، فعسكر المسلمون على بُعْدٍ منها ثم أمَرَ فحفر حفائرَ عظيمةً تستر الحفرة منها الفارس راكباً ثم أظهروا أنهم عائدون عنها ورحلوا، فلما جنّهم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر وأصبح أهل اللاذقية وهم يَرَوْن أنّ المسلمين قد انصرفوا عنهم فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد.

فلم يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة ومُلِكَت عنوةً، وهرب قومٌ من النصارى ثم طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى أرضهم فقوطعوا على خراجٍ يؤدونه قلّوا أو كثروا وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون بها مسجداً جامعاً بناه عبادة بن الصامت .

فتح المدائن

وقتها : صفر من السنة السادسة عشرة للهجرة .

موقعها : المدائن .

قادتها : سعد بن أبي وقاص.

" اجتياز دجلة "

وقف المسلمون على شاطئ دجلة يُكَبّرون الله على ما أنعم عليهم بهذه الفتوحِ العظيمةِ وقد أدهشهم منظر مدائن كسرى ، وكان دجلة قد زاد زيادةً عظيمةً بذوبان الثلوج في أعالي الجبال ولا سبيل للمسلمين بتَخَطّيه ، فأقام سعد ببهرسير أياماً من صَفَر حتى أتاه علج فأخبره أن كِسرى يزدجرد عازمٌ على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان، وأنه إن لم يدركه قبل ثلاثٍ فات عليه وتفارط الأمر، ثم دلّه على مخاضةٍ تخاض إلى صُلْبِ الوادي ، فأبى وتردد عن ذلك خوفا على جنده .

ثم رأى رؤيا أنّ خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت فعزم على العبور لتأويل رؤياه، فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال " إنّ عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليه معه ويخلصون إليكم إذا شاؤوا في سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شيءٌ تخافون أن تُؤْتَوْا منه ، قد كفاكم أهلَ الأيام وعطّلوا ثغورهم ، وقد رأيتُ مِن الرأي أن تجاهدوا العدو قبل أن تحصدكم الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم " فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

كتيبة الأهوال :ندب سعد الناس إلى العبور وقال : من يبدأ ويحمي لنا الفراض ليجوز الناس اليهم آمنين ، فانتدب له عاصم بن عمرو التميمي وتطوع معه ستمائةٍ من أهل النجدات فاستعمل عليهم عاصماً فقال لهم : من ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولاً في هذا البحر فنحمي الفراض من الجانب الآخر ؟ وانتدبَ له ستون فارسا تقدمهم هو إلى حافة النهر وهو يقول للذين ترددوا : أتخافون من هذه النُطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَلا ﴾ ثم اقتحم النهر واقتحمه زملاؤه معه .

وتولّى الفُرْسَ العجب لما صنع عدوهم فقال بعضهم : مجانين ثم قالوا: والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنّاً .

معركة العبور : أقام الفرس ينظرون إلى هؤلاء المغامرين حيناً ، فلما رأوا عاصماً وأصحابه توسطوا النهر أرسلوا فرساناً منهم ليمنعوهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو أصحابَه أن يُشرّعوا لهم الرماح وطلب منهم أن يَتوخَوْا العيون، فارتدت خيولُ الفرس حين أصابت الرماحُ عيونَها. ولحقهم الستمائةُ فارسٍ وقد سمّيتْ كتيبة عاصم بـ" **كتيبة الأهوال**" .

خرج عاصمٌ برجاله إلى الشاطئ ففرّ الفرس أمامه وأدركه القعقاع على رأسِ الكتيبة الخرساء .

رأى سعد بن أبي وقاص تحكُّمَ أصحابه في فراض المدائن فأمَرَ فُرسانه بالاندفاع جميعاً إلى لجة النهر من حيث اقتحمه عاصم وامتلأ النهر بالخيل فعامت بهم، وسعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصُرَنّ الله وليّه وليُظْهِرَنّ الله دينه، وليهزمنّ الله عدوه ، إنْ لم تكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات وكان سلمان الفارسي معه فقال له : ذُلّلَتْ لهم والله البحور كما ذُلّلَ لهم البَرّ ، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجُنّ منه أفواجا كما دخلوه أفواجاً .

لما رأى الفرس ذلك ورأوا ما لم يكن في حسبانهم خرجوا هاربين نحو حلوان فدخل المسلمين المدائن وكان أول من دخلها كتيبةُ الأهوال بقيادة عاصم بن عمرو، ثم الكتيبة الخرساء بقيادة القعقاع بن عمرو فلم يجدوا فيها مقاومةً إلا من تحصَّن بالقصر الأبيض .

ولما وصل سعد دعا أهلَ القصر إلى ثلاثٍ : الإسلامُ، أو الجزية، أو القتال، فاختاروا الجزية .

ودخل سعد القصر وهو يتلو ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ﴾ ثم عزم سعد على المقام في المدائن فأتمّ الصلاة يوم دخلها وكانوا قبل ذلك يُقصِرون، وكانت أول صلاة جُمُعَةٍ بالعراق جَمَعَتْ جماعةً بالمدائن في صفر عام ١٦ هـ.

وبعث سعد بالفتح إلى عمر مع حليس الأسدي .(١)

غنائم المدائن

نزل سعد إيوان كسرى ثلاثة أيام وأرسل بعض القادة لملاحقة فُلول الفرس وإعادة ما أخذوه معهم من الأنفال .

ثم أمر بجمع الأنفال فكانت كنوزاً عظيمةً وأموالاً جزيلةً وتحفاً باهرةً فكان في جملةِ ذلك تاجُ كِسرى وهو مُكَلَّلٌ بالجواهر النفيسة، ومِنطقتُه، وسيفُه، وسوارُه وقباؤه، وبساطُ إيوانِهِ ،وكان مربعاً ستون ذراعاً في مثلها من كل جانب وهو منسوج بالذهب واللآلئ والجواهر الثمينة ومصور فيه جميع ممالك كِسرى بأنهارها وأقاليمها وصفة الزروع والأشجار .

---

(١) - فتوح الشرق ، احمد عادل كمال ٦٦.

كما أدرك زهرة بغلاً غصبه من الفرس فإذا عليه سفطان فيهما ثيابُ كسرى وحِلِيَّه ولِبْسَه الذي كان يلبسه على السرير وبغلاً آخر عليه الكثير من الجواهر كما ردت السرايا أموالاً عظيمةً فيها أثاثُ كِسرى وامتعته.

تقسيم الغنائم

جمع سعد هذه الغنائم فخمّسَها فقسم الأربعة أخماس بين الغانمين فحصل كلُّ واحدٍ من الفرسان على اثنيّ عشر ألفاً واستوهب سعد أربعة أخماس البساط ولبس كسرى ليبعثه إلى عمر والمسلمين بالمدينة ، فوهبوه، فأرسل سعد ذلك كلّه مع بشير بن الخصاصية .

عمر بن الخطاب والغنائم

لما استلم عمر الغنائم نظر إليها ثم قال : إنّ قوماً أدّوا هذا لأُمناء .

فقال له علي بن أبي طالب : إنّكِ عَفَفْتَ فعفّتْ رَعِيَّتُك ، ولو رتَعْتَ لرتَعَتْ.

ثم قسّم عمر ذلك في المسلمين فأصاب عليّاً قطعةٌ من البساط فباعها بعشرين ألفاً.

وقد ذُكر أنّ عمر بن الخطاب ألبسَ ثياب كسرى لخشبةٍ ونصبها أمامه ليرى الناسُ ما في هذه الزينة من العجب وما عليها من زهرة الحياة الدنيا الفانية .

نبوءة رسول الله ﷺ في سواري كسرى

عندما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة جعلت قريش مائةَ ناقةٍ لمن يردّه إليهم فطمع سُراقة بن مالك في نَيْلِها فتبع رسول الله ﷺ حتى إذا اقترب منه عثرت به فرسُهُ فسقط عنها ثم عثرت به ثانيةً حتى عرف أنه ممنوعٌ منه وأنّ محمدا ﷺ منصورٌ بأمر الله تعالى فنادى عليه قائلا : انظروني أكلِّمْكُم - وكان مع

صاحبه أبي بكر رضي الله عنه - فوالله لا أريكم ولا يأتيكم مني شيءٌ تكرهونه فوعده رسول الله ﷺ بسِوارَيْ كِسرى يلبسهما في يديه .. ثم أسلم سُراقة .

ولما وصلت الغنائم إلى عمر بن الخطاب وكان بينها سِوَارَيْ كِسرى تذكّر وعدَ رسول الله ﷺ لسراقة فألقاها إليه فجعلهما في يديه وكَبّر الله على ذلك .

وقعة جلولاء

وقتها : ذي القعدة من السنة السادسة عشرة للهجرة .

مكانها : جلولاء وهي بلدة في طريق خراسان شمال المدائن .

قادتها : هاشم بن عتبة .

أحداثها

انتهى الأعاجم بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء وهناك رأوا الطرق تفترق إلى أرجاء شتّى فقالوا :" ان افترقتم لن تجتمعوا أبداً ، وهذا مكان يُفَرّقُ بيننا فهلمّوا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم فإن كانت لنا فهو الذي نريد وإنْ كانت الأخرى كنّا قد قضينا وأبلينا عذراً ".

فاحتفروا خندقاً وحصّنوه وأمّروا عليهم مهران الرازي .

خطة عمر

بلغ ذلك سعد فكتب إلى عمر يستأمره فكتب اليه عمر أنْ يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو، وعلى الميمنة سعد بن مالك، وعلى الميسرة أخوه عمر بن مالك، وعلى الساقة عمرو بن مُرّة الجهني .

فعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كثيفاً يُقارب اثني عشر ألفاً من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار سار بهم حتى وصل جلولاء، فأحاط

بها وحاصر المجوس فيها. كان المجوس يخرجون باستمرار لقتال المسلمين ثم يرتدون إلى خندقهم وكسرى يبعث اليهم الأمداد كما أن سعد أمدَّ المسلمين مرةً بعد أخرى.

ولما رأى الفرس أنّ الأمـداد مَتواصلـةٌ للمسـلمين خـافوا أن يصبحـوا قـوةً لا يستطيعون معها الصمود أمـامهم فـاعتزموا القتـال وأقسـموا بالنـار أن لا يَفِـرّوا ، ثـم خرجوا من حصنهم.

القتال الأخير

خرج الفرس في زحفٍ كبيرِ العددِ والعُدة فلما رآهم المسـلمين قـام هاشـم في جندهِ خطيباً فقال: " ان هذا المنزل منزل له ما بعده ، أبلوا الله بـلاءً حسـناً يُتِـمُّ لكـم عليه الاجر والمغنم واعملوا لله ".

ثم التحم الجيشـان واقتتلوا قتـالاً شـديداً رميـاً بـالنَبل وطعنـاً بالرمـاح حتـى تَقَصّفَت ثم استلوا السيوفَ وتجالدوا وهاشم يخطب فيهم ويحرِّضُهُم على القتال حتـى تراجع الفرس فتبعهم المسلمين يَشُدُّوْنَ عليهم . فأمّا القعقاع ومعه جماعةٌ من الفرسـان الأبطال فانه استمر يدفعهم حتى وصل على بـاب الخنـدق والليـلُ يُقْبِـلُ بظلامـه، أمـا المسلمون فقد أخـذوا في التحـاجز غـير ان القعقـاع أمـر مناديـه ان يقـول: يـا معشـر المسلمين هذا أَميرِكُم قد دخل الخندق .

فلما سمع ذلك المجوس انهزموا يمنـة ويسـرة فوقعـت خليهـم فيمـا أعـدّوا مـن الحسك فعقرت وسقط عنها فرسانها فأتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا عددٌ يسيرٌ وقُتـل منهم في ذلك الموقف مائةُ ألفٍ حتى جَلّلوا وجه الأرض بالقتلى ولذلك سميت جلولاء.

أما القعقاع فقد تابع الفالّين حتى وصل إلى خانقين فقتل بهـا مهـران وهـرب الفيرزان ، وأسَرَ سبايا كثيرةً من النسـاء والذُرِيـة فكـانت سـهام المقاتلـة تسـعة آلاف وتسع دواب وفي رواية اثني عشر ألفا .

ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب وحدّثهُ بالموقعة .

أما عمر رضي الله عنه فلمّا رأى الياقوت والزبرجد والذهب والفضة أخذ يبكي فقال له عبدالرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إنّ هذا لموطنُ شُكْرٍ. فقال عمر :

والله ما ذاكَ يُبْكيني ، وتالله ما اعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بَأسَهُم بينهم ثم قسّم كما قسّم أموال القادسية .

فتح حلوان

وقتها : السنة السادسة عشرة للهجرة .

موقعها : حلوان .

قادتها : القعقاع بن عمرو .

أحداثها

لما بلغت أخبارُ انتصارِ المسلمين إلى يزدجرد وكان بحلوان وأدرك أنّ المسلمين سيتقدمون إليها خرج منها واتجه إلى الري بعد أن استخلف عليها خشرشنوم (خسروشنوم) فتقدم إليه القعقاع. وفي مكان خارج حلوان التقى معه فاقتتلوا قتالاً شديداً هزم الله فيه الفُرس وهرب خسروشنوم ، وتقدم القعقاع إلى حلوان فدخلها وغَنِم المسلمون وسَبَوْا ما فيها . ثم أقامَ فيها ودعا أهلها إلى الإسلام فأبَوْا إلا الجزية ففرضها عليهم وعلى مَنْ حولهم . ولم يزل القعقاع بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة فلحق به بعد أن استخلف قباذ على ثغر حلوان ولعلّه كان أول أعْجَمِي يتولى قيادةً مع المسلمين .

فتح تكريت

وقتها : جمادى الأولى من السنة السادسة عشرة للهجرة .

موقعها : تكريت .

قادتها : عبدا لله بن المعتم .

أحداثها

سار الأنطاق – وهو رجلٌ من الكَفَرةِ – بجيشٍ من الموصل حتى نزل تكريت على نهر دجلة شمالي المدائن وتحصّن بها فبلغ ذلك سعداً فكتب إلى عمر يسأله بشأن تكريت فكتب إليه عمر :

سرّح إلى الأنطاق عبدا لله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي، وعلى ميمنته الحارث بن حسان، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي، وعلى ساقته هانئ بن قيس ، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فإنْ هَزموا عدوهم فأمر عبدا لله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين .

سار عبدا لله من المدائن إلى تكريت في خمسة آلاف ونزل على الأنطاق ومعه جنودٌ من العجم وجنودٌ من الروم وقوات من عرب الجزيرة من قبائل إياد وتغلب وقد خندقوا حولهم فحاصرهم عبدا لله أربعين يوماً كانوا خِلالها يخرجون للقتال فيتقاتلون وذلك لأكثر من أربعةٍ وعشرين زحفاً لكنهم كانوا أهون شوكةٍ وأقلّ قدرةٍ فلم يقتتلوا مرّةً إلا كانت الهزيمةُ والقتلُ من نصيبهم فضعفَ جانِبهم وأرسل عبدا لله إلى الأعراب يدعوهم إلى الدخول معه فاستجابوا، ولما رأى الروم انتصار المسلمين عليهم في القتال المتفرق بدء تخاذلَهُم وأخذوا ينقلون متاعهم إلى السفن في نهر دجلة استعداداً للهروب من هذه المعركة التي لا مصلحة لهم فيها.

فأرسلت العرب إلى عبدا لله تخبره بفعلهم فأرسل اليهم: إنْ كنتم صادقين فأسلموا فأجابوه وأسلموا ، فقال لهم : إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى

الأبواب التي تلي دجلة وكبّروا واقتلوا من قدرتم عليه، ثم شدّ عبدا لله وأصحابه وكبّروا تكبيرة رجلٍ واحدٍ فكبَّرت الأعراب من الناحية الأخرى فحارَ أهلُ البلدة وَأخذوا في الهروب من الأبواب فتلقتهم الأعراب فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وجاء عبدا لله بأصحابه من الأبواب الأخرى فقتلَ جميع أهل البلدة إلا مَنْ دخل في الإسلام من الأعراب .

فتح الحصنين

" الموصل ونينوى "

وقتها : السنة السادسة عشرة للهجرة .

موقعها : الموصل ، نينوى .

قادتها : ربعي بن الأفكل .

أحداثها

سرح عبدا لله بن المعتم ربعي بن الأفكل العنزي إلى الحصنين – والحصنان هما نينوى والموصل– وذلك في خمسة آلافٍ حَسْب أوامر الخليفة عمر بن الخطاب وأمَرَهُ أن يسير الليل ويُسرع السيرَ حتى يسبق الأخبار . وسرّح معه تغلب وإياد والنمر الذين أسلموا بعد أن اطمأنّ إلى إسلامهم.

سار ربعي بن الأفكل بسرعة فوصلها قبل وصول أخبار سقوط تكريت إليهم وقد قدَّمَ قبائل تغلب والنمر وإياد، فلما اقتربوا وقفوا بأبواب الحصون حتى وصلهم ربعي فقسّمَهُم قسمين واقتحموا الحصنين معاً فتنادى أهلُها بالصلح، فضُربت عليهم الذمة. وانتهت حربُهم مع المسلمين وصارت الموصل ثغراً من ثُغور المسلمين تولّى شئونَها ربعي بن الأفكل العنزي وتولّى خراجها عرفجة بن هرثمة البارقي.

وفي الموصل قسّمت الأموال التي تحصلت من تكريت فبلغ سهمُ الفارس ثلاثة آلاف وسهمُ الراجل ألفَ درهم وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان وبالفتح مع الحارث بن حسان.

فتح ماسبذان

وقتها : السنة السادسة عشرة للهجرة .

موقعها : ماسبذان .

قادتها : ضرار بن الخطاب .

أحداثها

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن بلغ سعداً أنّ آذين بن هرمزان قد جمع جمعاً فخرج بهم إلى السهل فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه:

ان ابعث جيشاً وأمّرْ عليهم ضرار بن الخطاب في جند واجعل على مُقدمته ابن الهذيل الأسدي وعلى مجنبته عبدا لله بن وهب الراسبي حليف بجيله والمضارب بن فلان العجلي .

فخرج ضرار بالجيش من المدائن حتى التقى بالفرس بسهل ماسبذان فاقتتلوا فهزمهم المسلمين وأخذ ضرار آذين أسيراً وضرب عنقه وشتّت شَمْلَ جيشِه وأثخن فيهم القتل ثم خرج في طلب الفارين حتى انتهى إلى سيروان فأُخذت ماسبذان عنوةً وتطاير أهلُها في الجبال ثم عادوا وصاروا ذمةً للمسلمين وعليهم الجزية فأقرهم في مدينتهم .

فتح قرقيسياء [1]

وقتها : رجب من السنة السادسة عشرة للهجرة.

موقعها : قرقيسياء .

قادتها : عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبدمناف .

أحداثها

اجتمعت جُموعُ أهلِ الجزيرة وانضموا إلى جيش هرقل صاحب حمص وبعثوا جنداً إلى أهل هيث على نهر الفرات وكتب سعد بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر :

ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبدمناف في جندٍ. وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري، وعلى مجنبته ربعي بن عامر، ومالك بن حبيب. فسار عمر نحو هيث وقدّم الحارث بن يزيد حتى نزل عليها وقد خندق أهلُها عليهم . فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم واعتصامُهم به استطال ذلك، فترك الأخبية على حالها وترك الحارث يحاصرهم وخرج بنصفِ الجيش حتى جاء قرقيساء ففاجأ أهلَها واستولى عليها عنوةً واستجابوا لأداء الجزية . ثم إن أهل هيث جزعوا لما عرفوا من سقوط قرقيساء فصالحوا المسلمين فبقي فيها مَنْ بقي وغادرها من لم يقبل .

---

(١) - قرقيسيا - بلد بين العراق والشام تقع على ملتقى نهر الخابور والفرات .

موقعة البصرة

وقتها : السنة السادسة عشرة للهجرة .(١)

موقعها : البصرة .

قادتها : عتبة بن غزوان المازني .

أحداثها

تبدأ أحداث قطاع البصرة قبل فتح المدائن غير أنها امتدت في زمنها وتاريخها، فقد كانت فتوحات الأبلة والبصرة والأهواز تسير جنباً إلى جنبٍ في نفس الوقت الذي كانت تدور فيه معاركُ المدائن .

فقد أراد عمر أن يفتح على يزدجرد جبهةً ثانيةً يُشَتِّتُ بها جُنْدَه فقرر أن يبعث عتبة بن غزوان إلى البصرة. وكان قطبة بن قتادة السدوسي يُغِيْرُ بتلك الناحية كما كان يُغيْرُ المثنى بناحية الحيرة.

نصيحة عمر : خرج عتبة في بضعة عشر رجلاً إلى البصرة .. فكتب إليه عمر: " يا عتبة إني قد استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو وأرجو أنْ يكفيك الله ما حولها ويُعينك عليها .. وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّك بعرفجة بن هرتعة ، وهو ذو مجاهدةٍ ومكايدةٍ للعدو فإذا قَدِمَ عليك فاستشره وقرِّبْهُ، وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ومن أبى فالجزية وإلا فالسيف واتق الله فيما وُلِّيت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كِبْرٍ مما يفسد عليك أخوتك ، وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذّلة ، وقويت به بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلّطاً وملكاً مطاعاً تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك فيالها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية

---

(١) – اختلف في تاريخ فتح البصرة فقيل انه في عام ١٥هـ وقيل انها في عام ١٤ هـ .

وَلَهِيَ أخوفهما عندي عليك أنْ تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطةً تصير بها إلى جهنم أُعيذك بالله ونفسي من ذلك ، وإنّ الناس أسرعوا إلى الله حتى رُفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرِدْ الله ولا ترِد الدنيا واتقِّ مصارع الظالمين ، انطلق أنتَ ومَنْ معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا."

سار عتبة ومن معه وانضم إليهم من الأعراب وأهل البوادي فبلغ البصرة في خمسمائةٍ وفي رواية أنهم كانوا ثمانمائة وربما كان ذلك بعد انضمام قطبة بن قتادة السدوسي .

وكانوا يقولون عن تلك البقعة أرض الهند باعتبار أن الأبلة كانت ميناء التجارة مع الهند والشرق وأرضها حجارة حصى رخوة بيضاء خشنة كانت العرب تسميها البصرة .

نزل عتبة البصرة في ربيع الأول عام ١٦ للهجرة . حتى إذا كان حيال الجسر الصغير وصل خبره صاحب الفرات فأقبل في أربعة آلاف ولما رآهم استخف بهم وقال:

ما هُم إلا ما أرى ؟! اجعلوا في أعناقهم الحبال وأتوني بهم ، فلما مالت الشمس عن كبد السماء قال عتبة لمن معه : احملوا فحملوا حملةً صادقةً فقتلوهم جميعاً وأخذوا قائدهم أسيراً .

سقوط الأبلة

وقتها : السنة السادسة عشرة للهجرة .

موقعها : الأبلة .

قادتها : عتبة بن غزوان المازني .

أحداثها

كان بالأبلة حاميةٌ من خمسمائة مقاتلٍ فلما نـزل عتبة بـالبصرة خرجـوا إليـه فقاتلهم فانهزموا ورجع عتبة إلى عسكره ثم أقاموا أياماً ، فألقى الله الرعب في قلـوب الفرس فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خَفَّ وعبروا الماء.

دخـل المسـلمون المدينـة فأصـابوا متاعـاً وسـلاحاً وسـبياً فاقتسـموه وأُخْـرِجَ الخُمس منه وكُتِبَ إلى عمر بالفتح مع نافع بن الحارث.

معركة دست ميسان

جمع مرزبان أهلَ دستميسان فلم ينتظرهـم عتبـة فسـار إليهـم وعلـى مقدمتـه مجاشع بن مسعود السلمي فقاتلهم حتى انهزموا عن المرزبان فأخذه عتبة أسيراً وأرسل منطقَتَه وقباءَه مع أنس بن حجية اليشكري إلى عمر بـن الخطـاب فسـأله عمـر قـائلاً: كيف الناس ؟ فقال : انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة . فرغب النـاس في البصرة فأتَوْها .

فتح الأهواز

ومناذر ونهر تيري

وقتها : السنة السادسة عشرة للهجرة .

موقعها : مناذر، ونهر تيري، والأهواز .

قادتها : عتبة بن غزوان .

أحداثها

لما انهزم الهرمزان يوم القادسية قصد خوزستان فمَلِكُها وكان منها يُغِيْرُ على أهل ميسان ودستميسان من مناذر ونهر تيري .

فاستمد عتبة بن غزوان سعداً فأمدَّه بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيري، ووجّه عتبة سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وكانا من المهاجرين مع رسول الله ﷺ فنزلا على حدود ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر واتصلا ببني العم مُرّة بن مالك بن حنظلة في محاولة لزيادة قواتهما.

فاستجاب لهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكليبي وجاءا بقومهما فكلّفاهما بمهمة الهجوم لصرف أنظار هرمزان عن مناذر ونهر تيري ويحبسانه عن إدراكهما وقالا لهما: أنتما من العشيرة وليس لكما مترك فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدا لهرمزان فإنّ أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيري فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا إليكم فليس دون الهرمزان شيءٌ إن شاء الله .

وفي الليلة الموعودة كان الهرمزان بين نهر تيري ودلث فخرج إليه سلمى وحرملة في الصباح على تعبئةٍ وأنهضا نعيما ومن معه فالتقوا هم والهرمزان بين دلث ونهر تيري وسُلمى بن القين على أهل البصرة ، ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة

فالتقوا وأنشبوا القتال . وفيما هم كذلك إذ أقبل مَدَدٌ من قبل غالبٍ وكليبٍ ، بينما كان جانبٌ من القوات يستولي على مناذر وعلى مواقع هرمزان على نهر تيري.

وأتى الخبر إلى هرمزان بأنّ مناذر ونهر تيري قد أُخِذا فأصابَهُ وجنوده اليأسُ والإحباط فانهزموا وأتبعهم المسلمون يَقْتلون ما شاؤوا حتى وصلوا شاطئ دجيل (نهر كارون اليوم) واستولى المسلمون على ما دون ذلك. تم عسكروا تجاه سوق الأهواز بينما عبر هرمزان على الجسر وأقام على الجهة الأخرى .

هرمزان يصالح ثم ينقض

لما رأى الهرمزان أنّ لا طاقة له بمقاتلة المسلمين طلب الصلح فكتبوا بذلك إلى عتبة وكاتَبَهُ هرمزان أيضاً فأجاب إلى ذلك على رَدِّ الأهواز ومهرجان قذق ما خلا نهر تيري ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يُرَدّ إليهم.

وجعل سُلمى بن القين على مسلحة مناذر وأمرُها إلى غالب ، وحرملة على نهر تيري وأمرُها إلى كليب .

الهرمزان ينقض العهد

وبينما المسلمون على ذِمتهم مع الهرمزان وقع بين غالب وكليب والهرمزان خلافٌ على الحدود فحضر سلمى وحرملة لينظرا في الأمر فوجدا الحقَّ مع غالب وكليب والباطل مع هرمزان وحكما بذلك.

غضب الهرمزان ونقَضَ عهدَهُ واستعان بالأكراد فزادَ جُنْدَه .

كتب سُلمى ومن معه إلى عتبة بذلك فكتب عتبة إلى عمر ، فكتب إليه عمر، وأمده بحرقوص بن زهير السعدي من صحابة رسول الله ﷺ ، وأمَّرَهُ على القتال وعهد إليه إن غلبوا الهرمزان في المعركة أن يبعث وراءه جزءَ بن معاوية لمطاردته .

المعركة

تعبّأ الطرفان ووقفوا لا يفصل بينهما سوى جسر سوق الأهواز فأرسلوا إليه: إمّا أنْ تعبر إلينا أو نعبر إليكم . قال : اعبروا إلينا . فعبر المسلمون فوق الجسر فاقتتلوا فانهزم الهرمزان إلى رامهرمز فافتتح حرقوص سوق الأهواز وأقام بها ودانت له بلاد سوق الأهواز من ساحل الخليج إلى تستر .

المطاردة

لما انهزم الهرمزان بعث حرقوص جزء بن معاوية في أَثَرِهِ حسْبَ أَمْرِ عمر، فما زال يقتلهم حتى بلغ قرية الشعر وأعجزه الهرمزان فاتجه إلى ما حولها من مدن كدورق وسُرَّق فأخذها بدون قتال، ودعا مَنْ هرب إلى الجِزية فأجابوه، وكتب عمر وإلى عتبة بذلك فأمر عمر حرقوص وجزء بالإمساك بما غلبا عليه.

ثورة إبر قباذ

بينما مجاشع في نواحي الفرات بعد رحيل عتبة إلى المدينة للحج واستخلافه مجاشع بن مسعود السلمي ثارت إبر قباذ فسار إليهم المغيرة بن شعبة وقد خلّف النساء والأثقال وراءه، فلقيهم بالمرغاب قبل دجلة فاقتتلوا . وكانت أردة بنت الحارث في نساء المسلمين فقالت : لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم.

وتزعمتْ النساءَ وعقدتْ لواءً من خِمارها واتخذ النساء من خمرهنّ راياتٍ وخرجن في اثر الرجال فانتهين إليهم وهم ملتحمون بعدوهم ورأى المجوس على بعدٍ جمعاً مقبلاً قد رفع راياتٍ كثيرةً فحسبوه مَدَدَاً جاء إلى المسلمين فعَمِدوا إلى الفِرار وتبعهم المسلمون يقتلون منهم. ورجع المغيرة إلى البصرة وكتب بالفتح قبل أن يرجع مجاشع فكتب إليه عمر يُوَلّيه إمارة البصرة .

غزوة فارس من البحرين

وقتها : السنة السابعة عشرة للهجرة .

موقعها : طاوس - موضعٌ بنواحي فارس .

قادتها : العلاء بن الحضرمي .

أحداثها

كان المسلمون بالبصرة والكوفة بإزاء فارس وقد استقامت لهم الأمور، مما طَمْأَنَ عمر بن الخطاب وَرَغِبَ بالاكتفاء فقال : وددتُ أنّ بيننا وبين فارسٍ جبلاً من نارٍ لا يَصِلونَ إلينا منه ولا نَصِلَ إليهم.

وكان العلاء بن الحضرمي عاملاً لِعُمر على البحرين وكان يباري سعد بن أبي وقاص فلما رآه وقد ظفر بالقادسية وأزاح الأكاسرة رغب العلاء بأن يصنع شيئاً في الأعاجم رغم أنّ عمر نهاه عن البحر حين استعمله، ولم يُقَدِّرْ نتيجة المعصية.

فندب الناس إلى فارس فأجابوه فقسّمهم ثلاثَ فِرَقٍ على إحداها الجارود بن المعلى العبدي ، وعلى الثانية سوار بن همام ، وعلى الثالثة خليد بن المنذر بن ساوي وهو الرئيسُ العام ، وحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر .

فعبرت تلك الجيوش إلى فارس وخرجوا في أصطخر (وسط اقليم فارس وهي المدينة العظمى) فقابلهم أهل فارس وقد اجتمعوا على الهِرْبِذ في جمعٍ عظيم وحالوا بينهم وبين مراكبهم فقام خليدُ خطيباً بأصحابه فقال:

" أما بعد ، فإنّ القوم لم يدعوكم إلى حربهم ، وإنما جئتم لهم والسفن والأرض لمن غلب ، فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعين "

ثم عَبّأ جيشه وحمل بعد أن صَلّوا الظهر فاقتتلوا قتالاً شديداً بمكانٍ يُدعى طاوس فقُتِلَ من قادة المسلمين السوار والجارود ، أما خليدٌ فقد أمرَ أصحابَه أن يقاتلوا

رجالَه ففعلوا فقتلَ من أهل فارس مقتلةً عظيمةً ، ثـم تراجعـوا يريـدون البصـرة فـأخذ الفرس عليهم الطريق فعسكروا وامتنعوا من العدو.

ولما بلغ عمر ما صنع العلاء اشتد غضبه عليه وبعث إليه فعزله وتَوَعَّدَهُ وأمـره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الأشياء إلى نفسه فقال له : الحَقْ بسعد بن وقاص.

وكتب عمر إلى عتبة بن غـزوان أن يجهِّـز جيشـاً كثيفـاً لتخليـص المحصوريـن وقال له: إنّ العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني وأظنه لم يُرِدْ الله بذلك ، فخشيتُ عليهم ألا يُنصروا وأن يغلبوا فـاندب إليهـم النـاس واضْمُمْهُم إليك من قبل أن يجتاحوا.

فندب عتبة الناس وخرجوا في اثني عشر ألفاً وعليهم أبو سـبرة بـن أبـي رهـم فخرجوا على البغال وساروا علـى السـاحل لا يلقـون أحـداً حتـى انتهَـوْا إلى موضـع الموقِعَةِ بطاوس ، فإذا المسلمون محصورون وقد أحاط بهم العدو من كلِّ جانبٍ، فلمـا رآهم أهل فارس اجتمعوا عليهم والتقوا جميعاً بعد طاوس فاقتتلوا قتالاً شديداً فتح الله به على المسلمين وكسروا الفرس وكـان قـائدهم سـهرك وقتلـوا منهـم مقتلـةً عظيمـةً وأخذوا منهم أموالاً كثيرةً . ثم رجعوا إلى البصرة غانمين سالمين.

حصار حمص

وقتها : السنة السابعة عشرة للهجرة .

موقعها : حمص .

قادتها : أبو عبيدة عامر بن الجراح.

أحداثها

كان أبو عبيدة وزملاؤه بالشام يتقدمون فيه ويقتحمون مدنه ويَجْلُون الروم عنه، فقد هزموا تذارق باليرموك، وفتحوا دمشق، وقضوا على قوات هرقل بفحل، وأخضعوا ما حولها من أرض طبرية وبيسان وصالحوا أهلها .

ثم واصل أبو عبيدة المسير إلى حمص وحاصرها ولما طال الأمر على أهلها راسلوا أبو عبيدة وطلبوا الصلح كما كان في دمشق فأخبر عمر بذلك فأجابه أنْ أقم بمدينتك وادع أهل القوة من عرب الشام فإني غير تارك البعثة لك.

هذه نبذة موجزة عن فتح حمص عام ١٥ للهجرة وفي السنة السابعة عشرة للهجرة عاد الروم بتأييدٍ من أهل الجزيرة وقصدوا أبا عبيدة بحمص، فلما سمع أبو عبيدة بهم جمع جنده وعسكر بفناء مدينة حمص ، ثم بعث إلى خالد بن الوليد فقدم عليه من قنسرين واستشار الناس في المناجزة أو التحصن فأشار خالد بالمناجزة وأشار سائرهم بالتحصن ومكاتبة عمر فأطاعهم وكتب إلى عمر .

فلما بلغ عمر ذلك ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم ، فإن أبا عبيدة قد أُحيط به ، وكتب إليه أيضا: سرّح سهيل بن عدي إلى الرقة ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص . وأمره أن يسرّح عبدا لله بن عتبان إلى نصيبين ثم ليقصد حران والرهاء، وأن يسرّح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وأن يسرّح معه عياض بن غنم فإن كان قتالٌ فأمرهم إلى عياض.

خرج الجيشان معا من الكوفة، القعقاع في أربعة آلافٍ نحو حمص لنجدة أبي عبيدة والجيش الآخر المتجه إلى الجزيرة كما خرج عمر بن الخطاب من المدينة فأتى الجابية متجهاً إلى حمص لنجدة أبي عبيدة .

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص وهم معهم خير الجنود الإسلامية تفرقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم، فلما فارقوهم استشار أبو عبيدة خالداً في الخروج إلى الروم فأشار به، ففعل أبو عبيدة فخرج إليهم وقاتلهم ففتح الله عليه ونصره وهُزمت الروم شرّ هزيمةٍ ووصل القعقاع بعد الوقعة بثلاث أيام، فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدَدَ وسأله هل يُشركهم في الغنيمة فجاء جواب عمر رضي الله عنه :

" أشركوهم فإنّ العدو إنما ضَعُف وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم" فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة وقال عمر : " جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار ". فلما فرغوا رجعوا .

فتح الجزيرة

وقتها : السنة السابعة عشرة للهجرة .

موقعها : أرض الجزيرة .

قادتها : عياض بن غنم . ومجموعة من الأمراء.

أحداثها

فتح الرقة : كان أمير الجيش المتجه إلى الرقة هو سهيل بن عدي. سار سهيل بناءً على كتابٍ عمربن الخطاب فسلك طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة فحاصرها. وتداول أهلها الرأي فيما بينهم ، وانتهوا إلى أنّهم بين جيوش المسلمين بالعراق وجيوشهم بالشام وأنهم لا طاقة لهم على حربِ هؤلاء وهؤلاء فبعثوا إلى عياض بن غنم بطلب

الصلح - وكان في منزلٍ وسط الجزيرة - فقَبِلَ منهم ، وفتحوا مدينتهم وأقاموا للمسلمين سوقاً على أبوابها .

وكان الذي عقد الصلح سهيل بن عدي عن أمر عياض [1] أما كتاب عياض لهم فكان فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها . أعطاها أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، لا تُخرَّب ولا تُسْكَنُ إذا أعطوا الجزية و لم يحدثوا فغيلة وعلى أن لا يحدثوا كنيسةً ولا بيعةً ولا يَظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ولا صليباً " شهد الله وكفى بالله شهيداً .. [2] وختمهُ عياض بخاتمِهِ.

فتح نصيبين

كان على الجيش المتجه إلى نصيبين عبدالله بن عبدالله بن عتبان فسلك طريق دجلة حتى انتهى إلى الموصل ثم واصل سَيْرَهُ حتى أتى نصيبين، فقابله أهلها بطلب الصلح وكتبوا إلى عياض فرأى أنْ يقبلِ منهم وعقد لهم عبدالله صلحاً كصُلْحِ الرقة.

فتح حران والرها

سار عياض إلى حران فنزل بأجدَّى وبعث مقدمته فأغلق أهل حران أبوابها دونهم، ولما تقدم إليها بعث إليه الحرنانية من أهلها يُعلمونه أنّ في أيديهم طائفةً من المدينة ويسألونه أن يصير إلى الرها، فما صالحوه عليه من شيء قنعوا به وخلّوا بينه وبين النصارى حتى يصيروا إليه. وبلغ النصارى ذلك فأرسلوا إليه بالرّضى بما عرض عليه الحرنانية .

---

(1) - فتوح الشرق .

(2) - فتوح الشرق.

سار عياض إلى الرها وقد جمع له أهلها فرموا المسلمين ساعةً ثم خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتى ألجأوهم إلى المدينة فلم يلبثوا أنْ طلبوا الصلح والأمان فأجابهم عياض إليه. وكتب لهم كتاباً بذلك فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ من عياض بن غنم لأسْقُف الرها ، إنكم إنْ فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إليّ عن كل رجل ديناراً ومديي قمحٍ فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم وعليكم إرشاد الضال ، وإصلاح الجسور والطرق، ونصيحة المسلمين، شهد الله وكفى بالله شهيدا .

ثم صالح عياض أهل حران على مثل صلح الرها وفتحوا له أبوابها.(1)

فتح سميساط

سار عياض إلى سميساط . فوجد صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة مقيمين وقد غلبا على قرى وحصونٍ من قراها فصالحه أهلها على مثل صلح الرها، وكان عياض يغزو من الرها ثم يرجع إليها.

فتح باقي مدن الجزيرة

ثم إن عياضاً فتح مدن سنجار، وميافارقين (بديار بكر وهي من تركيا اليوم) وسروج، والأرض البيضاء، فغلب على أرضها وصالح أهل حصونها على مثل صلح الرها.

ثم إن أهل سميساط انتفضوا فرجع إليها وحاصرها حتى فتحها ثم فتح جسر منبج من قرى الفرات وما حولها وفتح حصن كفرتوثا وهو حصنٌ قديمٌ فاتخذها ولد أبي رمثة منزلاً فمدّنوها وحصّنوها فكانت قريةً كبيرةً من أعمال الجزيرة الفراتية.

(1) – فتوح البلدان – البلاذري .

ثم أتى رأس العين فصمدت له فتركها وجعل عليها خيلاً لحمايةِ ظهرهِ وعليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص وسار هو إلى دارا فافتتحها على مثل صلح الرها، وفتح قردى وبازيدي وهما قريتان بجبل الجودي بالجزيرة الفراتية. وصالحه بطريق الزوزان على أتاوةٍ ثم سار إلى أرزن فصالح أهلها . ثم انتهى إلى العين الحامضة من أرمينية فلم يتجاوزها وعاد منها إلى الرقة ثم مضى إلى حمص .

أما رأس العين والتي امتنعت على عياض بن غنم ففتحها عمير بن سعد وهو والي عمر على الجزيرة بعد أن قاتل أهلها قتالاً شديداً فدخلها المسلمون عُنوةً ، ثم صالحوهم بعد ذلك على أن دُفعت الأرضُ إليهم ووضعت الجزية على رؤوسهم، على كلِّ رأسٍ أربعة دنانير و لم تُسْبَ نساؤهم ولا أولادهم (١) .

أرمينية

سار إليها عثمان بن أبي العاص فكان فيها شيءٌ من قتالٍ استشهد فيه صفوان ابن المعطل السلمي، ثم طلب أهلُها الصلح فصالحهم عثمان بن أبي العاص على كل أهل بيتٍ دينار (١) .

عرب الجزيرة

ذُكر أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بني تغلب فانطلقوا هاربين، فسار إليهم الوليد بن عقبة حتى قدم إليهم وانضم إليه المسلمون هناك وتمكن من رَدِّهِم وأضعفَ عليهم الصدقة.

---

(١) – فتوح البلدان ، البلاذري .

(١) – الطبري ٥٣/٤ – فتوح الشرق بعد القادسية .

عرب بني إياد بن نزار

لما تقدم الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة سالمه الجميعُ عدا قبيلة إياد بـن نـزار فقد ارتحلوا ودخلوا أرض الروم، فكتب الوليد بذلك إلى عمر بن الخطـاب رضـي ا الله عنه. فكتب عمر بذلك إلى ملك الروم:

" أنه بلغني أنّ حيّاً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك، فـوا لله لتخرجنّـه أو لننبـذنّ إلى النصارى ثم لنخرجنّهم إليك " .

فأخرجهم ملك الروم ، فرجـع منهـم أربعةُ آلافٍ مـع أبـي عـدي بـن زيـاد وتفرّق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم.

عودة عمر بن الخطاب إلى المدينة

كان عمر بن الخطاب قد خرج من المدينة نحو حمص غازياً حين حاصَرَ الرومُ أبا عبيدة فلما كان بالجابية بلغه انتصارُ أبي عبيدة فانصرف راجعاً إلى المدينة .

وبذلك لم يبق بالجزيرة موضعُ قَدَمٍ إلا فُتح في عهد عمـر بـن الخطـاب رضـي ا الله عنه على يد عياض بن غنم.

فتح تستر

وقتها : السنة السابعة عشرة للهجرة .

موقعها : تستر .

قادتها : النعمان بن مقرن - أبو سبره بن أبي رهم.

أحداثها

استمر يزدجرد يُحرض أهـلَ فـارس، فكتـب إلى أهـلِ فـارس وأهـلِ الأهـواز فتحركوا وتعاقدوا على حرب المسلمين ، وصلت الأخبار إلى حرقوص بن زهير وجزء وسلمي وحرملة فكتبوا إلى عمر بالخبر ، فكتب عمـر إلى سـعد أن ابعـث إلى الأهـواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وعجِّـل وليكونـوا بـإزاء الهرمـزان ، وكتـب إلى أبـي موسى وهو بالبصرة أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمِّـرْ عليهـم سـهل بـن عـدي، وابعث معه البراء بن مالك، ومجزأة بن ثـور وعرفجـة بـن هرثمـة . وليكـن علـى أهـل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم وعلى كل مَنْ أتاه من المَدَدِ.

فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فسبق البصريين وانتهـى إلى رامهرمـز وبها الهرمزان، فلما سمع الهرمزان بقـدوم النعمـان بـادَرَهُ طمعـاً أنْ ينـال منـه، ونقـض العهد مع المسلمين. وطمع في نصر أهل فارس وقد أقبلوا نحوه وَنَزَلَتْ أمدادهم بتستر.

التقى النعمان والهرمزان بأربك فاقتتلوا قتـالاً شـديداً فهـزمَ الهرمـزان وفـرّ إلى تستر وترك رامهرمز فتسلمها النعمـان عنـوةً وأخـذ مـا فيهـا مـن الحواصـل والذخـائر والعُدد.

ولما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيـون وأنّ الهرمـزان لحـق بتسـتر مالوا نحوها ولحقهم أهل الكوفة فحاصروها جميعاً أشهراً، وأكثروا فيهـم القتـل وقتـلَ البراء بن مالك لوحده مائة مبارزٍ سوى من قتلَ في غير ذلك ، ثم تزاحفـوا أكثـر مـن ثمانين زحفاً كانت دولاً بين المسلمين والمجوس .

فلما كان آخِرُ زحفٍ منها اشتد القتالُ وانكشف المسلمون فقالوا للـبراء : يـا براء، أقسـم علـى ربـك ليهزمنهـم ، فقـال الـبراء : اللهـم اهزمهـم لنـا واستشـهدني، فهزموهم بإذن الله حتى أدخلوهم خنادقهم فتحصّنوا بها . ولـمـا طـال الحصـار خـرج رجلٌ من المجوس فأرشدَ النعمان إلى مدخلٍ للمدينـة مـن جهـةِ مخـرج النهـر مقـابل أن يؤمِّنوه فأمّنوه، فقال لهم : أنهدوا من قِبَلِ مخرج الماء فإنكم ستفتحونها، فندبَ الأمراء الناس لذلك فانتدب الشجعان والأبطال وجاءوا فدخلوا مع الماء وذلك في الليل.

فلما وصلوا المدينة كَبّروا فَكَبّر المسلمون وفُتحت الأبـواب ومَـنْ قـاتلَ قُتِـلَ، وتحصن الهرمزان بقلعةٍ في المدينة وأطاف به الذين دخلوا فطلب منهم الـنزول علـى أن يؤمّنوه ويذهبوا به إلى عمر فيحكُـمَ فيـه بمـا يشـاء فأجـابوه إلى ذلـك ، فـألقى قوسـه ونشّابه وأسروه فشدّوه وأرصدوه ليبعثوه إلى عمر .

ثم تسلموا البلد وما فيها من الأموال والخيرات فاقتسموا أربعة أخماسها فنـال كلَّ فارس ثلاث آلافٍ وكلَّ راجل ألف درهم.

الهرمزان عند عمر

أرسل ابو سبرة وفدا إلى عمر بن الخطاب فيهم أنس بن مالك والأحنـف بـن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به المدينة وألبسوه كسوتَهُ من الديباج الذي فيـه الذهـب وتاجه وكان مكللاً بالياقوت ، فطلبوا عمر فلم يجدوه فسـألوا عنـه فقيـل في المسـجد فذهبوا إليه فوجدوه نائما متوسدا بُرنسه فجلسوا دونـه ، فقـال الهرمـزان: أيـن عمـر؟ قالوا : هوذا ، فقال: أين حرسه وحُجّابه؟ قـالوا : ليـس لـه حـارسٌ ولا حـاجبٌ ولا كاتبٌ ، قال : فينبغي أن يكون نبياً ، قالوا : بل يعملُ بعمـلِ الأنبيـاء ، وكـثر النـاس، واستيقظ عمر من لغطهم وضوضائهم فنظـر وقـال : هرمـزان؟ قـالوا : نعـم . فتأملـه وتأمل ما عليه وقال : " أعوذ بالله مـن النـارِ وأستعين بـالله . الحمـد لله الـذي أذلّ بالإسلام هذا وأشياعه.

يا معشر المسلمين، تمسّكوا بهذا الدين واهتدوا بهدي نبيّكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرّاره" . فقال الوفد : هذا ملكَ الأهواز فكلِّمْهُ. قال: لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء . فخلعوا عنه كل شيء إلا شيئاً يستره وألبسوه ثوباً صفيقاً. قال عمر: هيه يا هرمزان كيف رأيتَ وبالَ الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمر، إنّا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلّى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان معكم غلبتمونا، ثم قال له: ما حجّتك وما عُذرك في انتفاضك مرة أخرى ؟ فقال : أخافُ أنْ تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تخف، فطلب الهرمزان ماء ليشرب فأُتيَ به في قدح غليظ، قال: لو متُّ عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا . فأُتيَ به في إناء يرضاه فجعلتْ يده ترجف وقال : إني أخاف أن أُقتَل وأنا أشرب الماء، فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه. فأكفأه هرمزان على الأرض . فقال عمر : أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش ، فقال : لا حاجةَ لي في الماء ، إنما أردتُ أن أستأمن به ، فقال عمر له: إني قاتلك . فقال : قد أمّنتني . فقال : كذبت، قال أنس : صدق يا أمير المؤمنين، قد أمّنته ، قال عمر : يا أنس أنا أؤمّن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك! والله لتأتين بمخرج أو لاعاقبنّك . قال : قلت له : لا بأسَ عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك، فأقبل على الهرمزان وقال : خدعتني، والله لا أنخدع إلا أن تُسلم.

فأسلم الهرمزان ففرض له ألفين وأنزله المدينة.

فتح السوس

وقتها : السنة السابعة عشرة للهجرة .

موقعها : السوس (بلد بخوزستان).

قادتها : أبو سبرة بن أبي رهم .

أحداثها

تقع سوس على بضعة فراسخٍ إلى الغرب من تستر لذلك كانت المناوشات مستمرة بين أهل سوس والمسلمين أثناء حصارهم تستر ، فلما فرغوا منها كان طبيعياً أن يتجهوا إلى سوس ويحاصروها ويقاتلوا أهلها .

أحاط المسلمون بالسوس وعليها شهريار أخو هرمزان وعلى المسلمين أبا سبرة ومعه النعمان بن مقرن وأبو موسى الأشعري، فكانت بين الفريقين جولاتٌ عدة أدّت إلى قتل الكثير منهم فأشرف علماءُ أهلها فقالوا :

يا معشر المسلمين إنّ مما عَهِدَ إلينا علماؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوسَ إلا الدجال أو قومٌ فيهم الدجال فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها ، وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا بحصارنا ثم عادوا مرة أخرى فقالوا :

يا معشر العرب لا تعنوا بحصارنا فإنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال.

وصاحوا بالمسلمين وغاظوهم ، رأى المسلمون أنّه لا بد من مهاجمة السوس بقواتهم مجتمعةً قبل أن تتفرق لمقابلة من تحشّد من الفرس بنهاوند.

فشنوا هجوما على المدينة واستطاعوا أن يخترقوا تحصّناتها ويدخلوا المدينة. فقتلوا من وجدوا حتى صاح أهلُها يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك المسلمون بعدما دخلوها عنوةً واقتسموا ما أصابوا.

وكان في المدينة قبرُ النبيِّ دانيال وجسده مكشوفٌ فكتبوا إلى عمر فأمرَ أن يُكفَّنَ ويُدفن ففعلوا ولا يزال قبره حتى اليوم .[1]

فتح جُنْد يسابور

وقتها : السنة السابعة عشرة للهجرة .

موقعها : جنديسابور (على مقربة من السوس إلى الشمال الشرقي).

قادتها : أبو سبرة بن أبي رهم .[2]

أحداثها

سار المسلمون عن السوس فنزلوا بجنديسابور وحاصروها زمناً وضيَّقوا عليها الحصار وفجأة فتحت أبواب المدينة ، وقال لهم أهلها : رميتم بالأمان فقبلناه وأقررنا الجزية .

فقال المسلمون: ما فعلنا !

وسأل المسلمون فإذا عبدٌ يُدعى مكثفاً كان أصلُه من جند يسابور، هُوَ الذي كتب لهم هذا الأمان فقالوا : هُوَ عبد . فقال أهلُها : لا نعرفُ العَبْدَ من الحرِّ وقد قبلنا الجزية فإن شئتم فاغدروا . فكتبوا إلى عمر فأجابهم : " إنّ الله عظيمُ الوفاء، فلا تكونوا أوفياء حتى تفوا ، فما دمتم في شَكٍّ أجيزوهم ووَفّوا لهم " فأجازوا الصلحَ والوفاءَ به.

(1) - ذكر في بعض الروايات أن أهل السوس عرضوا على أبي موسى الدخول في الاسلام مقابل شروط أرسلها إلى عمر بن الخطاب فوافق عليها فكتب لهم أبو موسى بذلك فأسلموا .

(2) - ذكر أن أبا سبرة بن أبي رهم قد انقطعت أخباره بعد فتح مدينة جنديسابور والظاهر أن حياته العامة قد انتهت بعد فتح هذه المدينة (قادة فتح بلاد فارس).

فتح نهاوند (فتح الفتوح)

وقتها : السنة التاسعة عشرة للهجرة .[1]

موقعها : نهاوند.

قادتها : النعمان بن مقرن .

أحداثها

لما رأى أمراءُ الفرس في شتّى الولايات ما حَلَّ بالهرمزان وجنودِهِ وتـأكدوا أنّ الهزيمة ستحلُّ بهم إذا ظلوا متفرقين ، تكاتبوا فيما بينهم وأرسلوا الرسل ودعوا بعضهم إلى الاجتماع تحت رايةٍ واحدةٍ لمقاتلة المسلمين.

وكان يزدجرد إمبراطور الفرس قد تقهقر من بلدٍ إلى بلدٍ حتى صار إلى حلوان ثم أصبهان في جماعةٍ من قومهِ مع كل ما استطاع حمله من ماله. فكانت بينه وبين الأمراء مكاتبات دَعَوْه فيها إلى أن يكون على رأس حركتهم ويعمل على دعمهم، فكتب بدوره إلى الأمصار يشجّعُ أهل فارس ويحثهم على التكاتف والتضامن والثبات، فاجتمع له جمع عظيم بنهاوند بلغ مائةً وخمسين ألفاً ، بإمرةِ الفيرزان، وكانت نهاوند مدينةً حصينةً تقوم على رَبْوَةٍ شاهقةٍ .

بلغ سعد بن أبي وقاص أمْرَ هذا الحشْد الفارسيّ الكبير، فكتب إلى عمر بن الخطاب .. فأخذ يفكر بأمرهم وذُكر أنه استشار الهرمزان وقال له: إنصح لي، فإنك أعلمُ بأهلِ فارسٍ ، قال : نعم ! إنّ فارس اليوم رأسٌ وجناحان ، قال له: فأين الراس؟ قال : بنهاوند . ثم ذكر له موضعُ الجناحين وقال : والرأيُ عندي أن تَقْطَعَ الجناحين.

---

(1) – اختلفت الروايات في توقيت معركة نهاوند ، فقيل سنة ١٨هـ، وقيل سنة ١٩هـ وقيل سنة ٢٠هـ وقيل سنة ٢١هـ وهو المختار عند الطبري . وهناك ترجيح بأنها سنة ١٨هـ وأن الفتح كان أول سنة ١٩هـ.

قال : كذبت يا عدو الله ، بل أعمد إلى الرأس فأقطَعُهُ ، فإذا قَطَعَهُ الله لم يعص عليه الجناحان.

مشاورة المسلمين

ثم همَّ عمر رضي الله عنه أن يسير بنفسه مع مَنْ قَدِرَ عليه ليكون ردءاً للمسلمين حتى يفتح الله عليهم، إلا أنّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يوافقوه الرأي، وكان مما قالوا :

تذكِّرُكَ الله يا أمير المؤمنين أن تسير بنفسك إلى حلبة العجم فإنْ أُصبتَ لم يكن للمسلمين نظامٌ ولكن ابعث الجنود ، ثم أشاروا عليه بأن يكتب إلى أهل الأمصار لإمداد المسلمين فَسُرَّ عمر بحسن رأيهم وأعجَبَهُ ذلك منهم. فقال :

" أجل ، لئن شخصت من البلدة لتنتقضن عليّ الأرض من أطرافها وأكنافها، ولئن نظرتُ إلى الأعاجم ليمدّنهم من لم يمدَّهم وليقولن هذا أصلُ العرب فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب . فأشيروا عليّ برجل أُوَلِّهِ ذلك الثغر غداً " قال قائل منهم : " أنت أفضلُ رأياً وأحسنُ مقدرةً ". قال عمر : أشيروا عليّ واجعلوه عراقياً (من جيش العراق) قالوا : " يا أمير المؤمنين، أنت أعلمُ بأهل العراق ، وجُندك قد وفدوا عليك ورأيتهم وكلّمتهم. فقال: أما والله لأُولّينَ أمرهم رجلاً ليكونَنّ لأوّلِ الأسِنَّةِ إذا لقيَها غداً . قالوا : من يا أمير المؤمنين ؟ قال : النعمان بن مقرن المزنيّ، قالوا : هوَ لَها .

النعمان بن مقرن أمير الجيش

كتب عمر رضي الله عنه إلى النعمان :

" بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن .

سلامٌ عليك . فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإنه قد بلغني أنّ جموعاً من الأعاجم كثيرةً قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند . فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ بأمر الله وَبعوْن الله وبِنَصْر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ولا تمنعهم حقّهم فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضه ، فإنّ رجلاً من المسلمين أحبُّ إليّ من مائة ألف دينار .

فَسِرْ من وجهك ذلك حتى تأتي ماه فإني كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها. فإذا اجتمع لك جنودُك فسر إلى فيرزان ومن تجمّع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم واستنصروا إليه وأكثروا من قول لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله والسلامُ عليكم".

ثم كتب إلى أهلِ الكوفةِ أن يوافوا النعمان وعليهم حُذيفة بن اليمان وكتب لأبي موسى أنْ يَسير بأهل البصرة وأرسل إليه جموعاً من المدينة فيهم عبدا لله بن عمر. ثم كتب للنعمان : إنْ حدثَ بك حدثٌ فعلى الناس حذيفة بن اليمان فإن قُتِلَ فنعيم ابن مقرنِ. وأرسل إلى أهل الأهواز يأمُرُهم بالمقام به ليكونوا حائلاً بين إقليم فارس وبين المجتمعين بنهاوند فَيَقْطَعَ عنهم الإمداد . أما النعمان بن مقرن فإنّه زيادة في الحرص فقد أرسل جماعات لاستكشاف الطريق إلى نهاوند عادت كلّها بلا نتيجةٍ فقام طليحة وسار وحده حتى دخل نهاوند وجمع أخبار العدو ولما عاد إلى النعمان أخبره بها وقال له : ليس بينك وبين نهاوند شيء تكرهُهُ.

سار النعمان في جيش المسلمين إلى نهاوند فلما وقفوا قِبالتها ورأوا جمعَ الفرس كبّر المسلمون ثلاثَ تكبيرات زلزلتِ الأعاجم وأرعبتهم حيث ذكّرتهم بتكبيرات المسلمين في القادسية والمدائن ثم أمرّ الناس بحطِّ الأثقال وضَرْبِ الخيام.

أمر النعمان ببدء القتـال فـاقتتلوا وكـان ذلـك يـوم الأربعـاء. كـانت الحـرب سجالاً بينهم يعـود المسـلمون إلى أمـاكنهم والفـرس إلى خنـادقهم لا يخرجـون إلا إذا شاءوا.

المشاورة : ولما رأى المسلمون ذلك خافوا أنْ يطـولَ بهـم الأمـر فـاجتمع أهـلُ الـرأي وذهبوا إلى النعمان فقال لهم:

قد تـرون المشـركين واعتصـامهم بـالحصون مـن الخنـادق والمدائـن وأنهـم لا يخرجون إلا إذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على إنقاضهم وانبعاثهم قبل مشـيئتهم وقـد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق ، فما الرأي الـذي بـه نستخرجهم إلى المنـاجزةِ وتركِ التطويل ؟.

فأشار بعضهم إلى أن التحصّن أشدّ من المطاولـة وعلـى المسـلمين مقاتلـة مـن يخرج منهم .

وأشار البعض بمهاجمة حصونهم .. فردّوا عليه وقالوا: إنما تناطح بنـا الجـدرانُ والجدران لهم أعوانٌ علينا . فقال طليحة الأسدي : قد قالا و لم يُصيبا، أمّا أنا فأرى أن نبعث سريةً فتحدق بهم وتناوشهم القتال ويحمسوهم فـإذا بـرزوا إليهـم فليفـروا إلينـا هرباً فإذا تبعوها وصاروا بين المسلمين قاتلناهم .. ويقضي الله ما يشاء.

استراح الحاضرون جميعاً لهذا الرأي وقرروا تنفيذَه.

فاختار النعمان القعقاع لينهب صباح الغد فيهاجم المدينة فإذا برز إليه الفرس أظهرَ الفرار .

القتال : تقدم القعقاع فأنشب القتال ورمى المدينة بـالنَبل وأظهـر عزمَـهُ علـى اقتحـام الأسوار . فخرجوا إليه واقتتلوا وثبت لهم القعقـاع زمنـاً حتـى لا تنكشـف الحيلـةُ ثـم تراجع بجنده مدبراً أمامهم فظنها الأعاجم الهزيمة فاغتنموها وخرجوا جميعاً حتى لم يبقَ منهم سوى من يحرس الأبواب، حتـى انتهـوا إلى مكـان بعيـد عـن حصنهـم . وكـان

النعمان وجيشه على أتمّ استعدادٍ وذلك في صباح يوم الجمعة فأراد المسلمون القتال إلا أن النعمان إقتداءً برسول الله ﷺ طلب منهم التريثَ حتى تزول الشمس وينزل النصر فلما حان الزوال صلّى بالمسلمين ثم ركب فرسَه وسار يحرض المسلمين ويحضّهم على الصبر والثبات ثم قال لهم : إني مُكَبّر ثلاثاً ، فإذا كبّرت التكبيرةَ الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ . فإذا كبّرتُ الثانية فليَشْدُدْ عليه سلاحه وليتأهب للنهوض ، فإذا كبّرتُ الثالثة فإني حاملٌ إنْ شاء الله فاحملوا معي . اللهم أعز دينك وانصر عبادك ، واجعل النعمان أولَ شهيدٍ اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك.

فلما فرغ النعمان كبّر الأولى والثانية ثم الثالثة فحمل الناس وانقضوا على الفرس فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً تصدى فيه أبطال المسلمين لمجموعات الفرس حتى كَثُرَ القتلُ فيهم بكثرة عددهم وامتلأت أرض المعركة بالدماء فَزَلَقَتْ فيها خيلُ المسلمين ، وزلق فرس النعمان بن مقرن رضي الله عنه فقُتل - وذكر ابن إسحق أنه اصيب بنشابةٍ في خاصرته فقتلته - وكان أخوه نعيم بن مقرن قريباً منه فتناول الرايةَ منه وأتى بها حذيفة فدفعها إليه . فأقام حذيفةُ نعيماً مكانه.

استمر القتال حتى أظلم الليل وكان شديداً فانكشف الفرس وتراجعوا منهزمين والمسلمون يتبعونهم ، وكان الفرسُ قد قرنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا جعلوا يتساقطون في الخنادق والأودية فهلك منهم ما يزيد على مائةِ ألف .

وطاردهم المسلمون فلم ينج منهم إلا الشريد وكان الفيرزان فيمن فرَّ فاندفع يطلب النجاة إلى همذان. فتبعه القعقاع حتى أدركه عند ثنية همذان وقد صادفته بغالٌ كثيرةٌ وحمرٌ تحملُ عسلاً . فحبست هرمزان عن المرور فلما رأى القعقاع في أثره نزل عن جواده وجرى في الجبال فتبعه القعقاع وقتلهُ . وسُمِيّت هذه الثنية ثنية العسل ، وقد قال المسلمون في ذلك " إنّ لله جنوداً من عسلٍ " هذا وقد واصل القعقاع سيره

إلى همذان فلما رأى قائدها الا فائدة ترجى استأمنهم على الجزية فراسلوا حذيفة فأجابهم.

فاستاقوا البغال والحمير بما حملت من عسلٍ وغيره وأقبلوا بها، أما المسلمون فقد دخلوا نهاوند واحتووا ما فيها وما حولها . فكان سهمُ الفارس ستةَ آلافٍ والراجلِ ألفين .

كما أقبل الهربذ صاحب بيت النار يطلب الأمان لنفسه ولمن يريد على أنّ يؤدي إليهم ما وَضَعَ عنده النخير جان من ذخائرِ كسرى فأمّنه حذيفة فجاءه بسفطين مملوءتين جوهراً ثميناً . فأرسل ذلك والأخماس إلى عمر مع السائب بن الأقرع فأدّى ذلك إلا أن عمر رضي الله عنه رد السفطين إلى حذيفة ليقسّم أثمانَهما بين المسلمين.

وقد بكى عمر لاستشهاد النعمان بكاءً شديداً حتى سُمع له نشيجٌ ، وتمّ بذلك فتح نهاوند الذي سمي فتح الفتوح فانساح بعدها المسلمون في بلاد الفرس كما شاءوا.

فتح مصر

وقتها : السنة العشرون للهجرة .

موقعها : العريش ، الفرما .

قادتها : عمرو بن العاص .

أحداثها

عرض عمرو بن العاص على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسير لفتح مصر وأخذ يُهَوِّنُ عليه ذلك ويُبين له ما فيها من ثرواتٍ وخيراتٍ إضافة إلى عدم استقرار الروم فيها بسبب خلافاتهم مع المصريين. كذلك فإنّ الأرطبون الذي فرّ من الشام قد التحق بمصر وجمع إليه الجند وأعدّ العُدة للقتال . وقد يزحف إلى فلسطين ثانيةً ، فتكون الشام عرضةً للخطر . وغزو مصر أفضل سبيلٍ للدفاع عن الشام وتأمين الحدود، ومنطلقاً جديداً للاستيلاء على ما تلاها من بلادٍ ونشْرِ الدِين الإسلامي في هذه البقاع .

سمع عمر هذه الأقوال وفكّرَ بها ثُم قرر موافقة ابن العاص في رأيه، والسماح له بغزو مصر ، وقال له : إنّي مرسل إليك كتاباً فإن أدركَكَ وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيءٍ من أرضها فانصرفْ وإنْ دخلتها قبل أن يأتيكَ كتابي فامضِ واستعِنْ با لله واستنصِرْهُ.

خرج عمرو في ثلاثةِ آلافٍ وخمسائة رجل وقيل أربعة آلاف حتى وصل رفح وهناك أدركه كتابُ أمير المؤمنين فتخوَّف عمرو من قراءته فلم يتسلمه وواصل سيره إلى داخل مصر وهناك قرأ الكتابَ وقال لمن حوله بعد تأكده من دخول أرض مصر:

" إن أمير المؤمنين عهد إليّ وأمرني إنْ لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا على بركة الله وعونِهِ".

وعاد الرسول إلى عمر بن الخطاب يخبره بدخول ابن العاص أرض مصر.

فتح العريش

لم يجد عمرو في العريش مقاومةً لأنّ حصونها لم تكن مـن المناعـة بمكـانٍ و لم يكن بها حامية رومانية فافتتحها ثم سار إلى الفرما .

فتح الفرما

الفرما مدينةٌ على الساحل بين العريش والفسطاط تبعـد عـن البحـر نحـو ميـل ونصف ، كان لها مرفأٌ متصلٌ بالمدينة بخليج يجري من البحر وهـي مدينـةٌ قديمـةٌ قويـةُ الحصون بها كثيرٌ من آثار قدماء المصريين كما كان بها كنائسٌ وأديرةٌ . ولهذه المدينـة شأنٌ كبيرٌ إذ أنها مفتاحُ مصر من الشرق.

تحصّـن الـروم بالمدينـة واستعدوا لقتـال المسـلمين وقـد علِمـوا قلـةَ عَددهـم وعُددهم ولما وصل عمرو إليها حاصرها لمدة شهرٍ فكـان جنودهـا يخرجـون إليـه مـن حينٍ لحينٍ يقاتلون ثم يرتدون إلى مدينتهم يتحصنون بها . حتى رأى أميرُها الخروجَ إلى مـا وراء الأسوار لمقاتلة المسلمين ، فالتقى بهـم واقتتـل الفريقـين وجهـاً لوجـهٍ. واشـتد القتـال وظهرت عزائم المسلمين فارتدّ الروم إلى الحصون وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسـرون حتـى سبقوهم إلى باب المدينة فدخلوها واستولوا على حصونها ، وهدم عمـرو أقـوى حصونهـا، وأحرق السفن الراسية في المرفأ القريب منها ، ثم اتخذها معقِلاً لتأمين الطريق إلى فلسطين . وكان هدم عمرو لحصون الفرما بسبب عدم وجود قوةٍ كافيةٍ مـن جنـدهِ يُبقيهـا في المدينـة لحراستها، وحتى لا يستفيد منها العدو إذا عاد لتملُّكِها.

فتح بلبيس

سار عمرو من الفرما بجيشه مع مَنْ التحقَ بهم من بَـدْوِ الصحـراء حتـى بلـغ مدينةً بجدول القديمة وهي تلي الفرما في الصحراء على مقربةٍ من ساحل البحر الأبيض المتوسط، ثم واصل سيره إلى الصالحية فـوادي الطميـلات (مكـانُ وقعـةِ التـلّ الكبـير اليوم) حتى كان قريباً من بلبيس وهنـاك التقـى ببعـضِ طلائـع الـروم فجـرت بينـه وبينهـم مناوشاتٌ بسيطةٌ تراجعوا بعدها إلى مدينتهم.

أقام عمرو يحاصر مدينة بلبيس شهراً جرت فيها مفاوضةٌ بينه وبين قِبْط المدينة وأمهلهم أربعة أيام، لكن قائد الروم في المدينة الأرطبون لم يرضَ بهذا الوضع. والأرطبون هو حاكِمُ بيت المقدس الذي هرب منها قبل تسليمها إلى عمر بن الخطاب فعزم على مناجزة المسلمين وباغتهم بجيشه واشتدّ القتال بينهم حتى كانت الدائرةُ عليه فقُتِل وتمزّقَ جيشُه الذي بلغ إثنا عشر ألفا ودخل عمرو المدينة .

فتح أم دنين

أم دنين، قريةٌ على النيل وتقع في موضع حي الأزبكية- من أحياء القاهرة اليوم -. كانت حصينة يجاورها مرفأً على النيل فيه سفن كثيرة ، وهي الى الشمال من حصن بابليون، حصن مدينة مصر الأعظم.

سار عمرو إلى أم دنين ووقف قِبالتها بعُدته وعَتاده فكان أهلُها يخرجون لقتال المسلمين ثم يعودون إلى حصونهم.

ولما أبطأ الفتحُ على عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويُعلمه بذلك، فأمدَّه بأربعة آلاف رجل على كلِّ ألف رجل منهم رجلٌ مقام الألف ، الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد- وقيل خارجة بن حذافة-(1).

أقبل المدد على المسلمين وهم يحاصرون حِصن أم دنين فقويَ بأسهم واشتدت سطوتهم وخارت قوى الروم (2) فانتهز ذلك عمرو واختار الوقت المناسب وهاجم الحصن وقد عرف مداخله ومخارجه ففتحه الله عليه ولما خاف المقوقس على نفسه ومَنْ معه سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه إليه على أن يَفْرِضَ للعربِ على القبط دينارين على كلِّ رجلٍ منهم ، فأجاب عمرو إلى ذلك.

---

(1) - اختلف الرواه في عدد الامداد فقال ابن عبدالحكم انها ٤٠٠٠ وقال البلاذري انها ١٢ الف وقال ياقوت انها ١٢ ألف.

(2) - الفاروق عمر - محمد حسين هيكل ص١٠٣ . وذكر بتلر ان المدد جاء الى عمرو في عين شمس.

حصن بابليون

استخدم عمرو السفن التي استولى عليها قربَ أُم دنين فعبر بها إلى الشاطئ الشرقي للنيل وسار حتى وصل عين شمس فعسكر بها وكانت هذه المدينة ذات ماء وفيرٍ واقعةً على مرتفعٍ يحيط بها سورٌ قديمٌ يمكن الدفاع عنه .

حشد عمرو بن العاص قوّاته في المدينة مع ما جاءه من المدَدِ، فكان تِعْدادُ جيشه خمسة عشر ألفاً (إذا اخذنا بالرواية التي تقول أن المدد كان اثنا عشر ألفاً إضافة إلى ما انضم إليه من الأعراب في مصر) .

أمّا الروم فكان قائدهم تيودور قد قدم إلى حصن بابليون وجعل يحشد فيه الجنود من بلدان مصر السفلى حتى اجتمع اليه ما لا يقل عن عشرين ألفاً عدا من كان في الحصون (١).

كانت خطة عمرو إخراج الروم من حصن بابليون فيقاتلهم في السهل بعيداً عن حِصنهم، فارسل تحت الليل كتيبتين إحداهما في خمسمائة رجل سارت من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل عند قلعة الجبل.

وأخرجَ خمسمائة رجلٍ آخرين وعليهم خارجة بن حذافة فساروا قبيل الصبح إلى أُم دنين (وهي حي الأزبكية الحالي) وأمرهما أن يهبطا على جيش الروم في الوقت المناسب.

خرج الروم من حصونهم في الصباح الباكر وساروا بين الأديار والبساتين المحيطة بالحصن من شماله الشرقي نحو عين شمس ، بينما تقدم عمرو بن العاص في جيشه للقاءهم، وكِلا الطرفين عازمٌ على القتال المستميت فهذه المعركة فاصلة بعدها يتقرر مصير مصر كلها .

---

(١) – فتح العرب لمصر ١٧٠.

والتقى الفريقان في قتالٍ شديدٍ وعلا غبار المعركة وانهم لكذلك إذْ أقبلت كتيبة الجبل المختبئة بغار بني وائل تجتاح مؤخرة الروم، ولما لم يكونوا على علم بها اضطربت صفوفهم وتقهقروا نحو أُم دنين، عند ذلك خرج إليهم الكمينُ الآخر فأمعن فيهم قتلاً وتأكدوا أنه جيشٌ ثالثٌ فخاب أملهُم في المقاومة وانحلَّ نظامهم وحلّت بهم الهزيمة ففرّوا لا يلوون على شيء وسيوفُ المسلمين تُلاحقهم وتعمل فيهم القتل، فالتجأ بعض الفارين إلى الحصن برا وركب البعض الآخر النهر متجها إلى الحصن وأغلقوا عليه الأبواب .

توقف المسلمون حول الحصن وكان فصل الصيف على الأبواب وبدأ فيضانُ النيل وارتفعت مياهُهُ فلم يتمكنوا من اجتيازه ومهاجمة الحصن، ولم يكن أمامهم سوى الانتظار .

كان حصن بابليون من أمنعِ الحصون وأقواها فكانت أسواره ترتفع نحو ستين قدماً وكان سُمْكُ هذه الأسوار ثمانيةَ عشر قدماً وكانت صُروحه تزيد على الأسوار ارتفاعاً وكان في كلِّ صرحٍ سُلّمٌ صاعدٌ إلى أعلى البناء يُشرف الناظر منه على جبل المقطم من الشرق وعلى الجيزة والأهرام وصحراء لوبيا من الغرب ، ويُرى منه مجرى النيل إلى مسافاتٍ بعيدةٍ من الشمال ومن الجنوب، وكان النيلُ يبلغ باب الحصن الأكبر فكانت السفن الرومانية ترسو عنده إلى جانب درجٍ يهبط منه إليها. وكان هذا الباب الأكبر مصنوعاً من الحديد أو مُصفّحاً به ، فكان اقتحامه مستحيلاً لمتانته ولحماية السفن له.[1] إضافةً إلى أن في داخل الحصن آبارٌ يُستسقي منها حُماته وفيه المزارع والحدائق الممتدة من حوله تمده بالميرة الوفيرة [2] وكان يحيط بالحصن خندق عليه قنطرةٌ متحركة لا يستطيع فتحها أو تحريكها إلا من بداخله.

(١) – الفاروق عمر ، محمد حسين هيكل ١١٠.

(٢) – المرجع السابق ١١٠

لهذا كلّه أمّنت القوات المتحصنة به جانب العدو واطمأنّتْ إلى مقدرتها علـى الدفاع عنه.(١)

حصار حصن بابليون وفتحه

شدد عمرو بن العاص الحصار على حصن بابليون، وكان في الحصن من قـادة الروم المقوقس (قيرس) وهو القائدُ الأكبرُ وخليفة هرقل علـى مصـر، والأعـيرج وهـو القائد الذي يُدبّرُ أمْـرَ الجنـود، وكـان الرَمـي بالمجـانيق مـن قِبَـلِ مـن في الحصـن على المسلمين مستمراً وهم يردون عليهم بالحجارة والسهام، فلما أتموا الشهرَ جمع المقوقس مستشاريه وبيّن لهم ما هم فيه من ضيق مع اليأس من قـدوم المـدَدِ الـذي يرفـع عنهـم الحصار إضافةً إلى إصرار المسلمين وتجربتهم السابقة معهم في فتوح الفرما وبلبيس وأم دنين والفيوم وعين شمس حين قضوا على جيوشهم وهزموهم(٢) فقال :

أليسَ خيراً لهم أن يفتدوا أنفسهم بالمال لـيرحل هـؤلاء العـرب عنهـم ولتعـود مصر إلى مُلْكِ الروم ؟

وما زال المقوقس يسوق الحجج في بيانٍ ساحرٍ حتى انضـم الحـاضرون جميعـاً إلى رأيه. لكنهم رأوا أنّ مِنَ الخير أنْ تجري المفاوضةُ مع العرب سِرّاً حتى لا يقف أحد من المدافعين عن الحصن على شيء من أمرهـا، وأن يتولاهـا المقوقـس بنفسـه، فتسـلل المقوقس وجماعةٌ من أصحابه من الحصن تحت جنح الليـل وركبـوا السـفن إلى جزيـرة الروضة فلما بلغها أرسلَ إلى عمرو بن العاص برسالةٍ مع أسقف بابليون وجماعـة معـه يحذر فيها المسلمين من رَدّةِ فعل الروم ويطلب اليهم ارسال رجل ليسمعوا كلامه .

إلا أن عمرو حبس الرسل ليريهم حالَ المسلمين مدة يومين عـادوا بعدهـا إلى المقوقس برسالةٍ من عمرو يقول فيها :

---

(١) – المرجع السابق ١١٠.

(٢) – الفاروق عمر ، محمد حسين هيكل ١١٢.

" إنه ليس بيني وبينكم إلا احدى ثلاثِ خِصال: إما دخلتم في الاسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا، وإما أبيتم فأعطيتم الجزية عن يَدٍ وأنتم صاغرون، وإما جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكمَ الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين ". فلما قرأ المقوقس كتاب عمرو تعجب منه وعرف أنه أمام قومٌ لا يريدون إلا الانتصار ولا سبيل لإغرائهم بالمال وغيره. فقال لأصحابه :" والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقدِرُ على قتال هؤلاء أحد ! ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وَقَووا على الخروج من موضعهم ".(1)

ثم توالت الرسل بينهم ، استخدم فيها المقوقس معهم أساليب الإغراء والتخويف فلم يجد الا جواب الأبطال الذي يحملون في قلوبهم الايمان ﴿ **كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئة كَثِيرة بِإذنِ الله وَالله مَع الصَابِرين** ﴾

ولما اختلف الروم على ردٍ واضحٍ على شروط العرب طلبوا أن يهادنهم العرب شهراً ليروا فيه رأيهم ، فأجابهم عمرو جواباً قاطعاً: " لا مهلة أكثر من أيامٍ ثلاثة ".

وذكر بتلر: " غير أنّ عمل المقوقس لم يلبث أن ذاع في الناس فثار ثائرهم وأبى جند الامبراطور إلا القتال ، فما انتهت أيام الهدنة الثلاثة حتى أخذ أهل الحصن يتجهزون للخروج إلى المحاصرين يناجزونهم و لم يبعثوا رداً إلى عمرو، وخرجوا إليه بغتةً من فوق قناطرهم فأخذوا جنود المسلمين على غرّة . و لم تُذهل تلك البغتةُ العرب، فأسرعوا إلى سلاحهم وقاتلوا الروم قتالاً شديداً، وقاتلهم الروم يومئذ مستبسلين ، غير أن العرب تواردوا إليهم منذ نذروا بهم فتكاثروا عليهم ، فما استطاعوا إلا أن يتراجعوا إلى الحصن بعد أن قُتِلَتْ منهم مقتلةً عظيمةً ".

---

(1) – الفاروق عمر ، محمد حسين هيكل ١١٢

استمر حصار المسلمين للحصن شديداً فتضعضعت قوات الروم في الحصن وخارَتْ عزائمهم، فأرسل المقوقس ثانيةً إلى عمرو يطلب الصلح على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها واسفلها من القبط دينارين دينارين على كلِّ نفسٍ شريفهم ووضيعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيءٌ وعلى أن للمسلمين منهم النزول بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل على ضيفٍ واحدٍ من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافةُ ثلاثة أيام مفترضةٍ عليهم وأن لهم أرضهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم ، وألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارةٍ صادرةٍ ولا واردةٍ ".[1]

فوافق عمرو على ذلك وتم عقد الصلح إلا أنه عُلِّقَ نفاذه على موافقة الإمبراطور هرقل. فإذا أقره نفذ واتفق العرب والروم على أن تبقى الجيوش حيث هي إلى أن يجيء رَدّ هرقل .

رفض هرقل إقرار الصلح مع عمرو وبلغ العرب ذلك وكان أمر الهدنة قد انتهى وهبطت مياه النيل ومع هبوطه هبطت آمال الروم وشعروا باليأس فرموا في قاع النيل حسك الحديد بشكل كثيف . وفيما هم في هذا اليأس إذا بالأخبار تصلهم بموت امبراطور الروم هرقل فزاد ذلك من بؤسهم وحزنهم وخارت قواهم.

استغل العرب هذا الوضع وقد طال بهم الأمر حتى قارب السبعة أشهر. فانتضى الزبير بن العوام سيفه ووهب نفسه لله وقام في الناس فقال:

" إني أَهَبُ نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين " ثم أقبل مع جماعة يقودهم تحت جنح الليل إلى الحصن ووضعوا سُلّماً على السور صعد عليه الزبير حتى وصل أعلاهُ فكبّر وسيفه يلمعُ في يده وتبعه أصحابه إلى أعلى السور وكبّروا

---

(١) – الفاروق عمر ، محمد حسين هيكل ١١٧.

معه، وارتاع الروم داخل الحصن و لم يَشُكّوا في أنّ العرب قد اقتحموه فهربـوا وعمـد الزبير إلى باب الحصن ففتحه ودخله المسلمون.

وفي روايـة (١) ان الـروم حين رأوا المسـلمين قـد كـبروا لم يشـكوا انهـم قـد استولوا على الحصن فهرعوا إلى عمرو بن العـاص في الصبـاح وعرضـوا عليـه الصلـح على أن يسلموه إليه على أمان من فيه من الجند ، واعـترض الزبـير علـى هـذا الصلـح وقال لعمرو: لو صبرت قليلاً لنزلت من السور إلى داخل الحصن، ولكـان الأمـر علـى ما نشتهي. و لم يقف عمرو عند قوله بل كتب عهد الصلح مع قـائد الحصـن علـى أن يخرج الجند منه في ثلاثة ايام فيركبوا النهر ومعهم قوتهم تاركين الحصن ومـا فيـه مـن الذخائر وآلات الحرب للمسلمين.

خرج الروم من الحصن يوم عيد الفصح (٢) ، إلا أنهم جعلـوا يـوم خروجهـم حسرةً وندماً على المصريين فلم يراعوا حرمة يوم الفصـح في نفوسـهم ، فقـد سـحبوا القبط الذين سجنوهم في أول الحصار بسبب رفضهم تركَ دينهـم وضربوهـم وقطّعـوا أيديهم ونَكّلوا بهم تنكيـلاً أثـار الأسـقف المصري حنـا النغيوسـي فسبّهم في ديوانـه وسماهم " أعداء المسيح الذين دنسوا الدين برجسِ بدَعِهِمْ وفتنوا الناس عن إيمانهم فتنة شديدة لم يأت بمثلها عبدة الأوثان ولا الهمج وعصوا المسيح وأذلّوا أتباعه ، فلـم يكـن في الناس من أتى بمثل سيئاتهم ولو كانوا من عبدة الأوثان ".

انتهى بذلك فتح أشد الحصـون مناعـة بهِمَّـةِ الرجـال الذيـن ربّـاهم الاسـلام وأعزّهم فارتفعت راياتهم خفاقةً وانتشر صيتهم في قرى مصر كرجال عـدلٍ وسَـلام. متحابين متواضعين فأقبل القبط يختارون الإسلام فتساووا بالمسلمين وأعفوا من الجزية.

---

(١) – فتح العرب لمصر لبتلر ٢٠٠.

(٢) – بتلر – فتح العرب لمصر ٢٠١.

وقد وجّه عمرو بن العاص بعد فتح الفسطاط إلى عين شمس عبدا لله بن حذافة فغلب على أرضها وصالح أهلها .

كما وجّه خارجة بن حذافة السهمي إلى الفيوم والأشمونين وأخميم والبشرورات وقرى الصعيد فغلب على أرضها وصالح اهلها.

كما وجّه عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا، ودقهلة وبنا وبوصير فصالَح أهلها . ووجّه عقبة بن عامر الجهني إلى سائر قرى أسفل مصر ففعل مثل سابقَيْهِ.[1]

المسير إلى الاسكندرية

فتح نقيوس

استولى المسلمون على حصن بابليون واستتب الأمرُ فيه فبنى عمرو خيمته وأمر بإقامة جسر من السفن بين الحصن وجزيرة الروضة وبين الجزيرة والجيزة فوصل بذلك بين شاطيء النهر وتَيسَّر له بذلك الإشراف على ما يجري فيه من السفن والبضائع.

ثم نَشَرَ جنودَه فيما استولى عليه من الأقاليم وقرّب إليه القبطَ وأحسن معاملتهم فكانوا عوناً له على بناء الجسور وعلى التفاهم مع من لقيهُ من أهل البلاد.

ومن بابليون عقد العزم على المسير إلى الاسكندرية فكتب إلى أمير المؤمنين يستأذنه ، فأمره بالمسير.

وضع عمرو بن العاص في الحِصن مُسَلَّحةً من المسلمين عليهم خارجة بن حذافة السهمي وترك خيمته في مكانها لأنهم حين أرادوا نزعها وجدوا في رأسها عشَّ يمامةٍ قد باضَتْ ، فقال عمرو : لقد تحرَّمَ هذا اليمامُ مِنّا بمتحرمٍ فأقِروا هذا الفسطاط في موضعه حتى يفرخ ويطير .

---

(١) - البلاذري ٣٠٤.

ثم سار يريد الإسكندرية وكانت على طريقــه مدينـةٌ تدعـى نقيـوس ، وهـي مدينة ذاتُ شأنٍ عظيمٍ وحصنٍ ذي منعةٍ وقوةٍ " نقيـوس هـي القريـة الحديثـة المسمّاة شبشير وهي في الشمال الغربي من منوف على نهر النيـل " وكـانت مقـرّاً أحـدِ كبـارِ رؤوسِ الدينِ المسيحي ولهامكانةٌ حربيةٌ كُـبرى في حفـظ الطريـق بـين حصـن بـابليون والإسكندرية ، فكان لا بد للروم أن يجتمعوا هناك مرةً أخرى للقاء العرب.(١)

فلما وصل عمرو قِبالتها وأراد عبور النهر خرج أمـير الحصـن في جنـده فركبـوا سـفنا أُعِدَّتْ للدفاع عن المدينة وحاولوا صدّ العرب، ورآهـم عمـرو فـأمر رجالـه فرموهـم بالنَبل فاحتموا بالسفن إلا أنهم خافوا عبور المسلمين إليهم فأمر القائد الرومـي مَـلاّح السفينة التي كان بها فانطلقت مُسرعة فراراً إلى الاسكندرية .

ورأى الجنودُ أنّ قائدهم يَفرُّ عنهم ذلك الفرار، فوضعوا سلاحهم وهبطوا إلى الترعة سراعاً وقد أذهلهم الخوف ، يريدون أن يقتحموها وليبلغوا السفن يحتموا بهـا، لكن الخوف جعل أصحاب السفن يفروا بسرعة شمالاً يطلبون النجـاة تـاركين هـؤلاء لمصيرهم ، عند ذلك طلع عليهم العرب وهم في الماء بغير سلاح فقتلوهم عن آخرهم، ثم دخل العرب المدينة من غير مقاومةٍ بعد أن خلت من المدافعين.

تفرقت السفن الرومية التي كانت بالنيل بعد هذه الوقعة وأصبح الطريق خاليـاً من العقبات إلى الاسكندرية .. أما جيـش الـروم فكـان يقـوده في ذلـك الوقـت قـائدٌ رومي اسمه تيودور ، تراجع به شيئاً فشيئاً نحو الإسكندرية.

موقعة كوم شريك :أقام عمرو بنقيوس وبدأ يُطَهِّرُ ما حولها من كلِّ أثرٍ للروم، فبعـث شريك بن سميّ على كتيبةٍ لتعقُّبِ الروم المنهزمين فلحقت بهم عند موضـعٍ علـى ستة عشر ميلاً إلى الشمال من الطرانة واقتتلوا، إلا أن الروم كانوا أكثر عددا فاحاطوا بهم وتمكن شريك ومن معه مِن الاعتصام إلى نهـدٍ مـن الأرض وقـاتلهم مـن فوقـه، لكنـه

---

(١) – بتلر – فتح العرب لمصر ٢٠٨.

أدرك الخطر المحدق به إذا لم يصله مَدَدٌ فأمر مالك بن ناعمة ليخرج على فرس له أشقر لا يُشَقُّ في الجري غُبارُه حتى يأتي عمرو بن العاص فيحمل إليه النبأ ففعل وطار إلى عمرو و لم يدركه أحدٌ ، فأرسل إليه عمرو امداداً بسرعة . ولما بلغ ذلك الروم فرّوا هاربين، وقد سُمي النهد باسم القائد العربي، فهو معروف إلى يومنا هذا باسم "كوم شريك "(١)

موقعة سلطيس

واصل عمرو سيره فأدرك شريكاً وسارا معاً إلى الشمال باتجاه دمنهور فوجد الروم مرةً أخرى يعترضون سبيله عند سنطيس ، وهي على ستة أميال في جنوب دمنهور فاشتبك معهم في قتالٍ شديدٍ انتهى بهزيمة الروم وتراجعوا أمام العرب إلى الطريق المؤدي إلى الإسكندرية ، والتجأوا إلى حصن كريون . وهو آخر الحصون قبل الاسكندرية . وهناك انضموا إلى سائر الروم وتأهب الجميع للقتال بقيادة تيودور.

موقعة الكريون

استعد تيودور أشد الاستعداد للقتال فهو يعلم أنّ هزيمتهم في هذا الموقع تعني انكشاف عاصمتهم أمام العرب فأعدَّ الحصون ورممها وزادها قوةً. وكانت ترعة الثعبان أمامها تحمي المدافعين عنها فلما اطمأن لذلك خرج بنفسه يقود الروم فالتقى بجيش العرب في كريون واقتتلا أشدّ القتال صمد فيه الروم حتى فَصَل بينهم الظلام.

وفي صباح اليوم التالي بدأ القتالُ شديداً صعباً تبادل فيه الطرفان الهجوم دون أن ترجح كَفّة أحدهم على الأخرى .

وهكذا تواصل القتالُ شديداً بضعة عشر يوماً أظهر فيه الروم صلابةً لم تُعْهَدْ فيهم من قبل، وكان يحمل اللواء في مقدمة المسلمين وردان مولى عمرو بن العاص ويقاتل إلى جانبة عبدا لله بن عمرو بن العاص فأصابت عبدا لله جراحاتٌ شديدةٌ فسأل

---

(١) – أخبار عمر ، محمد هيكل ١٣٠ – بتلر ٢١٢.

وردان أن يرتد قليلا يطلب الروح فقال له وردان : الروح تريد؟ الروح أمامك وليس خلفك ، ثم أقبلا على القتال . وعلم عمرو بما أصاب ولده وبأبياتٍ من الشعر قالها يُطمئن والده فقال : إنه ابني حقاً .

ثم حمل المسلمون حملةً شديدةً على الروم تمكنوا من دحرهم وفتح الله على المسلمين فقتلوا من الروم مقتلةً عظيمةً ودخلوا حصنهم، ولم يطل المقام بعمرو هناك إلا ريثما استراح جنده فواصل سيره حتى بلغ الإسكندرية.

فتح الاسكندرية

كانت الإسكندرية من أجمل مدائن العالم بناءً فكانت ذاتَ أسوارٍ وحصونٍ لا نظير لها تشرف من وراءها قباب.وأعمدة بعضها أسطواني وبعضها مُربع تسمى بالمسلات، إضافةً إلى المعابد ومنارة فاروس التي هي من عجائب الدنيا السبع.

كانت قوة الإسكندرية نحواً من خمسين ألفاً، وكانت الأقواتُ وفيرةً فيها إذ هي على البحر والأسوارُ منيعةٌ تحميها الآلات القوية . فلما وصلها عمرو بن العاص ورأى حماس جنده أمرهم باقتحام أسوار المدينة وأبراجها فاندفعوا مهلّلين مكبّرين، إلا أن المجانيق المنصوبة على الأسوار أخذت تقذفهم بوابلٍ من الحجارةِ الكبيرةِ فارتدوا متباعدين عن مدى رميها وتراجع عمرو وانتظر خروج العدو ليقاتله.

عسكر عمرو شرق المدينة فيما بين الحلوة وقصر فاروس وقد أدرك أنّ مهاجمة المدينة ليست بالأمر الهيّن، فالبحر يحميها من الشمال وبحيرة مريوط تحميها من الجنوب واجتيازها عسيراً وترعة الثعبان تدور حولها من الغرب والطريق الوحيد باتجاه كريون محصناً .

كان عمر بن الخطاب في المدينة ينتظر أخبارَ سقوط الإسكندرية في يَدِ المسلمين، لكن ذلك طال شهوراً فكتب إلى عمرو بن العاص: " أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين، وما ذلك إلاّ بما أحدثتم وأحببتم

من الدنيا ما أحبَّ عدوكُم وإنّ ا لله تبارك وتعالى لا ينصرُ قوماً إلا بصدق نِيّاتهم . وقد كنت وجهت إليك اربعة نفر وأعلمتك أنّ الرجل منهم مقام ألف رجلٍ على ما كنت أعرفُ إلاّ أن يكون قد غيّرهم ما غيّر غيّرهم. فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوِّهم ورغّبهم في الصبر والنية ، وقدِّمْ أولئك الأربعة في صدر الناس ، ومُرِ الناس جميعاً أنْ يكون لهم صدمـةٌ كصدمةِ رجلٍ واحدٍ ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزّلِ الرحمةِ ووقتُ الإجابة ، وليعج الناس إلى ا لله ويسألونه النصر على عدوهم".

تلا عمرو كتاب أمير المؤمنين وأخذ يفكر في خطة يفتح بها الإسكندرية ثم دعا عبادة بن الصامت فعقد له ففتح ا لله على يديه الاسكندرية في يومه ذاك.(١)

دخل المسلمون الإسكندرية عُنوةً فاقتحموا أسوارها وفتحوا بابها ففرّ الروم إلى البر والبحر وأذعن لهم سكان العاصمة وأسلموهم مقاليدها (٢) . ثم استخلف عمرو على الاسكندرية عبدا لله بن حذافة السهمي في رابطة من المسلمين وانصرف إلى الفسطاط(٣) .

أرسل عمرو بن العاص أخبار فتح الإسكندرية مع معاوية بن حديج فلما وصل المدينة ظُهرا أناخَ راحلته بباب المسجد ودخله وجلس قريباً مِن بابه، وخرجت جاريةٌ من دار عمر بن الخطاب فرأته شاحِباً عليه ثيابُ السفر، وعرفت منه أنه رسول عمرو بن العاص فدخلت مسرعة إلى الدار ثم رجعت إليه مسرعةً وقالت : قُمْ فأجب أمير المؤمنين يدعوك. دخل معاوية الدار وأخبر عمر أن ا لله فتح عليهم الإسكندرية، فخرج عمر من فوره إلى المسجد ومعه معاوية وأمر المؤذن أن يؤذن في الناس أن

---

(١) – الفاروق عمر ، محمد هيكل ١٤٣ ، فتوح مصر والمغرب ١١٦ .

(٢) – المرجع السابق .

(٣) – البلاذري ٣١٠.

الصلاة جامعةٌ. فلما اجتمع الناس أخبرهم معاوية بفتح الإسكندرية ثم قام عمر فصلى شكراً لله.

انتقاض الروم في الاسكندرية

رأى أهل الإسكندرية قلة ما عندهم من حامية المسلمين فكتبوا إلى قسطنطين بن هرقل يُهوِّنون عليه فَتْحَها ويذكرون له ما هم فيه من ذلةٍ ومهانةٍ.

فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يقال له: منويل في ثلاثمائة مركبٍ مشحونةٍ بالمقاتلةِ فدخل الإسكندرية وقتل مَنْ بها من المسلمين المرابطين إلا من استطاع الهرب بنفسه.

ولما بلغ عمرو الخبر سار إليهم في خمسة عشر ألفاً فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيما يلي الإسكندرية من قرى مصر، فلقيهم المسلمون واشتبكوا معهم في قتالٍ عنيفٍ كثرَ فيه الترامي بالنشاب ، وانهزم فيه جند الروم وولّوا نحو الإسكندرية وتحصنوا بها . فتبعهم وقاتلوهم قتالاً شديداً نصبوا فيه المجانيق حتى فتحها ا لله عليهم ثانيةً فدخلوها وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وقُتِلَ منويل قائدهم وهدم عمرو والمسلمون جدار الإسكندرية .[1]

قال بعض الرواة: إن هذه الغزوة كانت في سنة ٢٣ هـ وقال آخرون: إنهم نقضوا في سنة ٢٣ هـ وسنة ٢٥ هـ وا لله أعلم .[2]

---

(١) – البلاذري ٣١١.

(٢) – المرجع السابق .

فتح برقة (١)

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة.

موقعها : برقة .

قادتها : عمرو بن العاص .

أحداثها

خرج الروم من مصر وانتهت قيادتهم العسكرية والسياسية لهذه البلاد وأصبح الأمر في مصر كلها خالصاً للمسلمين ولما اطمأن عمرو بن العاص إلى استقرار الأوضاع بمصر قرر الاتجاه غرباً إلى بلاد المغرب قاصداً منعَ الروم من تجميع قواتهم فيها وإعادة الهجوم على مصر.

سار عمرو في أرضٍ خِصبَةٍ ذات زروع وبلادٍ عامرةٍ حتى بلغ برقة فلم يجد بها مقاومةً تُذْكَر فدخلها وصالح أهلها على أن تَدْفَعَ للعرب جزيةٌ قدرها ثلاثة عشر ألف دينار كلّ عام. (٢)

وذُكر أنّ من شروط الصلح شرطان عجيبان : الأول أنه أُبيح لأهل برقة أن يبيعوا أبناءهم ليأتوا بالجزية المفروضة، والثاني أنه كان عليهم أن يحملوا الجزية إلى مصر حتى لا يُسمح بدخول جباة الجزية إلى بلادهم.(٣)

فكانت تَبعثُ بالجزية إلى عمرو بن العاص بمصر مع جماعة من أهلها. وقد ذكر ياقوت أنّ أكثر أهلها دخلوا الإسلام.

ومن برقة وجّه عمرو عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة قرب حدود السودان وأخضع ما بين برقة وزويلة فصارت كلُّها للمسلمين .

---

(١) - برقة كانت في مكان بني غازي اليوم في ليبيا .

(٢) - بتلر ، فتح العرب لمصر ٣١٤.

(٣) - المرجع السابق .

فتح أطرابلس (1)

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة.

موقعها : أطرابلس .

قادتها : عمرو بن العاص .

أحداثها

سار عمرو من برقة إلى أطرابلس وكانت حصونُها قويةً تحميهـا مسلحةٌ من الروم فأقفلت أبوابها وصمدت أمام المسلمين شهراً في انتظار المدد، إلا أنّ المسلمين علموا أنّ المدينة غيرَ محصّنةٍ من قِبَلِ البحر، فانسل جماعةٌ منهم من هذه الناحية وقاتلوا من وجدوه ثم صاحوا مكبّرين ، فذُعر حماةُ الأسوار وفرّوا إلى السفن تاركين المدينة بلا حراسةٍ ولحقهم حُرّاس الأبواب فدخلها عمرو بجيشه واستسلم أهلُها .

وقد أصاب عمرو بها أحمالاً كثيرةً مع تجار من تجارها فباعه وقسّم ثمنه بين المسلمين.(2)

ذكر بتلر أن عمرو سار مسرعاً فطلع بغتةً على مدينة سبرة وهاجمها في أول الصباح وأخذ الناس على غرّة إذ كانوا يظنون أنّ العرب لا يزالون في شغلٍ من حصار أطرابلس ولهذا فُتحت المدينة عند أول حملةٍ حملوها عليها.

ثم كتب عمرو إلى عمر بن الخطاب : إنّا قد بلغنا أطرابلس وبينها وبين أفريقية (تونس) تسعة أيام، فإنّ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل . فكتب إليه عمر ينهاه ويأمره بالوقوف عند هذا الحدّ فعاد مُكرها إلى برقة بعد أن استخلف على ليبيا عقبة بن نافع الفهري.

---

(1) – اسمها الآن طرابلس . وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

(2) البلاذري ٣١٦.

وهناك أقبلت إليه أكبر قبائل البربر فدانت له بالطاعـة . فلمـا اطمـأن إلى استقرار الأمور هناك عاد بجيشه إلى مصر ومعه عددٌ كبيرٌ من الأسرى ومقدارٌ كبيرٌ من الغنائم.

بلاد النوبة

ثم إن عمرو أراد أن يؤمّن حدود مصر من الجنـوب كمـا أمّنهـا مـن الغـرب فأرسل عقبة بن نافع في جيشٍ لغزو النوبة فتصدى له أهلُها وكانوا ذوي مهارةٍ شديدةٍ في رمي النَبل فلا يُخطئون فاقتتلوا قتالاً شديداً تعمّـدوا فيـه رمْـيَ العـرب في عيونهـم فأصابوهم وأوقعوا بهم خسائرَ كبيرةً مما حدا بالعرب إلى تسميتهم (رماة الحدق).

ولم يتفوقْ أحدٌ الطرفين على الآخر بل ظلّت المناوشـات بهـم مسـتمرةً علـى الحدود ، إلى أيام خلافة عثمان فعقـد معهـم صلحـاً فيـه: أنْ لا يُقـاتل أحـدُ الفريقـين الفريق الآخر ، وأنْ يدفع أهل النوبةِ كل عام جزيةً من العبيد إلى والي مصـر وبالمقـابل يُرسل لهم المسلمون المؤونة.

فتح أصبهان

وقتها : السنة الواحدة والعشرون للهجرة.

موقعها : أصبهان (أصفهان).

قادتها : عبدا لله بن عبدا لله بن عتبان الأنصاري.

أحداثها

بعث عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه إلى عبدا لله كتاباً فيه:

" أنْ سِرْ إلى أصبهان وزياد على الكوفة ، وعلى مقدمتك عبدا لله بـن ورقـاء الريـاحي وعلى مجنبتيك عبدا لله بن ورقاء الأسدي للميمنة وعصمة بن عبدا لله للميسرة ".

سار عبدا لله بن عتبان فلقيه جيشٌ عظيمٌ من الفرس بظـاهر أصبهـان يقودهـم استندار، وقد جعل على مقدمته قـائداً شيخاً مسِناً اسمـه شـهر بـراز جازويـه فـالتقى المسلمون بهم واقتتلوا قتالاً شديداً رأى فيـه شـهربراز أنّ المعركـة ليسـت في صالحـه،

وقد كثر القتل في الفرس فتقدم إلى الصفّ الأول ودعا إلى المبارزة ، فبرز لـه عبـدا لله بن ورقاء الرياحي وَقَتَلَهُ وانهزم جيشُه وسُمي مكان المعركة رستاق الشيخ .

تراجع الفرس إلى أسـوار أصبهـان يحتمـون بهـا في مكـان يُدعـى جيّ وولّـوا عليهم فاذو سفان فحاصرهم عبدا لله بها وتزاحفوا عدة مرات واقتتلوا يعـود بعدهـا الفرس إلى حصونهم، فلما طال ذلك بعث الفاذوستان إلى عبدا لله يقول له :

لا تقتل أصحابي ولا أقتل أصحابك ولكن ابرز لي فإن قتلتُكَ رجع أصحابك وإن قتلتني سالمكَ أصحابي ، وإنْ كان أصحابي لا تقع لهم نشابة، فخرج لـه عبـدا لله وتصاولا ، فقال الفاذوستان لعبدا لله :

" ما أحبُّ أنْ أقاتلك فإني قد رأيتـك رجـلاً كـاملاً ولكـن ارجـع معـك إلى عسكرك فأصالحكَ وأدفع المدينة إليك على أن مَنْ شاء أقام ودفـع الجزيـة وأقـام علـى مالِهِ ، وعلى أن تجري مَنْ أخذتم ارضه عنوة بجراهم ويرجعون ، ومـن أبـى أن يدخـل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه ".

فأقر عبدا لله هذا الصلحَ وكتب له كتاباً بذلك ودخل أهل أصبهـان في الذمـة إلا ثلاثين رجلاً خالفوا واتجهوا مع حاشيتهم إلى مكران.

همذان

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة .

موقعها : همذان.

قادتها : نعيم بن مقرن .[1]

أحداثها

نقض أهل همذان العهد الذي بينهم وبين المسلمين والذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو فبلغ ذلك حذيفة وهو راجعٌ من نهاوند منتصراً، فكتب إلى عمر بن الخطاب فأمره أن يُسَيّر إليها نعيم بن مقرن، وان يدخلها عنوة عقاباً لأهلها حتى لا يعودوا لمثلها أبداً.

سار نعيم بن مقرن وحاصرها فطلب أهلُها الصلح فصولحوا على الجزية.

واج روذ

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة.

موقعها : واج روذ (موضع بين همذان وقزوين).

قادتها : نعيم بن مقرن .

أحداثها

كان نعيم بن مقرن قد دخل همذان على رأس اثني عشر ألفاً من المسلمين، فبينما هو هناك إذ سمع بتجمع الديلم وعلى رأسهم أميرهم موتا وتحرك أهل الري وعليهم الزينبي وتحرك أهل أذربيجان بإمرة أسفنديار ، وأنهم اتجهوا نحو واج روذ. فاستخلف نعيم على همذان وخرج بجيشه للقاء المجتمعين في واج روذ فلما وصلها نزل بقواته قبالة جيوش الفرس التي لم تمهله، فهاجمته فتصدى لهم المسلمون واقتتلوا

---

(1) - ذكر البلاذري أن الذي فتحها هو جرير بن عبدالله وجهه اليها المغيرة بن شعبة عام ٢٣هـ . وان سهما أصاب عينه في قتال أهلها فاحتسبها عند الله.

قتالاً شديداً. وما أن اقترب المساء حتى انكشف الفرس وبدأوا بـالانهزام بعـد أن قُتِـلَ منهم عددٌ كبيرٌ.

وكان نعيم قد بعث إلى عمر بن الخطاب بهذا الحشد ففزع عمر واهتم بذلك ولكنه فوجئ بعروة بن زيد الخيل وهو يحمل البشارة بـالنصر، كمـا وصلـه ثلاثـةٌ مـن الأمراء يحملون الأخماس فحمد الله وأثنى عليـه وكتـب إلى نعيـم بـأن يسـتخلف علـى همذان ويسير إلى الريّ.

الري

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة.

موقعها : الري "بلدة قرب طهران في جنوبها الشرقي".

قادتها : نعيم بن مقرن .

أحداثها

مكث نعيم قرب همذان حتى رجع عروة من المدينة ومعه كتابُ عمـر وفيـه: أما بعد فاستخلف على همذان وسِرْ حتى تقدم الري وتلقى جمعَـهُ ثـم أَقِـمْ بهـا فإنهـا أوسط تلك البلاد وأجمعها لما تريد.

سار نعيم إلى الري بعد أن استخلف يزيد بن قيس على همذان وكان مَلِكُهـا (سياوفش بن مهران) الذي تَيقَّنَ أن المسلمين لا بد وأنهم قادمون إليه فاستعان بـأهل دنباوند وطبرستان وجرجان فأمدوه بقـوات اجتمعـت فكـانت أضعـاف قـوات نعيـم عدداً وعُدةً .

نزل المسلمون على سفح جبل الـري والتقـوا بـالفرسِ مجتمعـين فـاقتتلوا قتـالاً شديداً لم ينته آخر النهار بظفر أيٍّ من الفريقين فلما كان الليل قال الزيني لنعيم (قـائدٌ من قواد الفرس قابَل نعيم بضواحي الري مسـالماً وحالفَـه بعـد أن رأى حسـن معاملـة المسلمين وتسامحهم) : " إنّ القوم كثيرٌ وأنـت في قِلّـةٍ فـابعث معي خيـلاً أدخـل بهـا

مدينتهم بن مدخل لا يشعرون بـه ونـاهلهم أنـت فـإنهم إذا خرجـوا إليـك لم يثبتـوا لك".

نبعث معه نعيم خيلاً عليهم المنذر بن عمـرو المزنـي فـأدخلهم الزينـي المدينـة دون أن يشعر بهم أحد.

وبات نعيم يُشاغل حماة الري يرميهـم بـالنَبل والنشـاب فشـغلهم عمـا يـدور داخل مدينتهم، فلمـا كـان الفجـر بـرزت خيـلُ المسـلمين بالمدينـة وعلـتْ الأصـوات بالتكبير فأصبح الفرس مُحاصرين مـن الداخـل والخـارج فـانهزموا فـأتبعهم المسـلمون يمعنون فيهم القتلَ ودخلوا المدينة وغنموا منهم غنيمة ثم نُصِّـب الزينـي ملكـاً للمدينـة وأُرسل إلى عمر بالفتح والأخماس.

كان نصر المسلمين بالري حاسماً لذلك أسرعت المدن والأقـاليم القريبـة منهـا تطلب الصلح والجزية، ففتح سويد بن مقرن أخو نعيم " قومس " سلماً وصـالح نعيـم أهـل دنباوند - جبل نواحي الري - وكان الصلح على مائتي ألف درهم يدفعونها كل سنة.

مصالحة جرجان ، دهستان ،طبرستان

عسكر سويد بن مقـرن بعـد صلـح قومـس بيسـطام وكـاتَبَ مَلِـك جرجـان يدعوه إلى الصلح أو يسير إليه بجنـوده فبـادره الملـك الفارسـي وصالحـه عـن دهسـتان وجرجان على الجزية يؤديها أهلُها ولهم الذمة والمَنَعَةُ والأمان على أنفسـهم وأموالهـم ومللهم وشرائعهم [1] . ولما رأى ملك طبرستان أنّ المسلمين أحاطوا بـه مـن الجنـوب باستيلائهم على الـري وبمصـالحتهم أهـل قومـس ، ومـن الشـرق بصلحهـم مـع أهـل جرجان ولم يبق له منفذٌ إلا أذربيجان المهددة بالغزو آثر الصلح وراسل سويداً فتوادعا وتصالحا على طبرستان وجبل جيلان بأن يُدفع الجزية كل عام.

---

(1) - الفاروق عمر ، محمد هيكل .

أذربيجان

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة.

موقعها : أذربيجان.

القائد : عتبة بن فرقد السلمي ، بكير بن عبدا لله.

أحداثها

لما أذن عمر بن الخطاب للمسلمين بالانسياح في أرض العجم بعث عتبة بن فرقد السلمي وبكير بن عبدا لله وعقد لهما لواء أذربيجان وفرّقَها بينهما فجعل لكلّ منهما هدفاً محدداً :

أمر عتبة أن يتقدم لفتحها من حلوان إلى ميمنتها جنوبي أذربيجان وأمر بكير أن يتقدم لفتحها من الموصل إلى ميسرتها شمال أذربيجان، ثم أمدّ بكير بسماك بن خرشة الأنصاري على رأس قوةٍ من مُجاهدي الري بعد فتحها فسار سماك نحو بكير وكان بكير قد اصطدم بالقوات الفارسية في منطقة جرميذان ، فكان أولُ قتالٍ لقيه بأذربيجان ولكن سرعان ما انهزم الفرس وأخذ بكير قائدهم (أسفنديار) أسيراً فقال له قائد الفرس: " الصلح أحبُّ إليكَ أم الحرب ؟ " فقال بكير: بل الصلح ! "فقال : فأمسكني عندك ، فإن أذربيجان إنْ لم أصالح عليهم أو أجيء إليهم ، لم يقوموا لك وجلوا إلى الجبال التي حولها، ومن كان على التحصن تحصن إلى يوما ما ، فأمسكه عنده وصارت البلاد إليه .

ولما تقدم عتبة التقى بعسكر بهرام أخو أسفنديار فهزمه وألجأه إلى الفرار، ثم أعطى أسفنديار كتاباً بالأمان لأهل أذربيجان سَهْلَهَا وجَبَلَها وأهلَ مِلَلِها على أنفسهم وأموالهم ومِلَلِهم وشرائعهم على أن يُؤدوا الجزية قدر طاقتهم.

فتح الباب

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة.

موقعها : الباب (ويقال لها: باب الأبواب).

قادتها : سراقة بن عمرو الملقب "ذو النور" .

أحداثها

كتب عمر إلى سراقة بن عمرو بالإمرة على الباب وجعل على مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي – ويقال له : ذو النور أيضا– ، وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفاري وعلى الأخرى بكير بن عبدا لله الليثي.

قَدّم سراقة عبدالرحمن بن ربيعة أمامه فاجتاز أذربيجان وانتهى إلى منطقة الباب فكاتبه أميرُها وهو شهربراز واستأمنه على أن يأتيه.. فلما قَدِمَ عليه قال: إني بازاء عدوّ كلبٍ وأمم مختلفة لا يُنسبون إلى أحسابٍ، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل ان يُعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول، وذو الحسَبِ قريب ذي الحسَبِ حيث كان ولست من القبج في شيء، ولا من الأرمن، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي، وأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وميلي معك وبارك ا لله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم ، النصرُ لكم ، والقيام بما تحبون ، فلا تُذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم.

فقال له عبدالرحمن : فوقي رجلٌ قد أظلّك فَسِرْ إليه. وبعث به إلى سراقة، فأعاد عليه ما أعاد على عبدالرحمن فقبل منه سراقة وقال له:

لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو.

وكتب سراقة بذلك إلى عمر فأجازه وحسّنه. ودخل المسلمون الباب ثم وجّه سراقة قُوادَه إلى الجبال المحيطة بالباب فرضي أهلُها بالجزية دون قتال.

وفي هذه الأثناء مات سراقة واستخلَفَ عبدالرحمن بن ربيعة.

غزوة الترك

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة.

موقعها : بلنجر - (بناها كسرى أنوشروان وهي من مدن بحر قزوين).

قادتها : عبدالرحمن بن ربيعة.

أحداثها

استخلَفَ سراقة على الباب عبدالرحمن بن ربيعة وأقرّه عمر على ذلك وكتب إليه أن يغزو الترك.

فلما سار عبدالرحمن قال له شهربراز : أين تريد؟ قال : أريد مَلِكَ الترك بلنجر. فقال: إنا نرضى منهم أن يدعونا.

قال عبدالرحمن : لكنّا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم وتا الله إنّ معنا لقوماً لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغتُ بهم الروم.

قال شهربراز: " وما هم ؟ " قال عبدالرحمن: أقوامٌ صَحِبوا رسولَ الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بِنِيَّةٍ ، كانوا أصحابَ حياءٍ وتكرُّمٍ فازداد حياؤهم وتكرمهم، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم ولا يزال النصرُ معهم حتى يغيّرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيّرهم.

ثم أخذ عبدالرحمن طريقه حتى غزا بلنجر غزاةً لم تُصاب قواته فيها بأي خسائرٍ وأوغل في أرض الترك دون أن يجرأوا على الخروج إليه ، بل قالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت ، فتحصنوا منه وهربوا، فرجع بالغنم والظفر.

فتح خراسان

وقتها : السنة الثانية والعشرون للهجرة.

موقعها : خراسان.

قادتها : الأحنف بن قيس التميمي.

أحداثها

استمر يزدجرد في فرارهِ من بلدٍ إلى آخر حتى انتهى إلى خراسان فأتى مرو وبنى بها بيتاً للنار وكانت مرو عاصمة خراسان ومدينتها الكبرى ومِنْ مرو أخذ يُثيرُ الفرس ضد المسلمين ويسعى لتجميع أهالي البلاد التي لم يفتحها المسلمون حتى تجمع له عددٌ كبيرٌ .

خرج الأحنف بن قيس بعد أن وصلته إمداداتُ أهلِ الكوفةِ فسار نحو خراسان مرورا بطبسين التي لم يَلْق بها مقاومةً تُذكر حتى بلغ هراة، وهي مدينة عظيمةٌ عليها حصنٌ وثيقٌ وتحيط بها المياه وداخلها مدينة عامرة، فافتتحها عنوةً فدانت له وصالَحته. فاستخلفَ عليها صحاري العبدي وبعث بقواتٍ إلى نيسابور بقيادة مطرف بن عبدا لله الشخير حتى بلغها و لم يلق بها قتالاً.

وبعث الحارث بن حسان السدوسي إلى سرخس فدخلها . أما الأحنف فواصل سَيْرَه نحو مرو الشاهجان التي اتخذها يزدجرد حقراً له وبنى بيتاً بها وجلس مطمئناً واثقاً مِنْ أنّ المسلمين لن يصلوا إليه . فلما بلغه قدومُ الأحنف خرج منها إلى مرو الروذ فنزلها، ودخل الأحنف مرو الشاهجان وحلّ بها . ثم استخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي وسار بمن لحق به من إمداد الكوفة نحو مرو الروذ، فعلم يزدجرد به فهرب إلى بلخ فاستولى الأحنف على مرو الروذ وقدّم جنود أهل الكوفة إلى بلخ فالتقوا بيزدجرد في بلخ فهزموه ولحقهم الأحنف إلى بلخ وقد فتح ا لله عليهم.

أما يزدجرد فقد توجّه بمن بَقِي معه من الفرس إلى نهر بلخ فعبره، وعاد الأحنف إلى مرو الروذ وكتب إلى عمر بن الخطاب بفتح خراسان فقال عمر: " هو سيّد أهل المشرق المسمى بغير اسمه " وكتب له :

أما بعد فلا تُجاوزنّ النهر واقتصر على ما دونه وقد عرفتم بأي شيء دخلتم خراسان فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يَدُم لكم النصر، وإياكم أن تعبروا فتنفضوا .

هجوم مضاد

كان عمر حصيف الرأي بعيد النظر في أمْرِهِ للمسلمين بعدم عبور النهر، إذْ أن يزدجرد كان قد كتب إلى خاقان الترك وملك الصين يستمدهم فوصل إليه خاقان الترك في مَدَدٍ كبيرٍ من فرغانة والصغد وانضم إليه وقد قطع النهر فعادوا جميعاً إلى المسلمين وعبروا نهر جيحون إلى بلخ واضطر جُندُ الكوفة أن يتراجعوا منها إلى مروالروذ واجتمعوا بالأحنف.

وبينما الأحنف يسيرُ ليلاً بين جُنده إذ سمع رجلين من المسلمين يقول أحدهما للآخر:

لو أنّ الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهرُ بيننا وبين عدوِّنا خندقاً وكان الجبل في ظهورِنا من أن نُؤتى من خلفنا ، وكان قتالنا من وجهٍ واحدٍ رجوت أن ينصرنا الله.

وأعجب الرأيُ الأحنف فخرج بقواته ليلاً من المدينة وعسكر خارجها فلما أصبح جمع الجيش وقال:

إنّكم قليلٌ وإنّ عدوكم كثيرٌ فلا يهولنكم ، فكم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً باذن الله والله مع الصابرين. ارتحلوا من مكانكم هذا فاستندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه من وراء ظهوركم ، واجعلوا النهرَ بينكم وبين عدوكم وقاتلوه من وجهٍ واحدٍ.

كانت قوةُ المسلمين تقدر بعشرين ألفاً، عشرةُ آلافٍ من أهلِ الكوفةِ وعشرةُ آلافٍ من أهلِ البصرة.

وأقبل الترك ومن معهم من بلخ فكانوا يقاتلون المسلمين نهاراً حتى إذا جاء الليل انسحبوا.

وأراد الأحنف أن يعرف مكان انسحابهم ليلاً فخرج بنفسه في طليعةٍ من أصحابه حتى كان في مكانٍ قريبٍ من معسكر خاقان، فلما كان وجه الصبح خرج فارس من الترك ومعه طبل فضرب به فجاءهُ الأحنف وقتله ثم خرج الثاني ففعل فِعْلَهُ فقتله الأحنف ثم خرج ثالثٌ ففعلَ فِعْلَ زميليه فكان مصيره القتل .

ثم انصرف الأحنف إلى معسكره وأعدّه للقتال.

أمّا الترك فلما خرجوا صباحاً ومرّوا على فرسانهم صرعى تشاءم الخاقان وكان مقامه قد طال ، وعَلِمَ أنّ المسلمين لن يعبروا النهر إليه إضافةً إلى الخسائر التي تكبدوها فآثروا العودة إلى ديارهم.

أما يزدجرد فلما علم بانسحاب حليفهِ خاقان الترك أصابَه اليأسُ من مقارعة المسلمين، ورأى أنه لا طاقة له بهم فأراد أن ينسحب من فارس كلّها ويتبع حليفَهُ حاملاً معه خزائِنَهُ التي تحوي جواهِرَ كِسرى وما جمعه من خزائن فارسٍ أثناء فراره، فتصدى له أهلُ فارس وقالوا له :

" إنّ هذا رأيُ سوءٍ منكَ، إنك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتدع مملكتك وأرضك وقومك، ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء وأهلُ دِيْنٍ وهم يلون بلادنا ، وإنّ عدواً يلينا في بلادنا أحبُّ إلينا مُلكه من عدوٍ يلينا في بلاده ولا دِيْنَ لهم ولا ندري ما وفاءَهُم "

فأبى عليهم وأبّوا عليه وقالوا له : دَعْ خزائننا نَرُدُّها إلى بلادنا ومن يَليها ولا تخرجها من بلادنا إلى غيرِنا، لكنه أصرّ على رأيه فثاروا عليه وقاتلوه واستولوا على

خزائنه، وكتبوا إلى الأحنف بذلك فأسرع نحوهم فأقبلوا إليه وصالحوه وسلّموه الخزائن والأموال ورجعوا إلى بلدانهم.

أما يزدجرد فقد فرّ حتى بلغ فرغانة عاصمة الترك بسمرقند فقال المسلمون للأحنف : ما ترى في اتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودَعُوهُم.

وكتب الأحنف إلى عمر بالفتح وبعث إليه بالأخماس فجمع عمر الناس وخطبهم فقال :

ألا إنّ الله قد أهلكَ ملكَ المجوسية وفرّقَ شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شيئاً يضُر بمسلم . ألا وإن الله قد أورثكم أرضَهُم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون. والله بالغٌ أمرَه ومنجزٌ وعدَه ، ومتبعٌ آخر ذلك أولّه فقوموا في أمرهِ على رجل يوف لكم بعهده ويؤتِكُم وعدَه ، ولا تتبدلوا ولا تغيروا فيستبدلُ الله بكم غيرَكم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قِبَلِكُم".

وبفرار يزدجرد وفتحِ خراسان تمّ القضاءُ على دولةِ الأكاسرةِ من بني ساسان وأصبحتْ الراياتُ الإسلاميةُ ترفرفُ خفّاقةً فوقَها .

فتح فسا ، دارا بجرد

وقتها : السنة الثالثة والعشرون للهجرة .

موقعها : فسا : مدينة بفارسٍ بينها وبين شيراز أربعُ مراحلٍ دارا بجرد.

قادتها : سارية بن زنيم الكناني الدؤلي .

أحداثها

اتجه سارية بن زنيم إلى فسا ودارا بجرد حتى انتهى إليهما حاصرهما وأطال الحصار فطلب الفرس المدد فاجتمع إليهم أكراد فارسٍ من الشمال واجتمعوا على المسلمين من كلِّ مكانٍ حتى أصبحت قواتهم في خطر .

وتَذكُرُ الرواياتُ أنّ عمر بن الخطاب رأى في منامهِ موقِفَ جيشِ سارية فلما أصبح أمر مُناديهِ فنادى: الصلاة جامعة، ثم قامَ في الناس فقال : أيها الناس إني رأيت هذين الجمعين (وأخبر المسلمين بما رأى من حالهما)، ثم صاح وهو يخطب: يا سارية، الجبل ، الجبل ، ثم قال : إنّ لله جنوداً ولعلّ بعضها أنْ يبلُغَهُم .

وذُكِرَ أنّ سارية سمع نداء عمر فالتجأ بجيشه إلى جبلٍ قريبٍ جعله وراء قواته، وقاتلوا الفرس قتالاً شديداً استقتلَ فيه المسلمون حتى نصرهُم الله وهزموا الفرس واستولوا على غنائِم كثيرةٍ منها سفط فيه جواهر استوهبه سارية من المسلمين وبعث به وبالفتح إلى عمر .

وكان من نتيجةِ هذه المعركة استسلامُ ولاية دارا بجرد كلّها للعرب فدخلوا مدنها وقراها فاتحين.

فتح كرمان

وقتها : السنة الثالثة والعشرون للهجرة .

موقعها : كرمان.

قادتها : سهيل بن عدي الأنصاري الخزرجي.

أحداثها

سار سهيل إلى كرمان بناءً على أوامرِ عمر بن الخطاب وقد أصابَ أهلَها الخوفُ والرعبُ من المسلمين لذلك لم يثبتوا لهم فانهزموا، وثم فتح بلادهم وغنموا منهم غنائم كثيرةً من الشاه والإبل.

فتح سجستان

وقتها : السنة الثالثة والعشرون للهجرة.

موقعها: سجستان .

قادتها : عاصم بن عمرو التميمي .

أحداثها

سار عاصم بن عمرو إلى سجستان ولحقَ به عبدا لله بن عمير الأشجعي فالتقوا بجيشِ سجستان خارج المدينة واقتتلوا معهم فهزموهم وألجأوهم إلى حصونهم وحصروهم في عاصمتهم بزرنج ، ثم أخذ المسلمون يبثّ كتائِبِهم تُغِيْرُ حول العاصمة وتغنم وتسبي ، فلما رأى الفرس أنّ الحصار أضرَّ بهم وبمزارعهم طلبوا الصلح على أن تكون مزارع سجستان حِمىً لهم لا يمسها المسلمون فَقَبِل المسلمون ما طلبوا ، فكانوا إذا ساروا حرصوا أنْ لا يصيبوا منها شيئا فينقضوا العهد.

فتح مكران

وقتها : السنة الثالثة والعشرون للهجرة .

موقعها : مكران .

قادتها : الحكم بن عمر التغلبي .

أحداثها

بعث عمر بن الخطاب لواء مكران إلى الحكَم بن عمر التغلبي فلما أكمل استعداده سارَ إلى هدفه ولحقه شهاب بن مخارق بن شهاب فانضم إليه ثم لحقه مدد سهيل بن عدي وعبدا لله بن عبدا لله بن عتبان في قواتهما فلما وصلوا قريباً من نهر مهران كان جيشُ مكران على شاطئ النهر بقيادة راسل مَلِكُ السِنْدِ فتزاحفوا ودارتْ معركةٌ بين الطرفين لم يصمد فيها الفرس طويلاً فانهزموا ودخل المسلمون معسكرهم

واستباحوا ما فيه وقتلوا عدداً كبيراً منهم ثم طاردوهم مطاردةً عنيفةً استمرت أياماً حتى دخل المسلمون مكران ثم فتحوا ما حولها .

وكتب الحكم إلى عمر بالفتح وبعث بالأخماس مع صحارى العبدي فلما قدم على عمر سأله عن أرض مكران فقال : يا أمير المؤمنين ، أرضٌ سهْلُها جبل ، وماؤها وشَل (قليلٌ) وتمرها دقلٌ (أردأ التمر) ولصُّها بطلٌ وخيرها قليلٌ وشرُّها طويلٌ، والكثيرُ بها قليلٌ ، والقليل بها ضائعٌ ، وما وراءها شرٌّ منها . فقال عمر : أسَجّاعٌ أم مُخْبِرٌ ، قال : لا بَلْ مُخْبِرٌ ، قال عمر : لا والله لا يغزوها جيشٌ لي ما أُطِعْتُ . وكتب إلى الحكم بن عمر وإلى سهيل بن عدي : " لا يجوزن مكران أحدٌ من جنودكما، واقتصروا على ما دون النهر ".

هذا وقد أصبحت مكران فيما بعد قاعدة المسلمين الأمامية في انطلاقهم لفتح الهند.

الباب الثاني

عهد الخليفة عثمان بن عفان

رضي الله عنه

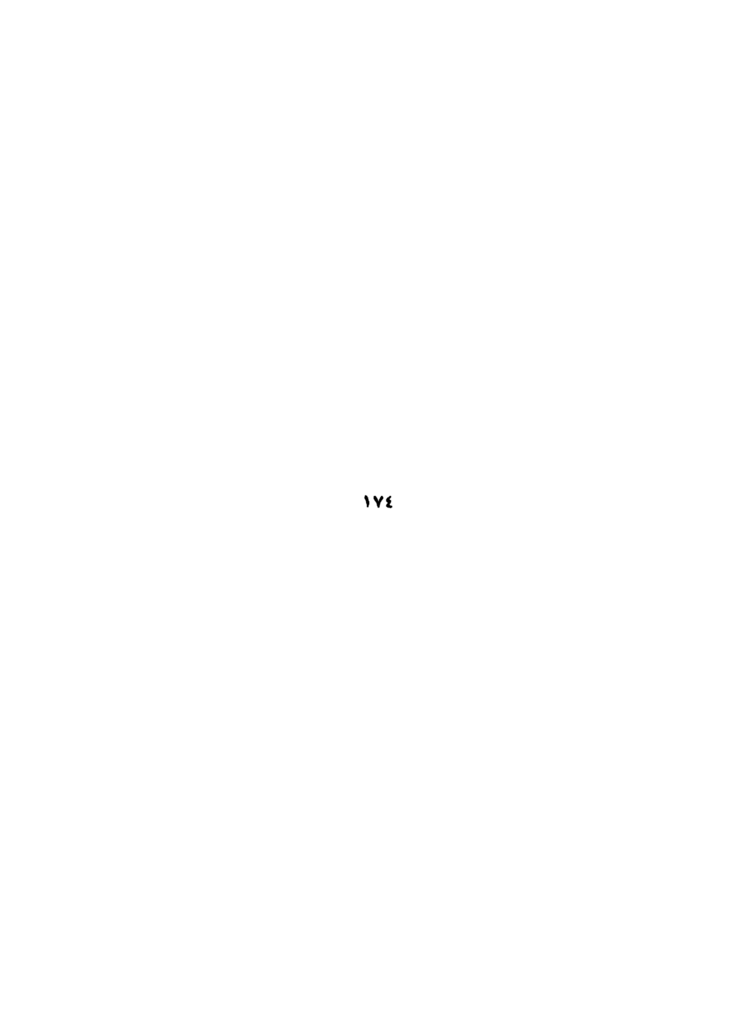
الفصل الأول

سيرته

الفصل الثاني

الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان

رضي الله عنه



الباب الثاني

عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي ا الله عنه

الفصل الأول

سيرته

نسبه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي.

وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

مولده ونشأته

ولد عثمان رضي ا الله عنه في السنة السادسة، عام الفيل، بعد ولادة النبي ﷺ بستٍ سنين. (1)

وكانت نشأته في نعمةٍ وعيشٍ خفيضٍ ، وكانت ولادته بالطائف أخصبُ بقاعِ الحجاز ، ولم يؤثَر عنه أنه اختبر شظف العيش قطّ في صباه أو طفولته.

كان أبوه تاجراً واسعَ التجارةِ وكان يحمل قوافله إلى الشام كما هو دأبُ الأكثرين من تجار بني أمية ، وفي إحدى هذه الرحلات مات عن ثروةٍ عظيمةٍ وترك ابنه بين الصبا والشباب وبين يديه هذه الثروة العظيمة فكانت ثروته عوناً وخيراً

(1) – جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين – د.محمد الوكيل.

للإسلام والمسلمين أنفق منها على جيشِ العسرة واشترى بئرَ رومة وتصدّق بهـا على المسلمين.

كنيته

يكنّى عثمان بأبي عبدالله وأبي عمرو، وعبدالله هـو ابـن زوجتـه رُقية بنت النبي ﷺ .

ويقال لعثمان رضي الله عنه، ذو النورين، لأنه تـزوج رقيـة وأم كلثـوم ابنـتي رسول الله ﷺ .

وقيل للمهلب بن أبي صفرة: لم قيل لعثمان ذو النورين؟ قال: لأنه لم يُعْلَمْ أنّ أحداً أرسل ستراً على ابنتي نبيٍّ غيره[1] .

أزواجه وأولاده

تزوج عثمان من :

١- أم كلثوم ابنة رسول الله ﷺ - ولم تلد له شيئاً .

٢- رقية ابنة رسول الله ﷺ - فولدت له عبدالله.

٣- فاختة بنت غزوان - فولدت له عبدالله الأصغر.

٤- أم عمرو بنت جندب بن عمرو الدوسية - ولدت لـه : عمـراً، وخـالداً، وأباناً ، وعمر ، ومريم.

٥- فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية- ولدت له: الوليد، وسعيد، أُم سعيد.

٦- أُمّ البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية - ولدت له : عبدالملك.

٧- رملة بنت شيبة بن ربيعة. ولدت له : عائشة ، أم أبان، أم عمرو .

٨- نائلة بنت الفرافصة الكلبية - ولدت له مريم.

---

(١) - العواصم من القواصم - ابن العربي - الحاشية ص٥٤.

وقُتِلَ عثمان وعنده رملة "ابنة شيبة" ونائلة ، وأم البنين وفاختـة بنـت غـزوان غير أنه طلق أم البنين وهو محصور (١) .

صفته

كـان ربْعـةً أبيـض ، وقيـل أسمـر ، رقيـقَ البشـرة ، حسـنَ الوجـه، عظيـمَ الكراديس، بعيدَ ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس، عظيم اللحية، يُصفّرها.

عن الحسن قال: نظـرتُ إلى عثمـان فـإذا رجـلٌ حسـنُ الوجـه، وإذا بوجنتـه نكات(٢) جدري ، وإذا شعره قد كسا ذراعه(٣) .

إسلامه

سمع عثمان بدعوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهو عائدٌ في تجارتـه مـن الشام فلما وصل مكة التقى بأبي بكر فدعاهُ إلى الإسلام فأَسْلَم.. وذُكِر أنّ أبـا بكـر قال له : ويحك يا عثمان وا لله إنّك لرجل حازم ما يخفـى عليـك الحقّ مـن البـاطل . هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صمّاء لا تسمع ولا تُبصـر، ولا تضُرّ ولا تنفع ؟ فقال :بلى وا لله إنها كذلك.

فقال أبو بكر : هذا محمد بن عبدا لله قـد بعثـه ا لله برسـالته إلى جميـع خَلْقِـهِ، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال : نعم (٤) .

ثم صحـــب عثمانُ أبا بكـر إلى رسول ا لله ﷺ فأسْلَـم وشَهد أنْ لا إلـه إلا ا لله وأنّ محمدا عبدُه ورسوله. وكان إسلامُ عثمان مع الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد ا لله فهو من السابقين الأولين المبشَّرين بالجنة.

---

(١) – ابن الأثير ج٣ ص١٨٥.

(٢) – نكات وهي الأثر القليل.

(٣) – صفة الصفوة ابن الجوزي ١/٢٩٥.

(٤) – عثمان بن عفان محمد رضا ١٣.

إيذاؤه

عن محمد بن إبراهيم التيمي قال : لما أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذه عمُّه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً وقال :

أترغبُ عن مِلّةِ آبائك إلى دِيْنٍ مُحدث ؟ والله لا أحلُّكَ أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين.

فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه[1] : وذُكر أنّ أُمّهُ أعرضت عنه إعراضاً شديداً فلما لم يُغن عنها ذلك شيئاً ثابَتْ إليه. وقد روى محمد بن الحسين المخزومي في كتاب المدينة أنها ماتت في خلافة ابنها عثمان وأنه كان ممن حملها إلى قبرها. أمّا أبوه فهلك في الجاهلية [2] .

هجرته إلى الحبشة

أخرج البيهقي عن قتادة رضي الله عنه قال : أولّ مَنْ هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه . سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة - يعني أنسا رضي الله عنه- يقول :

خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية- رضي الله عنهما - بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهُما فقدمت إمرأةٌ من قريش فقالت : يا محمد ! قد رأيت ختنك ومعه امرأته.

قال : على أي حالٍ رأيتهما ؟

قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمارٍ من هذه الدبابة[3] وهو يسوقها. فقال رسول الله ﷺ : صحبهما الله ! إنّ عثمان أول من هاجر بعد لوطٍ عليه السلام[4] .

---

(1) - حياة الصحابة - محمد الكاندهلوي ٢٦٦/١.

(2) - فتح الباري لابن حجر ٥٥/٧.

(3) - الدبابة التي تدب في المشي ولا تسرع.

ثم هاجر عثمان رضي الله عنه الهجرة الثانية إلى المدينة.

صحبته مع رسول الله ﷺ

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه من السابقين الأولين في دخـول الإسـلام وكان أول المهاجرين إلى الحبشة مع أهله، زوجـه رسول الله ﷺ ابنته رقية وهي التي هاجر بها إلى الحبشة ثم إلى المدينة فلما تجهز المسلمون للخروج يوم بـدر مرضت فخلفه رسول الله ﷺ لرعايتها بمرضها لكنها ماتت يـوم جاء زيد بن حارثة يبشر المسلمين بالفتح والانتصار على قريشٍ فضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه في بـدر فكان كمن شهدها(٤)

ثم زوجهُ رسول الله ﷺ ابنته أم كلثوم فماتت عنده ولذا سميَ عثمان رضي الله عنه ذا النورين.

واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة ذات الرقاع وغزوة غطفان.

وكان يكتب رضيَ الله عنه ما ينزل على رسول الله ﷺ وجبريل يوحي إليـه والرسول يقول له : اكتب يا عثيم.

وفي غزوةِ أُحُد شهدَ عثمـان رضي الله عنه أُحُداً مع رسول الله ﷺ إلا أنّه لم يثبت مع القلة التي ثبتت معه وإنما فر مع من فر مـن المسلمين فـأنزل الله عفـوهُ عنهم بقوله تعالى :

﴿إن الَّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُم يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَان إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُم الشَّيْطَان بِبَعْضِ مَا كَسبُوا وَلَقَد عَفَا اللهُ عَنْهُم إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيم﴾.

ولما كانَ يوم الحديبية اختاره رسول الله ﷺ لينقل رسـالته إلى قريـش ومفادها: إنّ رسول الله ﷺ لم يأت لقتال أحد وإنما جاءَ زائراً للبيـتِ معظمـاً لحرمته ومعه الهدي ينحره وينصرف.

---

(٤) – حياة الصحابة ١/٣٣٠.

وذهب عثمان فتلقاه أبان سعيد بن العـاص وأجـارَه في - بلـدح - وهـو وادٍ قبل مكة جهة الغرب وحمله معه إلى مكة فبلّغ الرسالة ولكـن قريشـاً رفضـت دخـول رسول الله ﷺ وقالوا : لا يدخل محمدٌ علينا أبداً.

وتأخر عثمان بمكــة فبلغ رسول الله ﷺ أنّ عثمان قد قُتِل بمكـة وقُتِـلَ معـه عشرةُ رجـــالٍ مسـلمين، فاستعد رسـول الله ﷺ للقتـال وبايعـه المسـلمون تحـت الشجرة على أن لا يفروا، وبايع رسول الله ﷺ بإحدى يديه عـن عثمـان، فلمـا عـاد إلى رسول الله ﷺ بايعه تحت الشجرة.

لما عاد عثمان أشار أهلُ الرأي بالصُلْح مع قريش فكان صُلْحُ الحديبيـة وكـان عثمان أولُ سَفيرٍ في الإسلام.

ثقافته

كان عثمـــان رضـي الله عنـه علـى علـمٍ بمعـارف العـرب في الجاهليـة ومنهـا الأنسابُ والأمثالُ، وأخبارُ الأيام. وساحَ في الأرض فرحل إلى الشام والحبشة وعاشـر أقواماً غير العرب فعرفَ من أطوارهم ماليس يعرفُهُ مَنْ ظلَّ مِنَ العرب في بلاده.

وأُتيح له في رحلاته تجديدُ الخبرة والعمل ومعارف البادية عن الأنواء والريـاح ومطالع النجوم ومقارناتها في منازل السماء، وهي معارفُ القوافل والأدِلاّءِ مـن أبنـاء الصحراء العربية.

وأسْلَمَ فكان من أفقهِ المسلمين في أحكام الديـن وأحفظهـم للقـرآن والسـنة، روى عن النبي ﷺ قرابةَ مائةٍ وخمسين حديثاً وقال محمد بن سـيرين وهـو يتكلـم عـن الصحابة : كان أعلمُهم بالمناسك، عثمان وبعده ابن عمر .

وكان أقربُ الصحابة إلى مجرى الحوادث بين المسلمين والمشركين فكـان مـن سُفراء الإسلام في غـير موقـفٍ مـن مواقـف الخـلاف أو الوفـاق، تـارةً بـين المسـلمين وأعدائهم وتارةً بينهم وبين الأسرى منهم في أرض الأعداء.

كان كاتباً يجيد الكتابة فاعتمد عليه النبي ﷺ في تدوين الوحي واعتمد عليه الصديق في كتابة الوثائق الهامة ، ومنها الوثيقة التي عهد فيها بالأمر بعده لخليفته الفاروق.

زودته معرفته بالأخبار والأنساب وسياحته في البلاد بزادٍ حسنٍ من مادة الحديث مع ذوي الكمال من الرجال ، قال عبدالرحمن بن حاطب : ما رأيتُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا حدّث أتمّ حديثًا ولا أحسن من عثمان بن عفان، إلا أنه كان رجلاً يهاب الحديث(١) .

فضائل عثمان رضي الله عنه

عن عائشة أم المؤمنين قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذَيهِ أو ساقَيهِ فاستأذن أبو بكر فأَذِنَ له وهو على تلك الحال فتحدَّثَ. ثم استأذن عمر فأذِنَ له وهو كذلك فتحدّثَ. ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابهُ- قال محمد : ولا أقولُ ذلك في يومٍ واحدٍ - فدخل فتحدّثَ فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تبالِهِ ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله ، ثم دخل عثمان ، فجلست وسوّيتَ ثيابك. فقال: ألا أستحي مِنْ رجل تستحي منه الملائكة (٢) .

وعن أبي موسى الأشعري قال: بينما رسول الله ﷺ في حائط من حائط المدينة وهو متكئ يَرْكز بعودٍ معه بين الماء والطين إذا استفتح رجل فقال النبي ﷺ : افتح وبشِّرْهُ بالجنة. قال: فإذا أبو بكر ففتحت له وبشَّرتُه بالجنة.

قال ثم استفتح رجلٌ آخر فقال : افتح وبشِّرْهُ بالجنة ، قال: فذهبتُ فإذا هو عمر ، ففتحت له وبشّرتُهُ بالجنة.

---

(١) - موسوعة العقاد الإسلامية بمجموعة العبقريات ٥٨٩.

(٢) - صحيح مسلم باب فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٦٨/٨.

ثم استفتح رجلٌ آخر قال : فجلس النبي ﷺ فقال: افتح وبشِّرْهُ بالجنة على بلوىً تكونُ. قال : فذهبتُ فإذا هو عثمان بن عفان. قال: ففتحتُ وبشرتُهُ بالجنة قال: وقلت الذي قال ، فقال : اللهم صبراً وا لله المستعان[1] .

وعن أنس رضي ا لله عنه قال:" صعد النبي ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف فقال :" اسْكُنْ - أُحُدْ - أظنُّه ضَرَبَه برجلِهِ - فليس عليك إلاّ نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان[2] ".

وعن عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما قال : "كُنّا في زمن النبي ﷺ لا نعدلُ بأبي بكرٍ أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترُكُ أصحاب النبي ﷺ لا تفاصيل بينهم"[3].

وعن عثمان وهو ابن موهب قال : " جاء رجل من أهل مصر وحجَّ البيتَ، فرأى قوماً جلوساً فقال : مَنْ هؤلاء القوم ؟ فقالوا : هؤلاء قريش؟ قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبدا لله بن عمر .

قال : يا ابن عمر إني سائِلُكَ عن شيءٍ فحدثني عنه : هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أُحُدٍ؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدرٍ ولم يَشْهَدْ؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعةِ الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم . قال: ا لله أكبر. قال ابن عمر : تعال أُبيّنُ لك:

أما فِرارهُ يوم أُحُدٍ فأشهدُ أن ا لله عفا عنه وغفر له ، وأمّا تَغَيبهُ عن بدرٍ فإنه كانت تحتهُ بنتُ رسول ا لله ﷺ وكانت مريضةً، فقال رسول ا لله ﷺ : إنّ لكَ أَجْرُ رجل ممن شهدَ بدراً وسَهْمُهُ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أَحَدٌ أعزَّ ببطن مكةَ من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول ا لله ﷺ عثمان.

---

(1) - المرجع السابق ٨/١٧٠.

(2) - صحيح البخاري باب مناقب عثمان بن عفان (فتح الباري ٥٣/٧).

(3) - المرجع السابق ٥٤/٧.

وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان . فضرب بها على يدهِ فقال : هذه لِعُثمان. فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك(١) .

تحذيرُه من شرب الخمر(٢)

مِنْ شَأنِ الخمر دائماً إذهابُ العقلِ وإذا غابَ العقلُ ظَهرت السفاهات، ولذلك كان عثمان بن عفان كثيراً ما يُرَدِّدُ ويقول : " اجتنبوا الخمرَ فإنّها أُمُّ الخبائث" و " اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كلّ شَرّ ".

روى النسائي في سُننه والبيهقي في سننه عن عثمان بن عفان أنه قال: "اجتنبوا الخمر فإنها أُمّ الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد، فعلقته امرأة أغوته، فأرسلت إليه جاريتها ، فقالت له : إنها تدعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطَفِقَ كلما دخل باباً أغلقته دونَه، حتى أفضى إلى امرأةٍ وضيئة، عندها غلامٌ وباطِيَةُ خمرٍ فقالت : وا لله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليّ، أو تشرب من هذه الخمر كأساً ، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذه الخمر كأساً، فسقتهُ كأساً، فقال: زيدوني ، فلم يَرم حتى وقع عليها ، وقتل الغلام، فاجتنبوا الخمر، فإنها وا لله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ويوشك أن يُخرجَ أحدهما صاحبه"، ولذلك كان عثمان لا يشرب الخمر أبداً عن قناعةٍ وإيمانٍ بضررها، وامتثالاً لأمرِ ا لله تعالى بتركها، وهذا ما دفعه إلى تَرْكِ شربها في الجاهلية قبل الإسلام ، قالت السيدة عائشة رضي ا لله عنها: لقد ترك أبو بكر وعمر وعثمان الخمر في الجاهلية، أفهو يشربُ الخمرَ في الإسلام.

---

(١) – صحيح البخاري باب مناقب عثمان (فتح الباري ٥٤/٧) قال ابن عمر للرجل اذهب بهذه الأجوبة معك الآن لعله يزول عنك ما تسمعه في عثمان فإنه ذو منزلة سامية.

(٢) – فقه عثمان بن عفان / محمد رواس قلعه جي ٦٢/٦١ بتصرف.

إنفاقُه المالَ في سبيل الله

تجهيزُه جيش العسرة

عن عبدالرحمن بن حباب السلمي رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فحثَّ على جيش العسرة، فقال عثمان رضي الله عنه: عليَّ مائة بعيرٍ بأحلاسِها[1] وأقتابها[2]. قال : ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حثَّ ، فقال عثمان رضي الله عنه : عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيتُ رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا - يحركها- وأخرج عبدالصمد يده كالمتعجب: ما على عثمان ما عمل بعد هذا .

وأخرج البيهقي وقال: ثلاث مرات وأنه التزم بثلاث مائةِ بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابها .

قال عبدالرحمن : فأنا شهدت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ما ضر عثمان بعدها أو قال : بعد اليوم[3] .

شراء بئر رومة

ولما قدم المهاجرون المدينةَ استنكروا الماءَ ، وكانت لرجل من بني غفار عينٌ يقال لها "رومـــة" وكان يبيع منها القربة بمدّ فقال له رسول الله ﷺ : بعينها بعينٍ في الجنة فقال : يا رسول الله ، ليس لي ولا لعيالي غيرها ولا أستطيع. فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسةٍ وثلاثين ألف درهم.

ثم أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أتجعلُ لي مثل الذي جعلتَ له عيناً في الجنة إن اشتريتُها ؟ قال : نعم . قال : قد اشتريتُها وجعلتُها للمسلمين[4] .

---

(١) - جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل.

(٢) - جمع قتب أي الرحل.

(٣) - حياة الصحابة - محمد الكاندهلوي ١٥٢/٢.

(٤) - المرجع السابق

توزيعه رواحل البر والطعام على الفقراء

عن ابن عباس قال : قحط الناس في زمن أبي بكرٍ فقال أبـو بكـر: لا تمسَـونَ حتى يفرّج ا لله عنكم، فلما كان من الغدِ جاء البشيرُ إليه، فقال: لقـد قَدِمَـتْ لعثمـان ألفُ راحلةٍ بُراً وطعاماً ، فغدا التجار على عثمـان فقرعـوا عليـه البـاب فخـرج إليهـم وعليه ملاءة قد خالفَ بين طرفيها على عاتقه فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا : بلغنـا أنـه قَدِمَ لك ألف راحلةٍ بُراً وطعاماً ، بِعْنا حتى نُوَسِّع على فقراء المدينة.

فقال لهم عمثان: ادخلوا ! فدخلوا فإذا ألف وِقْر قد صعب في الدار .

فقال لهم : كم تُربحوني على شرائي من الشام؟ قالوا : العشرة اثـني عشـر. قـال : قـد زاودني .قالوا: العشرة أربعة عشر. قال: قـد زاودنـي. قـالوا : العشـرة خمسـة عشـر. قال: قد زاودني . قالوا: من زادَكَ ونحن تجار المدينة؟ قال: زاودني بكل درهم عشرة، هل عندكم زيادة؟ قالوا: لا. قال: فأشهدكم معشـر التجـار أنهـا صدقـة علـى فقـراء المدينة.

ويشير عثمان رضي ا لله عنه إلى إجزاء الحسَنَةِ بعشرة أمثالها عند ا لله.

عبادته وزهده

عن الزبير بن عبدا لله عن جدَّةٍ له يقالُ لها رهيمة قالت : كان عثمـان يصـوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعةً من أوَّلِهِ.

وعن ابن سيرين ، قال : قالت امرأةُ عثمان حـين قُتـل عثمـان: قتلتمـوه وإنـه ليحيى الليل كُلّه بالقرآن.

وعنه قال: قـالت امـرأة بـن عفـان حـين أطـافوا يريـدون قتلـه: إنْ تقتلـوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعةٍ يجمع فيها القرآن.

وعن يونس أنّ الحسنَ سُئِل عن القائلين (١) في المسجد فقال: رأيتُ عثمان بن عفان يقيلُ في المسجد وهو يومئذٍ خليفةٌ ويقوم وأثَرُ الحصى بجنبه.

قال : فنقول هذا أمير المؤمنين.. هذا أمير المؤمنين . وعنه قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحتَ رأسِهِ فيجيء الرجل فيجلس إليه، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه، كأنه أحدهم.

وعن شرحبيل بن مسلم أنّ عثمان كان يُطعم الناس طعامَ الإمارة، ويدخلُ بيته فيأكل الخلّ والزيت .(٢)

أولوياته(٣)

قال العسكري في الأوائل :

- إنّ عثمان هو: أول مَنْ أقطع القطائع وأول من حمى الحمى .
- وأول من خفّضَ صوته بالتكبير.
- وأول من خلّق المساجد – الخلوق نوع من الطِيب– .
- وأول من أمرَ بالأذان الأول في الجمعة.
- وأول من رزقَ المؤذنين، أي: خصّصَ لهم كفايتهم من بيت المال.
- وأول من أرتج عليه في الخطبة فقال :

أيها الناس ، إنّ أول مركبٍ صعبٌ ، وإنّ بعد اليوم أياماً ، وإنْ أعِشْ تأتكم الخطبةُ على وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله – أخرجه ابن سعد –.

- وأول من فوّضَ إلى الناس إخراج زكاتهم.
- وأول من وُلّيَ الخلافة في حياة أمّه.

---

(١) – القائلين : النائمين نصف النهار من القيلولة، وقد تطلق على الاستراحة في ذلك الوقت وإن لم يكن معها نوم.

(٢) – صفة الصفوة لابن الجوزي ٣٠١/١-٣٠٤.

(٣) – تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٦٤.

- وأول من اتخذ صاحب شرطة.

- وأول من اتخذ المقصورة في المسجد خوفاً أنْ يُصيبه ما أصابَ عمر (رواية العسكري).

- وأول ما وقع الاختلاف بين الأمة فخطّأ بعضهم بعضاً في زمانه في أشياء نقموها، وكانوا قبل ذلك يختلفون في الفقه ولا يخطّئُ بعضُهم بعضاً .

- وأول من هاجر إلى الله بأهْلِهِ من هذه الأمة.

- وأول من جمع الناس على حرفٍ واحدٍ في القراءة.

انتخابه

ألَحَّ الناسُ على الخليفة عمر رضي الله عنه أن يستخلِفَ خشيةَ أن يُفاجئَهُ الأجلُ ولكنه كان قد عزم على ألا يستخلف، وقال للناس: إن مِتُّ فأمرُكُم إلى هؤلاء الستة الذين فارقوا رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ : علي بن أبي طالب، ونظيره الزبير بن العوام ، وعبدالرحمن بن عوف ، ونظيره عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله ونظيره سعد بن مالك. ألا وإنّي أوصيكم بتقوى الله في الحكمِ والعدلِ في القسم[1] .

ودعا الخليفةُ هؤلاء النفر فحضروا فالتفت إلى علي وعثمان ولم يكلّم غيرهما فقال : يا علي لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتكَ من النبي ﷺ وصهرُكَ، وما آتاك الله من الفقهِ والعلمِ فإن ولّيتَ فاتقِ الله فيه.

ثم قال لعثمان: يا عثمان لعلَّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسِنّكَ وشرفك فإن وُلّيت هذا الأمر فاتقِ الله ولا تحملنَّ بني أبي معيط على رقاب الناس.

---

(1) - جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين / محمد السيد الوكيل ٣٠٨ عن ابن الأثير س ٣/٥٠.

ثم قال : ادعوا لي صهيباً ، فدُعيَ، فقال : صَلِّ بالناس ثلاثاً وليخل هؤلاء القوم في بيتٍ فإذا اجتمعوا على رَجُلٍ فمن خالفهم فاضربوا رأسَه(1) .

فلما مات عمر رحمه الله تقدم صهيب فصلّى عليه ثم خرج الناس يُشيعونه إلى مثواه الأخير ودُفن في بيتِ أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

اجتماع أهل الشورى

جمع المقداد بن أسود أهلَ الشورى في بيتِ المسور بن مخرمة أو في بيت المال أو في بيت عائشة أم المؤمنين بإذنها، وكانوا خمسةً لأنّ طلحة بن عبيدالله كان غائباً في مالٍ له بالسراة وكان معهم عبدالله بن عمر حسب وصية عمر بن الخطاب بإشراكهِ معهم.

أخذ أهل الشورى يناقشون الأمرَ من وجوهه المختلفة فظنّ أبو طلحة أن الأمر سيطول فقال : لا والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمرتم.

وقال عبدالرحمن بن عوف لأهل الشورى : أيُّكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم ؟ فلم يجبه أحد . فقال: فأنا أخلعُ نفسي منها ، فقال عثمان: أنا أولُ من رَضِيَ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول" أمينٌ في الأرض أمينٌ في السماء" فقال القوم : قد رضينا – وعليٌّ ساكتٌ. فقال عبدالرحمن: ما تقول يا أبا الحسن؟

قال علي : أعطني موثقاً لتُؤْثِرَنَّ الحقَّ ، ولا تتبع الهوى ولا تَخُصُّ ذا رحمٍ ولا تألو الأمةَ نصحا.

قال عبدالرحمن : أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على مَنْ بدّل وغير وأن ترضوا من اخترتُ لكم وعلى ميثاق الله ألا أخصَّ ذا رحمٍ لرحِمِهِ ولا آلو المسلمين ، فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله(2) .

---

(1) – المصدر السابق عن ابن سعد ٣٤٢.

(2) – جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين / د.محمد السيد الوكيل ٣١٢ عن الطبري ٢٣١/٤.

وأخذ عبدالرحمن يخلو بأهل الشورى واحداً واحداً ويشاورهم في الأمر وبدأ بعليّ فقال له: تقول إنّك أحقُّ من حضر بهذا الأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين و لم تبعد، ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر ، من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحقّ به ؟ قال: عثمان.

وخلا بعثمان فقال له : تقول شيخٌ من بني عبدمناف ، وصِهرُ رسول ا لله ﷺ وابنُ عمّه ولي سابقة وفضل فأين يصرف هذا الأمر عني ، ولكن لو لم تحضر، أي هؤلاء الرهط تراه أحق به ؟ قال : عليّ [1] .

وسأل الزبير وسعداً فقال كل منهما: عثمان.

وأخذ عبدالرحمن يطوف بالناس ويلقى أصحابُ الرسول ﷺ ويذهبُ إلى من وافى المدينة من سادة الناس وأشرافهم وأمراء الجنود والقوّاد ويشاورهم فيمن يختارون ويخبرهم بأن الأمر قد انحصر في ثلاثة نفرٍ وذلك لأن الزبير قد تنازل لعليّ، وسعد بن أبي وقاص قد ترك حقّهُ فيها لعبدالرحمن بن عوف والثالث هو عبدالرحمن ابن عوف، لكن عبدالرحمن قد انخلع منها فلم يبق سوى عثمان وعلي، ولهذا كان يسأل فصار لا يخلو برجل إلا أمرهُ بعثمان.

ولعلّ المسلمين كانوا يفضلون عثمان رضي ا لله عنه ويحبون إمرتَهُ عليهم لأنهم كانوا يخشون أن يكون اختيار علي امتداداً لحكم عمر وقد لقوا من الشدة وخشونة العيش في عهد عمر . كما أن عثمان رجلٌ ليِّنُ الجانبِ، خفيضُ العيشِ مشهور بالرقةِ والعطف [2] .

فلما كانت الليلة التي يسفر صباحها عن اليوم الرابع مِنْ موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن أخته المسور بن مخرمة فقال : أنائم يا مسور؟ وا لله لم

---

(١) – المرجع السابق ٣١٣ عن ابن الأثير ٦٨/٣ ، ٦٩.

(٢) – المرجع السابق ٣١٣ عن ابن سعد ٦٠/٣.

اغتمض بكثيرِ نومٍ منذ ثلاث، اذهب فادع إلي علياً وعثمان. قال المسور : فقلت: بأيهما أبدأ ؟ فقال بأيهما شِئتَ ، قال: فذهبت إلى علي فقلت أجب خالي. فقال: أمرك أن تدعو معي أحداً ؟ قلت: نعم ، قال: مَنْ ؟ قلتُ: عثمان بن عفان. قال: بأيّنا بدأ؟ قلت: لم يأمرني بذلك، بل قال ادعو لي أيهما شئت أولاً، فجئت إليك. قال: فخرج معي.

فلما مررنا بدار عثمان بن عفان جلس عليّ حتى دخلتُ فوجدته يوترُ مع الفجر، فقال لي كما قال لي عليّ سواء، ثم خرج فدخلت بهما على خاليْ وهو قائم يصلي، فلما انصرف أقبل على علي وعثمان فقال : إني قد سألتُ الناسَ عنكما فلم أجدَ أحَداً يعدلُ بكما أحداً ، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضا لئن ولاه ليعدلنَّ، ولئن وليَّ عليه ليسمعنَّ وليطيعنَّ.

ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبدالرحمن العمامة التي عمَّمَهُ رسول الله ﷺ وتقلّد سيفاً وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونُودِيَ في الناس عامةً: الصلاةُ جامعةٌ فامتلأ المسجدُ حتى غصَّ بالناس وتراص الناس ،وتراصوا حتى لم يبقَ لعثمان موضعٌ يجلس فيه - وكان رجلاً حيياً رضي الله عنه - ثم صعد عبدالرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ فوقف وأطال ودعا دعاءً لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : ايها الناس إني سألتكم سراً وجهراً بأمانيكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين، إما عليّ، وإما عثمان فقُم إلي يا عليّ، فقام إليه، فوقف تحت المنبر فأخذ عبدالرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعْلِ أبي بكرٍ وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن على جَهدي من ذلك وطاقتي. قال: فأرسلَ يدَهُ.

وقال : قُمْ يا عثمان فأخذ بيده فقال : هل أنت مُبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعلِ أبي بكر وعمر ؟ قال: اللهم نعم، قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يدِ عثمان فقال: اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد،

اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان ، وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر وبايعه علي بن أبي طالب أولاً ويقال آخراً[1]. وتمت له البيعة لثلاثٍ خلونَ من المحرم سنة أربع وعشرين، وأول صلاة صلاها بالمسلمين، العصر.

أول خطبة لعثمان

لما بويع عثمان خرج إلى الناس وأراد أنْ يخطبهم فأُرتج عليه، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

"أيها الناس ! إنّ أولَ مركبٍ صعبٌ ، وإنّ بعد اليوم أياماً وإن أعِشْ تأتكم الخطبة على وجهها وما كنا خطباء وسيعلّمنا الله".

وذكر الطبري أن عثمان خطب الناس فقال:

إنكم في دار قلعةٍ وفي بقيةِ أعمارٍ فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صُبّحتم أو مُسّيتم . ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . اعتبروا بمن مضى ثم جِدّوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمّروها ومتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرةَ فإنّ الله قد ضرب لها مثلاً والذي هو خيرٌ فقال ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً* المَالُ وَالبَنُون زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[2].

---

(1) – البداية والنهاية لابن كثير ٧/١٤٦-١٤٧.

(2) – الكهف : ٤٥، ٤٦.

أول قضية عُرِضَتْ عليه

ذكرنا في مقتل عمر أن حديثاً سرى بين المسلمين بأنّ مؤامرةً دبّرت لقتله اشترك فيها الهرمزان وأبو لؤلؤة وجفينة وكعب الأحبار، وأنّ عبدالرحمن بن أبي بكرٍ رأى الثلاثة، الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتباحثون فلما رأوه قاموا فسقط منهم خنجرٌ تنطبق أوصافُه على الخنجر الذي طُعِنَ به عمر . فحدّث بذلك، ولما سمع عبيدا لله بن عمر بقول عبدالرحمن أقبل شاهراً سيفه حتى أتى الهرمزان فقتله، ولما أحسّ عضّ السيف قال : لا إله إلا ا لله. ثم أتى جفينة فقتله فلما أحسَّ الموت صلّبَ بين عينيه. ثم أتى منزل أبي لؤلؤة فقتل ابنته، وبلغ الخبر صهيباً وكان على صلاة الناس فأرسل إليه مَن يَكُفّه من المسلمين ، فانتهى إليه سعد بن أبي وقاص فساوره وما زال به حتى أخذ منه السيف ، ثم حبس حتى يقضي الخليفة في أمره.

ولما بويع عثمان أحضره وقال : أشيروا عليّ في هذاالرجل الذي فتَقَ في الإسلام ما فتق؟ فقال عليّ : أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين : قُتِل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ! فقال عمرو بن العاص : إن ا لله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان. فقال عثمان : أنا وليُّه وقد جعلتها ديةً وأحتَمِلُها في مالي[1].

ثم أدّى دية القتلى من مالِهِ الخاص إلى بيت مال المسلمين.

واجباته تجاه الرعية [2]

أ- تفقده أحوال الناس

كان عثمان رضي ا لله عنه يتفقد أحوال الناس ليعرف حقيقة أمرهم ويعالج قضاياهم بما يؤمّنُ مصالحهم، فعن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان بن عفان

---

(١) - جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ٣١٨ عن الطبري ٤/٢٣٩.

(٢) - بتصرف من فقه عثمان بن عفان - محمد قلعه جي ٧٥.

جالسا على المنبر يوم الجمعة والمؤذنون يؤذنون وهو يسألُ الناسَ عن أسعارهم وأخبارهم.

ب- الحفاظ على دمائهم

لقد تجنّبَ عثمان رضي الله عنه إراقةَ دماء المدافعين عنه عندما حوصر في دارِهِ وكان معه في الدار قرابة سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار، وكانوا قادرين على حمايته والدفاع عنه، ولكنه أبى أن يُريق دماءَ المسلمين ليبقى هو حياً فقال لهم: أُقْسِمُ على من لي عليه حق أن يكُفَّ يده وأن ينطلق إلى منزله، وقال لرقيقه: "مَنْ أغمد سيفه فهو حُرٌّ" وكان من بين هؤلاء المدافعين عنه أبو هريرة.

قال أبو هريرة : كنت محصوراً مع عثمان بن عفان في الدار ، فرُمِي رجل منا فقُتِلَ ، فقلت لعثمان: يا أمير المؤمنين ، أما طاب الضرابُ ؟ قتلوا رجلاً منا فقال عثمان: عزمت عليك يا أبا هريرة إلاّ طرحت سيفك ، فإنما تراد نفسي وسأَقِي المؤمنين اليوم بنفسي ، قال أبو هريرة : فرميت سيفي فما ادري أين هو حتى الساعة.

جـ- الحفاظ على أموال الدولة

كان عثمان رضي الله عنه يرى أنّ على الإمام إن كان غنيا أن لا يأخذ شيئاً من بيتِ مالِ المسلمين، وكان رضي الله عنه ينفق على نفسه وعِياله من مالِه ولا يأخذ شيئاً من بيت مال المسلمين.

د- المساواة مع الرعية

وعليه ألاّ يتميز عن الناس في شيء ولا يحتجب عنهم، فقد كان عثمان رضي الله عنه يقيل في المسجد وهو خليفة ويقوم وأثَرُ الحصى بجنبه.

عن الحسن رضي الله عنه قال: رأيتُ عثمان نائماً في المسجد رداؤه تحت رأسه فيجيءُ الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم.

هـ- يُطبِّقُ الأحكام على نفسه أولاً

وعليه أن يطبّق أحكام الشريعة على نفسه كما يُطبقها على الناس ، ليس له عليهم فضل مزيَّةٍ، وقد أعطى عثمان القود من نفسه فلم يستقد منه وهو خليفة.

و- الاعتراف بالخطأ

وعليه أنْ يعترف بخطئه حين يخطئ، ويعمل على تلافيهِ فقد رُوي أنّ عثمان رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة في شيءٍ عاتبوه فيه، فقال لهم: إني لست بميزانٍ لا أعول.

ز- السياسة والحكمة

وعليه أن يتصرف بسياسةٍ وحكمةٍ وقد فعل ذلك رضي الله عنه عندما قُتِل عمر بن الخطاب بيد أبي لؤلؤة فقام عبيد الله بن عمر بن الخطاب على ابنة أبي لؤلؤة فقتلها، وضرب رجلاً نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله، وضرب الهرمزان فقتله وكان قد قيل إنهما مالآ أبا لؤلؤة على قتل عمر، فودّى عثمان أولئك القتلى من ماله لأن أمرهم إليهم.

ولما طعن المعارضون القادمون من مصر على عثمان : إنه حمى الحمى، وحرق المصاحف ، وأتم الصلاة ، وولى الأحداث ، وأعطى بني أمية أكثر من الناس، ناقشهم علي بن أبي طالب وردَّ عليهم فقال لهم : أما الحمى فإنما حماهُ لإبل الصدقة لتسمن ولم يحمه لإبلهِ ولا لغنمهِ، وقد حماه عمر من قبله؛ وأما المصاحف : فإنما حرقَ ما وقع فيه اختلافٌ وأبقى لهم المتفق عليه كما ثبت في العرضة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة : فإنه كان قد تأهَّلَ بها ونوى الإقامة ؛ وأما تولية الأحداث : فإنه لم يولِّ إلا رجلاً سوياً عادلاً وولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة، وولّى أسامة بن زيد بن حارثة وطَعَن النـاسُ في إمارته ؛ وأما إيثاره قومه بني أمية: فقد كان رسول الله ﷺ يؤثِرُ قريشاً على الناس .

ثم قام عثمان وخطب الناسَ بهذا كله بمحضرٍ من الصحابة وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له، ولما رأى أن الأمر ليس بأمرِ حجةٍ ولا برهانٍ ولا منطقٍ ، وإنما هو أمرُ فتنةٍ قد ذرّ قرنُها، ففكر أنّه لو اعتذر للثائرين عليه وتاب مما يدعونه عليه من البدعة وعاهد ليسيرنَّ سيرة الشيخين أبي بكر وعمر لهدأت الفتنة، وعاد الناسُ إلى بلادهم، فقام وخطب الناس خطبةً أخرى اعتذر فيها للناس مما كان منه، وأنّه عدل عن ذلك فقال: اللهمَّ إني استغفرك وأتوب إليك، اللهمَّ إني أولُ تائبٍ مما كان مني، وأرسل عينيه بالبكاء ، فبكى المسلمون أجمعون وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم، وأشهد عثمان الناسَ على نفسه بذلك، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان أبو بكر وعمر، وأنه قد سبل بابه لمن أراد الدخول عليه، ولا يمنع أحداً من ذلك[1].

وبذلك نرى أن عثمان قد استعمل هذا الأسلوب الحكيم – فيما يظن – ولم يأخذ الناسَ بالشدةِ ، محاولة منه لرأبِ الصدعِ وجمعِ الكلمة من جديد.

الأمصار والأمراء في بداية عهد عثمان

كان ولاة الأمصار في أواخر عهد عمر بن الخطاب وأوائل خلافة عثمان كما يلي :

١- مكة : أميرُها نافع بن عبدالحارث الخزاعي .

٢- الطائف : أميرُها سفيان بن عبدا لله الثقفي .

٣- صنعاة : أميرُها يعلى بن منبه .

٤- الجند : أميرُها عبدا لله بن أبي ربيعة.

٥- البحرين وما والاها : أميرُها عثمان بن أبي العاصي الثقفي.

٦- الكوفة : أميرُها المغيرة بن شعبة الثقفي .

٧- البصرة : أميرُها أبو موسى عبدا لله بن قيس الأشعري .

---

(١) - البداية والنهاية ١٧١/٧ ، موسوعة فقه عثمان / محمد قلعة جي ص٧٨،٧٩.

٨- دمشق : أميرُها معاوية بن ابي سفيان.

٩- حمص : أميرُها عمير بن سعد.

١٠- مصر : أميرُها عمرو بن العاص السهمي [١] .

كُتبُ عثمان إلى الأمصار

كَتَبَ عثمان إلى عماله

" أمّا بعد ، فإنّ الله أمَرَ الأئمةَ أن يكونوا رعاةً ، و لم يتقدم إليهم أن يكونوا جباةً ، و لم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإنّ صَدْرَ هذه الأمة خُلِقوا رعاة لم يُخلَقوا جباة ، وليوشكنّ أئمتكم أن يصيروا جباةً ولا يكونوا رعاةً ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياءُ والأمانةُ والوفاءُ. ألا وإنّ أعدلَ السيرةِ أنْ تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم، فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء "[٢] .

في هذا الكتاب يأمر عثمان ولاته بخصال أربع :

١- أن يكونوا رعاة ولا يكونوا جباة غايتهم الرفق بالمحكومين وليس أغنياء الحكومة.

٢- رعاية العدل في العلاقات بين المسلمين وبين أئمتهم وأمرائهم، فلا ينبغي أن يُظلم المسلمون إرضاءً للحكام ولا ينبغي أن يُظلم الحكام إرضاءً لعامة المسلمين، بل أن يؤخذ من المسلمين ما عليهم وأن يُرد إليهم مالهم.

٣- العدلُ في التعامل مع أهل الذمة.

٤- أمرَ عُمالَه أن يستفتحوا على عدوهم ولكن بالوفاء فليس لهم أن يغدروا حتى بالعدو.

---

(١) - المرجع السابق .

(٢) - الخلفاء الراشدون / عبدالوهاب النجار٢٦٨،٢٦٩.

وَكَتَبَ إلى أُمراء الأجناد بالثغور

" أما بعد فإنكم حماةُ المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغبْ عنّا بل كان عن ملأ منّا ولا يبلغني عن أحد منكم تغييرٌ ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه"(1).

وَكَتَبَ إلى عمال الخراج

" أمّا بعد فإن الله خلقَ الخلقَ بالحقِّ فلا يقبل إلا الحقّ، خذوا الحقّ وأعطوا الحق به. والأمانةُ الأمانةُ ، قوموا عليها ولا تكونوا أولّ من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم. والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصمٌ لمن ظَلَمَهُم"(2).

وَكَتَبَ إلى العامة من المسلمين

" أما بعد فإنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم فإنّ أمرَ هذه الأمة صائرٌ إلى الإبتداع بعد اجتماع ثلاثٍ فيكم : تكامُلِ النِعَمِ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءةِ الأعرابِ والأعاجمِ القرآن(3) .

من أعماله

١- جَمْعُ القرآن على مصحفٍ واحدٍ

ذكر ابنُ الأثير (4) :

صرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مدداً لعبدالرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص فبلغ معه أذربيجان وكانوا يجعلون الناس ردءاً ، فأقام حتى عاد حذيفة ثم رجعا .

---

(1) - المرجع السابق .

(2) - ابن الأثير ١١١/٣.

(3) - ابن الأثير ١١١/٣.

(4) - ابن الأثير ١١١/٣.

فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص : لقد رأيتُ في سفرتي هذه أمراً، لئن ترك الناس ليختلفنّ في القرآن ثم لا يقومون عليه أبداً. قال : وما ذاك ؟ قال: رأيت أناسا من أهل حمص يزعمون أنّ قراءتهم خيرٌ من قراءةِ غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيتُ أهل دمشق يقولون : إنّ قراءتهم خيرٌ من قراءةِ غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وإنهم قرأوا على ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وإنهم قرأوا على أبي موسى ويسمّون مصحفه لبابُ القلوب.

فلما وصلوا إلى الكوفة أخبرَ حذيفةُ الناسَ بذلك وحذّرهم مما يخاف ، فوافقه أصحابُ رسول الله ﷺ . وكثيرٌ من التابعين ، وقال له أصحابُ ابن مسعود: ما تنكر؟ ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حذيفة ومن وافقه، وقالوا : إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ. وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتيّن أمير المؤمنين ولأشيرنّ عليه أن يَحولَ بين الناس وبين ذلك. فأغلظ له ابن مسعود ، فغضب سعيد وقام وتفرق الناس ، وغضب حذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى، وقال: أنا النذير العريان فأدركوا الامة، فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة.

فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر أنْ أرسلي إلينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف هي التي كُتبتْ في أيام أبي بكر.

فأخذها منها وأَمَرَ زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسانِ قريش فإنما نَزَل بلسانهم، ففعلوا . فلما نسخوا الصحف ردّها عثمان إلى حفصة وأرسل إلى كلِّ أفقٍ بمصحفٍ وحرق ما سِوى ذلك، وأمر أن يعتمدوا عليها ويَدَعُوا ما سِوى ذلك.

٢- زيادةُ أذان لصلاة الجمعة

كــان رسول ا لله ﷺ إذا دخل وقت صلاة الجمعة يصعد المنبر ويقف المـؤذن على باب المسجد بين يدي رسول ا لله ﷺ يرفع الأذان، وبقي الأمر كذلـك في عهـد أبي بكر ثم في عهد عمر بن الخطاب ، فلما كان عهد عثمــان بـن عفـان كَثُر النـاسُ وتوسعت المدينة المنورة فزاد عثمان أذاناً آخــر يسبق هـذا الأذان ، وكـان ذلـك سـنة ثلاثين للهجرة وكان يرفعه المؤذن على دار عثمان في الزوراء ، يبلّغ به أهـل الأسـواق وبذلك أصبح لصلاةِ الجمعة أذانان وإقامة.[١]

وكان لعثمان بن عفان رضـي ا لله عنـه أربعـةُ مؤذنـين وكـان يعطيهـم علـى الأذان رزقاً ، أي: جعلاً ، من بيت المال وهو أول مَنْ رزقَ المؤذنين.

٣- بناء المسجد النبوي

في السنة التاسعة والعشرين وهي السنة السادسة من خلافة عثمان رضـي ا لله عنــه كــثر ســكان المدينــة وزاد عددهــم زيــادةً كبــيرةً وضــاق مســجدُ رســول ا لله ﷺ بالمصلينَ حتى كان الناس يصلون في الشوارع المحيطة بالحرم.

فأشار الناسُ بهدم المسجد وبنائهِ حتى يتسع للمصلين فاستشار عثمــان النـاس فأشار عليه أهل الرأي بتجديد المسجد وتوسعته.[٢]

زاد عثمــــان في مسجد رسول ا لله ﷺ ووسّعَهُ وابتدأ في بنائه في شـهر ربيـع الأول وكانت القصة[٣] تُحمل إلى عثمـان مـن بطـن نخـل، وبنـاه بالحجـارة المنقوشـة وجعل عُمُده من جارة فيها رصاص وسقفه ســاجاً، وجعـل طولـه سـتين ومائـة ذراع

---

(١) - جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين / د.محمد السيد الوكيل ٣٧١.

(٢) - المرجع السابق .

(٣) - القصة : الحجارة من الجص.

وعرضه مائة وخمسين ذراعاً وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهـد عمـر ، ستةُ أبوابٍ[1].

سقوط خاتم رسول الله ﷺ من يد عثمان في بئر اريس

اتخذ رسول الله ﷺ خاتما منقوشاً عليه " محمد رسول الله" فجعل يتختـمُ بـه ويكتب إلى من أراد من الأعاجم وكان نقشُ الخاتم ثلاثة أسطرٍ .

بقي الخاتمُ في يدِ رسول الله ﷺ يتختـم بـه حتـى قبضـه الله عـز وجـل، ثـم استُخْلِفَ أبو بكرٍ فتختم به حتى قبضه الله عز وجل ثم وُلِّيَ عمر بن الخطـاب فجعـل يتختم به حتى قبضه الله ، ثم ولي من بعده عثمان بـن عفـان فتختـم بـه سـت سـنين فحفر بئراً بالمدينة شِرْبا للمسلمين ، فقعد على رأس البئر، فجعل يعبثُ بالخاتم ويُديـره بإصبعه، فانسلّ الخاتَمُ من إصبعه فوقع في البئر، فطلبوه في البـئر ونزحـوا مـا فيهـا مـن الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالاً عظيماً لمن جاء به، وأغتَمّ لذلك غمّاً شديداً فلمـا يئس من الخاتم أمَرَ فصُنع له خاتمٌ آخر مثله خلقه من فضةٍ على مثالـه وشبهه، ونقـش عليه "محمد رسول الله " فجعله في إصبعه حتى هلك فلما قُتِل ذهـب الخـاتم مـن يـده فلم يدر مَنْ أخذه[2] .

الفتنة

اجتماع أهل الفتنة

أستطاع عبدالله بن سبأ وهو رجلٌ يهودي من أهل صنعاء أظهر إسلامه زمن عثمان أنْ يستغل بعض الفئات الضالة استغلالاً جيداً في البصرة والكوفة ومصر، وانطلق إلى هذه الأمصار مصراً مصراً يطعن في خلافة عثمـان ويؤلـبُ النـاسَ عليـه حتـى استجاب لـه كثيرون من أصحاب المطامع واتفقوا على المسير إلى المدينة لعزْلِهِ وإلا قتله إن أبى.

---

(1) - تاريخ الطبري : ٢٦٧/٤.

(2) - المرجع السابق : ٢٨٣،٢٨٢/٤.

خرج أهل الفتنة من مصر وعليهم الغافقي بن حرب العكّي ومعهم ابن سبأ، فنزلوا بذي المروة قريباً من المدينة، وخرج أهل البصرة وعليهم حرقوص بن زهير ونزلوا بذي خشب ، وخرج أهلُ الكوفة وعليهم عمرو بن الأصم ونزلوا الأعوص.

فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير [١] .

أتى جماعةٌ من أهل مصر إلى عليّ بالمدينة فسلّموا عليه وعَرّضوا له ، فصاح بهم وطردهم وقال :

لقد علم الصالحون أنّ جيشَ ذي المروة وذي خشب [٢] ملعونون على لسان محمد ﷺ فارجعوا لاصحبكم الله .

قالوا : نعم ، فانصرفوا من عنده على ذلك[٣] .

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعةٍ إلى جنب عليّ، فسلموا عليه وعرّضوا له، فصاح بهم وطردهم وقال : لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ [٤].

وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعةٍ أخرى فسلّموا عليه وعرّضوا له، فصاح بهم وقال : لقد عَلِمَ المسلمون أنّ جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ .

فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون حتى انتهوا إلى عساكرهم وانتظروا حتى يتفرق أهل المدينة وكانوا قد استعدوا لهم.

---

(١) – تاريخ الطبري ج٤ ص٣٤٩.

(٢) – أضاف ابن الأثير (والأعوص).

(٣) – تاريخ الطبري ج٤ ص٣٤٩.

(٤) – المرجع السابق .

فلما اطمأنوا لذلك كَرّوا عليهم وباغتوهم وفوجئ أهل المدينة بالثائرين يُكَبّرون من كل جانبٍ ويحيطون بدارِ الخليفة ويقولون: مَنْ كَفّ يَدَهُ فهو آمن.

عثمان يستنجد بالأمصار

كتب عثمان إلى الأهل الأمصار يستمدهم فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد : فإنّ الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً فَبَلّغَ عن الله ما أمره به ، ثم مضى ، وقد قضى الذي عليه وخَلّفَ فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه وبيان الأمور التي قدَّر ، فأمضاها على ما أحب العباد.

فكان الخليفة أبا بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ثم أدخلت في الشورى عن غير علمٍ ولا مسألةٍ عن ملأٍ من الأئمة ، ثم أجمع أهل الشورى ، عن ملأُ منهم ومن الناس عليّ، على غير طلبٍ مني ولا محبةٍ فعملتُ فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتبع ، متّبعاً غير مبتدعٍ، مقتدياً غير متكلّف.

فلما انتهت الأمور ، وانتكث الشر بأهله ، بَدَتْ ضغائنُ وأهواءُ على غير إجرامٍ ولا ترةٍ فيما مضى إلا إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغيرِ حجةٍ ولا عذرٍ ، فعابوا علي أشياء مما كانوا يرضون وأشياء من ملأُ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبّرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عز وجل جرأةً ، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمهِ وأرضِ الهجرةِ وثابَتْ إليهم الأعراب فَهُم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون ، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق.

فأتى الكتاب أهل الأمصار فخرجوا على الصعبة والذلول فبعث معاوية حبيب بن مسلم الفهري، وبعث عبدالله بن سعد معاوية بن حديج السكوني، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو[1] .

---

(1) - الطبري ج٤ ص٣٥٢-٣٥٣.

اشتداد الحصار

كان عثمان رضي الله عنه يخرج للصلاة بالناس، فلما كانت الجمعة التي نزل فيها المصريون مسجد رسول الله ﷺ خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال: يا هؤلاء العِدَى، الله، الله ! فوالله إنّ أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فامحوا الخطايا بالصواب، فإنّ الله عز وجل لا يمحو السيء إلا بالحسن(١).

فثارَ القوم وحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبرِ مغشياً عليه فاحتُمِلَ وأُدْخِلَ داره.

ومنع بعد ذلك من الصلاة فكانت صلاته بعد ما نزلوا المسجد ثلاثين يوما ثم اشتد الحصار فمنعوا عنه الماء فأشرفَ على الناس فقال: أفيكم عليّ؟ فقالوا: لا. قال: أفيكم سعد ؟ قالوا : لا، ثم قال : ألا أحَدٌ يبلغ علياً فيسقينا ماءً؟

فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاثِ قربٍ مملوءةٍ فما كادت تصل إليه! وجرح بسببها عدةٌ مِنْ موالي بني هاشم ، وبني أمية ، حتى وصل الماء إليه، فبلغ علياً أنّ عثمان يُرادُ قتله، فقال: إنما أردنا منه مروان(٢) فأمّا قتلُ عثمان فلا.

وقال للحسن والحسين: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصلُ إليه، وبعث الزبيرُ ابنَه، وبعث طلحةُ ابنه، وبعث عدةٌ من أصحاب محمد ﷺ أبناءهم يمنعون الناس أنْ يدخلوا على عثمان.(٣)

---

(١) – المرجع السابق.

(٢) – اتهمه الثوار بأنه كتب كتابا لقتل محمد بن ابي بكر حين وجهه عثمان لولاية مصر، وهو مروان بن الحكم.

(٣) – الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، أحمد بن حجر المالكي ص١٨١.

مقتل عثمان رضي الله عنه

رأى عثمان رسول الله ﷺ ليلةَ الجمعة في المنام ومعه أبو بكر وعمر فقالوا له: اصبر فإنك مفطر عندنا .. فأصبح رضي الله عنه صائماً ورغم ذلك فقد كان رضي الله عنه يستغربُ سعيَ أهل الفتنةِ لقتله فكان يقول :

لِمَ يقتلوني وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول :" لا يحل دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا في إحدى ثلاث: رجل كفرَ بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس" فوا لله ما زنيتُ في جاهليةٍ ولا في إسلام قَط ، ولا تمنيت أنّ لي بدِيْني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلتُ نفساً ففيم يقتلوني[1].

بلغَ أهلُ الفتنةِ نفورُ أهلِ الأمصار إليهم لنصرة عثمان فرغبوا بإنهاء الأمر، فقام المصريون بإحراقِ البابِ والسقيفةِ واتجهوا نحو دار عثمان فتصدّى لهم أبناء الصحابةِ ومَنْ معهم من الموالي واقتتلوا قتالاً شديداً قاتل معهم مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والمغيرة بن الأخنس إلا أنّ كفّة الثوارِ رجحت عليهم فتراجع المدافعون إلى باب الدار ثانيةً يمنعون دخول الثوار منه حتى صدوهم عنه فجُرِحَ الحسن والحسين وشجَّ قنبر مولى علي وأصيب عبدالله بن الزبير. ولما رأى عثمان اشتداد القتال خشي على جماعته، فخرج يصيحُ بمواليه من أغمدَ سيفه فهو حرٌ أيها الناس .. نشدتكم الله .. من أغمدَ سيفَهُ فهو حُر .

لكن صيحاته ذهبت وسط أصواتِ القتال فلم يسمعه أَحَدٌ، ثم اتجه إلى أبناء الصحابة قائلا:

الله الله .. أنتم في حِلٍّ مِنْ نُصرتي .. مَنْ كانت عليه طاعةٌ فليمسك دارَه فإنما يريدني القوم.

---

(1) – طبقات ابن سعد ج٣ ص٤٦ ، الفتنة / طه حسين ص٢٢١.

ولا يجيب ثانيةً بل استمروا في القتال عدا بعض الموالي الذي آثروا السلامةَ مع العِتْقِ على المناجزة مع الرِّق.

ولما رأى الثوار أنّه لا طاقة لهم بدخول الدار على عثمان من بابها لصمود أبناء الصحابة ومن معهم، وقد عزموا على تنفيذ أمرهم خشية وصول المدد تسوّرَ داره عصبةٌ منهم خِلسة من دار بني حزم وفيهم محمد بن أبي بكر فلمّا وقف أمامه أمسك بلحيته وهزّها بشدةٍ وهو يؤنِّبُهُ فقال له عثمان: "يا ابن أخي، دَعْ لحيتي فقد كان أبوك يُكرمها، ووا لله لو رآك لبكاني، ولساءَهُ مكانك مني".

فتراخت يده بذكر والده وانصرف مستحياً نحو الباب، أمّا مَنْ معه فقد أهوى أحدهم بحديدةٍ على رأسِهِ، وعاجَلَهُ ثانٍ بمشْقَصٍ في ترقُوَتِهِ فسال دمه على المصحف، ثم تقدم إليه ثالثٌ بسيفه فأقبلت امرأتُه تحاول أن تحمي زوجها إلا أنه هوى بالسيف فتلقته بيدها فقطع أصابعها، ثم طعن به عثمان وأثقل عليه حتى غاص في جسده ، وقضيَ الأمر ، وتمدد الجسد الضعيف وقد أسلم الروح صائماً ومصحفه بين يديه.

خرج الثوار وخرجت امرأتُه من الغرفةِ تصيح: قُتِل أمير المؤمنين ، فهدأ القتال ودخل أبناءُ الصحابة فرأوا عثمان مقتولاً فحزنوا وبكوا عليه بكاءاً شديداً.

وكان حصاره رضي ا لله عنه أربعين يوماً ومقتلُه يوم الجمعة في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ وعمرهُ اثنان وثمانين عاماً.

دفنـــه

بقي عثمان رحمه ا لله ثلاثة أيام لا يدفن، ثم أن حكيم بن حزام القرشي وأحد بني أسد بن عبدالعزى ، وجبير بن مطعم بن عدي كلّمَا علياً في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ففعل وأذِنَ لهم، فلما سمع بذلك الثائرون قعد له بعضهم في الطريق بالحجارة . فلما خرجوا به مِنْ أهلِه يريدون دفنه في حائط بالمدينة يقال له

حش كوكب (موضع عند بقيع الفرقد) كـانت اليهـود تدفـن فيـه موتـاهم ، رجمهُ الثائرون وهمّوا بطرحِهِ فبلغ ذلك علياً فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفّوا عنه ففعلوا.

ثم دُفِنَ رضي الله عنه في حش كوكب ، فلما ظهر معاويـة بـن أبـي سـفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحـائط حتـى أفضـى بـه إلى البقيـع وأمـر النـاس أن يدفنـوا موتاهم حولَ قبرِهِ حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين.

الفصل الثاني

الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان

رضي الله عنه



الفصل الثاني

الفتوحات في عهد عثمان بن عفان

رضي ا الله عنه

نقضُ أهْلِ الإسكندرية الصُلْح

وقتها : السنة الخامسة والعشرون للهجرة (1)

موقعها : الإسكندرية .

قادتها : عمرو بن العاص

أحداثها

انتقضَ الرومُ ثانيةً في الإسكندرية وكتبوا إلى الإمبراطور قسطنطين بن هرقل ملك الروم يصفونَ له ما هُمْ عليه من الذلة ويهوِّنون عليه فتحها لقلة ما فيها من المسلمين. فأجابهم إلى ذلك وأرسل قائدَه الأرمني مانويل في جيشٍ كثيفٍ على ثلاثمائة مركبٍ - ولم يكن للمسلمين أسطولٌ آنذاك كأسطولِ الروم - فرسَتْ هذه المراكب في ميناء الإسكندرية ونزل جيشُها فقتل حامية المدينة من المسلمين ، ولم يكتف بالاستيلاء على الإسكندرية بل توغّل في البلاد المجاورة من أرض الدلتا واستولى على الغلالِ والأموالِ وأخذ يعيثُ في الأرض فسادا.

لم يرض القبط في المدينة بذلك فكتبوا إلى عثمان بن عفان يَلُحّون عليه في إسناد حرب الروم إلى عمرو بن العاص فأجابهم الخليفة إلى

---

(1) - الكامل لابن الأثير ٨١/٣ ، عثمان بن عفان - محمد رضا ٤١.

ذلك وولّى عمرو بن العاص الإسكندرية وعهد إليه حرب الروم وإخراجهم من مصر(١).

سار عمرو بن العاص في خمسة عشر ألفاً والتقى بجيش الروم في مدينة نقيوس والتحموا في الحرب، واقتتلوا قتالاً شديداً في البحر والنهر، وكثُرَ الترامي بالنشاب حتى وقع فرس عمرو من تحته فحارب على قدميه ، حتى انهزم جيش منويل نحو الإسكندرية ، وتحصّنوا بها فقاتلهم عمرو ونصبَ المجانيق وألح بالحرب فدخلوها وقتلوا من الروم عدداً كبيراً جداً وقُتِلَ منويل .

كان الروم لما خرجوا من الإسكندرية أخذوا أموالَ أهل تلك القرى فلما ظفر بها المسلمون جاء أهل القرى الذين حالفوهم، فقالوا لعمرو بن العاص : إنّ الروم أخذوا دوابنا وأموالَنا و لم نخالف نحن عليكم وكنّا على الطاعةِ فردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم بعد إقامة البينة . وهدم عمرو سورُ الإسكنرية وتركها بغير سور(٢).

فتح أرمينية

تاريخها : السنة الخامسة والعشرون للهجرة.

موقعها : بلاد أرمينيا (٣) .

قادتها : حبيب بن مسلمة الفهري.

أحداثها

غزا العربُ أرمينيا مرتين، أولاهما في عهد عمر بن الخطاب، والثانية على عهد عثمان بن عفان، وقد ذكرنا سابقاً غزوها على عهد عمر بن الخطاب واستقرارِ المسلمين فيها .

---

(١) - تاريخ الاسلام ج١ ص٢٦٠.

(٢) - الكامل ج٣ ص٨١.

(٣) - أرمينيا هي مجموعة من المدن منها : خلاط وقاليقلا وارزنجان وارجيشي ، روان وجبل آواراط وآراس.

إلا أنه بعد وفاة عمر بن الخطاب انتقضت أرمينيا طمعاً في حاميتها الضعيفةِ وبُعْدَ المسلمين عن بلادهم فسعوا للخلاص منهم. فكتب عثمان بن عفان إلى معاوية ابن أبي سفيان الذي جمع إليه الشام كلّهُ أن يغزو أرمينيا، فاختار حبيب بن مسلم الفهري (وكان قد سبق أن فتحها مع عياض بن غنم في خلافة عمر) فوجّهه في ستة آلافِ مقاتلٍ ولإعادةِ فتحِها .

سار حبيب فأتى قاليقلا فحاصرها حصاراً شديداً حتى ضيَّقَ على أهلِها فطلبوا الصلحَ والأمانَ على الجلاء والجزية ، فجلا كثيرٌ منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها شهراً .

ثم بلغهُ أنّ بَطْرِيقَ أرميناقس قد جمع لمقاتلته ثمانين ألفاً من الروم فكتب إلى معاوية يخبره وكتب معاوية إلى عثمان فأرسل عثمان إلى معاوية والي الكوفة:

أما بعد فإنّ معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يخبرني أنّ الروم قد أجلبت على المسلمين بجموعٍ عظيمةٍ ، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلا ممن ترضى نجدته وبأسَه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلافٍ أو تسعة آلافٍ إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام.

ولما وصل كتاب الخليفة إلى والي الكوفة[1] قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أما بعد أيها الناس فإنّ الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاءً حسناً ردّ عليهم بلادهم التي كفرت وفتح بلاداً لم تكن افتتحت، وردّهم سالمين غانمين مأجورين فالحمد لله رب العالمين ، وقد كتب أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة آلاف إلى الثمانية آلاف تمدون إخوانكم من أهلِ الشام فإنهم قد جاشت

(١) - ذكر أنه الوليد بن عقبة في بعض المصادر وفي أخرى أنه سعيد بن العاص.

عليهم الـروم وفي ذلـك الأجرُ العظيـمُ ، والفضـل المبـين ، فـانتدبوا رحمكـم الله مـع سليمان بن ربيعة الباهلي (1) .

سار الناس ومضوا حتى دخلوا الشام أما حبيـب فقـد أبطـأ عليـه المـددُ ورأى الروم يقبلون ونزلوا على الفرات . فأجمع على تبييتهـم وتمكـن مـن مفاجـأتهم وقَتْـلِ قائدهم فانهزموا .

ويروى أنّ امرأته أم عبدالله بنت يزيد الكلبية قالت له : اين موعدك ؟ فقال: سرادق المودبان .. ولما انتصر ودخل السرادق وجد امرأته قد سبقته إليه، فكانت أول امرأة من العرب ضُرب عليها حجاب سرادق.

عاد حبيب بعد انتصاره إلى قاليقلا وورد عليـه فيهـا المـدد بـإمرة سـلمان بـن ربيعة الباهلي فاتجه حبيب لفتح أرمينيا الغربية وسار سلمان لفتح أرمينيا الشرقية، سـار حبيب من قاليقلا فنزل مربالا فأتاهُ بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنـم وفيـه الأمـان فأقرّه عليه وحمل إليه البطريق ما عليه من مال فنزل بخلاط ثم سار منهـا إلى مُكس(2) وهـي مـن البسـفرجان(3) فلقيـه صاحبُهـا وقاطعـه علـى بـلاده ثـم سـار إلى ازدشـاط فحاصرها ونصب عليها منجنيقا فطلب أهلها الأمان فأجابهم ثم بـثّ السـرايا فبلغـت خيله ذات اللجم ثم إلى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقها على أتـاوة، وقـدِمَ عليه بطريق – البسفرجان فصالحه على جميع بلاده(4) . ثم سار إلى تفليس ففتحها .

أما سلمان بن ربيعة فسار إلى آران ففتح البيلقان صلحاً وأمّنهم علـى دمـائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزيةَ والخراج.

---

(1) – عثمان بن عفان – محمد رضا ص٤٦.

(2) – موضع بأرمينية .

(3) – كورة بأرض أران.

(4) – الكامل ج٣، الخلفاء الراشدون ٢٧٥.

ثم اتى مدينة برذعة فعسكر على الـثرثور (نهرٌ بينـه وبينهـا فرسخٌ) فقاتلـه أهلُها أياماً ، وشنَّ الغارات في قُراها ، فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجّه خيلَه ففتحـت رسـاتيق البـلاد . ودعـا أكـرادَ البلاشجان إلى الإسـلام فـأبَوْا فقـاتلهم وانتصر عليهم فأقرَّ بعضهم على الجزية واختار بعضهم الزكاة.

ثم وجّه سـريةً إلى شمكـور ففتحوهـا وهـي مدينـة قديمـة وقـد عُمِّرَتْ زمـن المتوكل على الله العباسي وسُميت المتوكلـة، ثـم سـار سـلمان إلى مجمـع أرس والكـر ففتح قبلة وصالحه صاحبُ سكر وغيرها على الأتاوة، وصالحـه ملـك شـروان وسـائر ملوك الجبال. وقد قتل سلمان في أثناء معركةٍ مع خانقان الخـزر خلـف نهـر البلنجـر، فكُتِبَ إلى الخليفة عثمان بفتوحات أرمينية وبنعيٍّ سلمان الباهلي .. رحمهُ الله.

فتح أذربيجان

كانت أذربيجان من الأراضي التي أغـار عليهـا المسـلمون بقيـادة حذيفـة بـن اليمان وصالحوا أهلها على ثمانمائة ألف درهم وذلـك بعـد موقعـة نهـاوند بسنةٍ ولّمـا كانت وفاة عمر بن الخطاب امتنعوا عن دفعها ، فلما وُلِّيَ عثمان ولّى الوليد بن عقبـة الكوفة فسار إليهم ودخل أراضيهم وأجبرهم على الإنقياد ثانيةً للمسلمين وقد صالحـه أهلها على مثل صُلْحِ حذيفة.

غزو شمال إفريقيا

وقتها : السنة السابعة والعشرون للهجرة.

موقعها : شمال أفريقيا.

قادتها : عبدا لله بن سعد بن أبي السرح.

أحداثها

كان عمرو بن العاص والي مصر وفاتحها زمن عمر بن الخطاب قد استطاع دَحْرَ الروم وطردهم بعيداً عن مصر، كما أمّن حدودها الغربية بافتتاح برقة صلحاً وطرابلس عنوة عام ٢٢هـ.

فلمّا كانت خلافة عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وعيّن بدلاً منه عبدا لله بن سعد بن أبي السرح وأمره بغزو إفريقية وقال له: إنْ فتح ا لله عليك فلك من الفيءِ خُمس الخُمس وبعث له مدداً من عشرة آلاف مقاتلٍ عليهم عبدا لله بن نافع بن عبدالقيس ، وعبدا لله بن نافع بن الحارث وفيهم من الصحابة ابن عباس وابن عمر وعبدا لله بن الزبير وابن عمرو بن العاص والحسن والحسين. وأمرهما بالاجتماع مع عبدا لله بن أبي السرح بمصر.

خرج الجيش حتى قَطَعَ أرض مصر والتقوا بعبدا لله بن سعد وساروا جميعاً في جيشٍ تعداده عشرون ألفاً فوصلوا برقة، ومن هناك بعث عبدا لله بن سعد سريةً تقدمت الجيش إلى طرابلس فتحصن أهلُها داخل أسوارِها بينما واصل الجيش تقدُّمَهُ وعبدا لله يبعث بالسرايا في كلّ وجه فيأتوه بالغنائم.

علم جريجوريوس حاكم شمال إفريقية بخبر المسلمين فجمع العساكر وأهالي البلاد من قبائل البربر غير المدربين على القتال حتى بلغ تعداد جيشه مئة ألف مقاتلٍ والتقى بالمسلمين . فراسله عبدا لله بن سعد يدعوه إلى الإسلام أو الجزية فأبى وامتنع تكبراً واختارَ القتال.

القتال

بدأ القتالُ بين الطرفين ، يقتتلون كل يومٍ إلى وقتِ الظهيرةِ ثم يعود الجيشان إلى معسكرهما في اليوم التالي، وكانت هذه خطّة عبدا لله بن سعد ، إلا أن عبدا لله بن الزبير (١) أنكر على ابن أبي السرح خطّته لما رأى فيها من إتاحة الفرصة للعدو للاستعداد وأشار عليه بتقسيم جيش المسلمين إلى فئتين: إحداهما تقاتل إلى الظهر، على حين تأخذُ الأخرى قسطها من الراحة وتستعد لمباغتة العدو عندما يأوي إلى معسكره. ففعل ذلك وشرع ابن الزبير بتنفيذ الخطة، فلما حان انصرافُ الجيشيْن وذهب جيش الروم للراحة، خرجت عليهم صناديدَ المسلمين في خيامهم وهزمتهم هزيمةً منكرةً وقُتِلَ ملكهم جريجوريوس، وغنموا منهم غنائم كثيرةً حتى قيل أنّ سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف دينارٍ والراجل ألف دينار .

دخل المسلمون مدينة سبيطلة وبثّ عبدا لله بن سعد جيوشه في البلاد فبلغت قفصة (وهي بلدة صغيرة بينها وبين القيروان ثلاثة أيام) فَسَبَوْا وغَنِموا ثم سيّر عسكرهُ إلى حصن الأجم فحاصرهُ وفتحه ثم صالح ابن أبي السرح أهل إفريقية على ألفي ألف وخمسمائة " ٢,٥٠٠,٠٠٠ وذكر أنهم بذلوا له ٣٠٠ قنطار من الذهب"(٢)

عاد عبدا لله بن الزبير بالغنائم إلى المدينة وأخبر عثمان بن عفان رضي ا لله عنه بانتصار المسلمين فَسُرَّ بذلك.

---

(١) – ذكر بعض المصادر أن عبدا لله بن الزبير لم يكن مع المدد وإنما أرسله الخليفة للجيش بعد أن انقطع خبره.

(٢) – عثمان بن عفان – محمد رضا ص ٥٢.

غزو الأندلس

وقتها : السنة السابعة والعشرون للهجرة.

موقعها : الأندلس .

قادتها : عبدا لله بن نافع بن الحصين وعبدا لله بن نافع ابن عبد القيس.

أحداثها

لما فتحت إفريقية أمرَ عثمان بن عفان عبدا لله بن نافع بن الحصين وعبدا لله بن نافع بن عبدالقيس بالمسير إلى الأندلس ، ففعلا وأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس : أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس ، وإنكم ان افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر، والسلام.

فخرجا ومعهم البربر ففتح ا لله على المسلمين (١) .

فتح قبرص

وقتها : السنة الثامنة والعشرون للهجرة.

موقعها : قبرص .

قادتها : معاوية بن أبي سفيان.

أحداثها

انشاء الأسطول الإسلامي

كان معاوية قد أَلَحَ على عمر بن الخطاب في أنْ يسمح له بغزوٌ الروم من البحر لقربهم من بلاد الشام ولقطع الإمدادات التي تصل إليهم عن طريقه وقال له:

إنّ قريةً من قرى حمص ليسمع نباح كلابهم وصياحُ دجاجهم فكتب عمر إلى عمرو بن العاص : صِف لي البحر وراكِبَهُ.

---

(١) – الكامل لابن الاثير ج٣ ص٩٣.

فكتب إليه عمرو بن العاص :

" إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغيّر ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركد خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلةً ، والشكّ كثرةً ، ثم فيه كدود على عود إنْ مال غرق ، وإن نجا برق ".

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية:

" والذي بعث محمداً ﷺ بالحقّ لا أحمل فيه مسلماً أبداً وقد بلغني أنّ بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله في كل يوم وليلة أن يُغرّق الأرض ، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر ! وبالله لَمُسْلِمٌ أحبُّ إليّ مما حوت الروم، وإياك أن تعرض إليّ فقد علمت ما لقي العلاء مني ".

فلما كان زمن عثمان بن عفان كتب إليه معاوية يستأذنه في غزوِ البحر مرارا وهوّن عليه الأمر حتى وافق وقال له : " لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، خيِّرهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعِنه".

فتح قبرص

تحرك معاوية في أسطوله الذي أنشأه مستعيناً بأهل الشام وبعض الروم والأرض، وكان معه جماعةٌ من الصحابة فيهم أبو ذر الغفاري، أبو الدرداء، وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أمّ حرام، وشداد بن أوس ، متجهاً من الشام إلى قبرص واستعمل عليهم عبدا لله بن قيس الجاسي حليف بن فزارة [1] فلما وصلها صالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون إلى الروم مِثْلها ، لا يمنعهم المسلمون عن ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم من ورائهم، وعليهم أن يُعلموا المسلمين بمسير عدوّهم من الروم إليهم ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم.

---

(١) – الكامل ج٣ ص٩٦.

قصة أم حرام

في هذه الغزوة ماتت أم حرام بنت ملحان الأنصارية، ألقتها بغلتها بالجزيرة، وأم حرام هذه أخبرها رسول الله ﷺ أنها في أول من يغزو البحر:

روى مسلم عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعِمُه، وكانت أمّ حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته ، ثم جلست تُفَلّي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عُرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسِرَّةِ أو مثل الملوك على الأسِرَّةِ (يشك أيهما قال) قالت : قلتُ : يا رسول الله ادع الله أنْ يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت فقلتُ : ما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناسٌ من أمتي عُرضوا عليّ غزاة في سبيل الله ، كما قال في الأولى ، قالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : أنتِ مِنَ الأولين.

وهذه من نبوءات رسول الله ﷺ

قصة عبدالله بن قيس الجاسي

ذكر الطبري وابنُ الأثير أن معاوية استعمل عبدالله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتيةٍ وصائفةٍ في البحر ولم يغرقْ فيه أحَدٌ ولم يُنكَبْ.

وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جُنْده ، وألا يبتليه بمصابِ أحدٍ منهم ففعل، حتى إذا أراد أن يصيبه في جسده، خرج في قارب طليعة فانتهى إلى المرفأ بأرض الروم وعليه مساكينٌ يسألون فتصدّق عليهم فرجعت امرأةٌ منهم إلى قريتها فقالت للرجال: هذا عبدالله بن قيس في المرفأ، فثاروا إليه فنهجوا عليه فقتلوه. بعد أن قاتلهم وأصيب وحده ونجا الملاح.

انتقاض أهل فارس

وقتها : السنة التاسعة والعشرون للهجرة.

موقعها : اصطخر ، دارا بجرد.

قادتها : عبدالله بن عامر بن كريز .

أحداثها

كان على بلاد فارس عبيد الله بن معمر ، فانتقضوا عليه ونكثوا بالعهود فسار إليهم والتقوا على باب اصطخر واقتتلوا فانهزم المسلمون وقُتل عبيد الله.

ولما بلغ الخبر عبدالله بن عامر بن كريز والي البصرة استنفر أهلُها وسار إلى فارسٍ بجيشٍ كثيفٍ، وكان على ميمنته أبو بريرة (برزة) الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار، وعلى الخيل عمران بن الحصين وعلى المقدمة عثمان بن أبي العاص[1]، فالتقوا مع الأعداء باصطخر واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم فيه الفرس وقَتَلَ منهم مقتلةً عظيمةً وفُتحت اصطخر عُنوة.

ثم أتى دارابجر . وقد غدر أهلَها ففتحها ثم سار إلى مدينة جور ، وهي اردشرخرّة ، فبلغه أنّ أهل اصطخر عادوا إلى غدرهم فرجع إليهم وفتحها للمرة الثالثة عنوةً بعد أن حاصرها واشتدّ القتالُ عليها ورُميت بالمجانيق فقتلَ من أهلها خلقاً كثيراً من الأعاجم، وأفنى أكثر أهل البيوتات والأساورة وكانوا قد لجأوا إليها، ووطيءَ أهل فارسٍ وطأةً لم يزالوا منها في ذل، وكتب إلى عثمان بالخبر.

---

(١) - الطبري ٢٦٥ ابن الأثير ج٣ص١٠١.

فتح طبرستان

وقتها : السنة الثلاثون للهجرة .

موقعها : طبرستان.

قادتها : سعيد بن العاص.

أحداثها

طبرستان ولايةٌ من ولايات إيران، وتقع إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين. سار إليها سعيد بن العاص وفي جيشه الحسن والحسين ابنا علي وابن عباس وابن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وغيرهم من كبار الصحابة [١] فنزل قومس وهي صلح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف ثم أتى طميسة وهي كلُّها من طبرستان متاخمة جرجان على البحر، فقاتله أهلها فصلّى صلاةَ الخوف، أعلمه حذيفة كيفيتها وهم يقتتلون وضرب سعيد يومئذ رجلاً بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه، ثم حاصرهم فسألوا الأمان ، فأعطاهم على ألا يقتُلَ منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً وحوى ما كان في الحصن، ثم عاد إلى الكوفة .

ذُكر أنّ أهل جرجان لما صالحوا سعيداً كانوا يجبون أحيانا مائة ألفٍ وأحيانا مائتي ألفٍ، ثم امتنعوا وكفروا فلم يأتِهم بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن أحدٌ يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وَجَلٍ وخوفٍ من أهل جرجان، وأول من صيّر الطريق قتيبة بن مسلم حين وُلّيَ خراسان.

---

(١) – الطبري وابن الأثير.

فتح بلاد النوبة

وقتها : السنة الحادية والثلاثون للهجرة.

موقعها : بلاد النوبة.

قادتها : عبدا لله بن أبي السرح.

أحداثها

استعصى فتحُ بلاد النوبة على المسلمين في ولاية عمرو بن العاص على مصر لمهارةِ أهلها في رَمْي النَبل.

ولما تولى عبدا لله بن أبي السرح ولاية مصر في عهد الخليفة عثمان بن عفان وجّه همَّهُ إلى غزوها من جديدٍ، فسار إليهم حتى بلغ دنقلة عام ٣١ للهجرة وقاتل أهلَها قتالاً شديداً لكنه لم يتمكن من فتحها فعقد صلحاً مع أهلها كان أشبه بمعاهدةٍ إقتصاديةٍ بين مصر وبلاد النوبة، وتتلخصُ في أنْ يُقدِّمَ المسلمون لأهل النوبة القمح والعدس مقابل أن يعطيهم أهل النوبةِ أربعمائة رقيقٍ سنوياً.

وقد عُدِّلَ هذا الاتفاق في عهد المهدي حيث يتم الدفع مرةً كل ثلاث سنوات[1] .

---

(١) - البلاذري ج١ص٢٨١ ، الخلفاء الراشدون ص١٠١.

غزوة الصواري [1]

وقتها : السنة الحادية والثلاثون للهجرة.

موقعها : البحر المتوسط في موقع قبالة الاسكندرية.

قادتها : عبدا لله بن سعد بن أبي السرح.

أحداثها

خرج قسطنطين بن هرقل على جيشِ الروم في خمسمائةِ سفينةٍ يُريد الانتقامَ من المسلمين بسبب هزائم الجيوش الرومية في بلاد الشام ومصر وشمال إفريقية التي جرت على اليابسة، واختارَ البحرَ هذه المرة ليكون مسرح المعركة، معتقداً أنّ العرب يجهلون القتالَ عليه ويمكن هزيمتهم بسهولة.

ولكن الأسطول الإسلامي الذي أنشأه عبدا لله بن أبي السرح والي مصر، وأسطول الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان لحماية الشواطئ الإسلامية كانا لهم بالمرصاد. فلمّا أقبلت سفن الروم واقتربت من الأسطول الإسلامي المكوّن من مائتي مركبٍ، كانت الريح على المسلمين فأرسلوا سفنهم وأرسى الروم قبالتهم حتى سكنت الريح فقال المسلمون لهم : الأمانُ بيننا وبينكم، فباتوا ليلتهم.

ولما كان الغد رشقهم المسلمون بالنبل ثم قرنوا سفنهم بسفن الروم واجتلدوا وإياهم بالسيوف والخناجر واشتد القتال وكثر القتلى بين الطرفين. فألقت الأمواج الجثث على الشاطئ وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون صبراً شديداً حتى أنزل ا لله نصره عليهم ، فانهزم الروم وفرّ قائدهم إلى سرقوسة أكبر مدينة بجزيرة صقلية ، وقتل هناك بأيدي أهلها غضبا عليه لانهزامه.. واستولى المسلمون على عدد كبير من السفن الرومية .

---

(1) - الطبري ج٤ص٢٩ ، وابن الأثير ج٣ ص١١٨. وذكر ابن كثير أن المعركة جرت مع اسطول مصر ج٧ص١٥٧.

وبهذه المعركة تّم القضاء على سيادة الروم البحرية و لم يَعُد البحر المتوسط بحيرةً رومانيةً بل اصبح للأسطول الإسلامي السيطرةُ التامةُ.

فتح بقية بلاد فارس

خراسان

وقتها : السنة الحادية والثلاثون للهجرة.

موقعها : بلاد خراسان.

قادتها : عبدا لله ين عامر بن كريز.

أحداثها

لما رجع عبدا لله بن عامر إلى البصرة بعد أن تمّ فتح بلاد فارس التيَ أنقضت على عهد المسلمين، بَلَغَه أن أهل خراسان نقضوا الذمة ونكثوا العهد. فعزم على المسير إليهم . وقام إليه أوس بن حبيب التميمي فقال له : أصلح ا لله الأمير ! إنّ الأرضَ بين يديك و لم تفتتح من ذلك إلا القليل، فَسِرْ فإنّ ا لله ناصِرُك ؛ قال: أوَلم نأمر بالمسير، و كَرِهَ أن يُظهر أنه قَبِلَ رأيه.

وقيل إن ابن عامر رجع إلى البصرةِ واستعمل على اصطخر شريك بن الأعور الحارثي فبنى شريك مسجد اصطخر ، فدخل على ابن عامر رجلٌ من بني تميم قال: كنا نقول : إنه الأحنف (ويقال غير ذلك) فقال له : إنّ عدوكَ منك هاربٌ وهو لك هائب والبلاد واسعةٌ فَسِرْ فإنّ ا لله ناصرك ، ومعزّ دينه.

تجهز ابن عامر واستخلف على البصرة زياد بن أبي سفيان وسار إلى كرمان (وهي ولاية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان) واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي وأمره بمحاربة أهلها و كانوا قد نكثوا العهد.

كما استعمل على سجستان (بينهها وبين كرمان ١٣٠ فرسخاً) الربيع بن زياد الحرثي و كانوا قد غدوا ونقضوا الصلح.

سار ابن عامر من كرمان إلى نيسابور وجعل على مقدمته الأحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما بابا خراسان فصالحه أهلها، على ٦٠٠,٠٠٠ درهم، ثم سار إلى قهستان فلقيه أهلُها وقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنهم وبعث سريةً إلى رستاق من أعمال نيسابور ففتحه عنوةً وفتح باخرز وجوين وهما من أعمال نيسابور أيضا، ثم وجّه ابن عامر الأسود بن كلثوم العدوي من عديّ الرباب وكان ناسكاً إلى بيهق فسار إليها ودخل حيطان البلدة من ثلمةٍ كانت فيها ، ودخلت معه طائفةٌ من المسلمين فأخذ العدو عليهم تلك الثلمة ، فقاتل الأسود حتى قُتِل وقُتِل معه طائفةٌ من المسلمين . فقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كلثوم، فظفر وفتح بيهق وهي من أعمال نيسابور ، ولم يوارِ أخاه في التراب حيث كان الأسود يدعو الله أن يحشره من بطون السباع والطير، ودفنَ من استشهد من أصحابه[1] .

وفتح ابن عامر بشت (ظهر باللغة الفارسية)، واشبنذ، ورخ، وزاره، وخواف، واسفرائن، وأرغيان (من أعمال نيسابور)، ثم أتى مدينة أبرشهر، مدينة نيسابور بعد أن تم الاستيلاء على ما حولها فحاصر أهلها أشهراً وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس موكلٌ به، فطلب صاحب ربعٍ من تلك الأرباع الأمانَ على أن يُدخل المسلمين المدينة فأجيب إلى ذلك وأدخلهم إليها ليلاً ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها في القهندر (معناه القلعة العتيقة) ، ومعه جماعة ، وطلب الأمان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على الف ألف درهم، فولّى عليها بعد افتتاحها قيس بن الهيثم السلمي.

---

(١) - كل ما ذكر من المدن سابقا هي بخراسان.

ثم سَيّر جيشاً إلى نساوأبيورد فافتتحوها صلحاً، وسَيَّر عبدالله بن خازن السلمي إلى سرخس فقاتله أهلها ثم طلبوا الأمان والصلح على تأمين مائة رجل ذكرهم له فأُجيبوا إلى ذلك لكن مرزبانها نسي نفسه فقُتِل ودخل ابن خازم سرخس عنوةً.

وأتى مرزبان طوس إلى ابن عامر وصالحه عنها على ستمائة درهم، ثم سَيَّر جيشا إلى هراة فأتاه مرزبانها وصالحه على هراة وباذغيس وبوشنج.

وأرسل مرزبان مروالشاهجان يسألُ الصلحَ فأرسل إليه ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي فصالحه على ألف ألف ومائتي درهم، وكان في صلحهم أن يوسّعوا للمسلمين في منازلهم وأنّ عليهم قسمة المال وكانت مرو صلحاً كلها إلا قرية يقال لها السنج فإنها أُخِذَت عنوةً.

ثم وجّه ابن عامر الأحنف بن قيس إلى طخارستان فمرّ برستاق يعرف برستاق الأحنف فحاصر أهلَها فصالحوه على ثلاثمائة ألف درهم فقال لهم: أُصالحكم على أن يدخل رجلٌ منا القصرَ فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى أنصرف، فرفضوا وكان الصلح.

ثم مضى الأحنف إلى مروالروذ فحاصر أهلها وقاتلوه قتالاً شديداً فهزمهم المسلمون وحاصروهم في حصنهم وكان مرزبانها من أقارب باذان صاحب اليمن، فكتب إلى الأحنف أنّه دعاني إلى الصلح إسلام باذان فصالحه على ستمائة ألف.

وسيّر الأحنف سريةً فاستولت على رستاق بغ واستاقَ منهُ المواشي ثم صالحوا أهله.

واجتمع للأحنف أهل طخارستان، والجوزجان، والطالقان، والفارياب، ومَنْ حولهم في جمع عظيم واقتتلوا قتالاً شديداً فهزمهم المسلمون وفتحوا مدنهم.

ثم سار الأحنف إلى بلخ فصالحه أهلها على أربعمائة ألف درهم، ثم سار إلى خوارزم وهي على نهر جيحون فلم يقدر على أهلها فعاد إلى بلخ وقد قبض أسيد صلحها.

ولما تَمّ لابن عامر هذا الفتح قال له الناس : ما فُتِحَ لأحد ما فتح عليك فارس، وكرمان ، وسجستان ، وخراسان فقال : لا جرم لأجعلنَّ شكري لله على ذلك أنْ أخرُجَ محرِماً من موقعي هذا فأحرم بعمرةٍ من نيسابور . واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم(١).

فتح كرمان

وقتها: السنة الحادية والثلاثون للهجرة.

موقعها : كرمان.

قادتها : مجاشع بن مسعود السُّلمي .

أحداثها

أسند عبدالله بن عامر إلى مجاشع بن مسعود السُّلمي فتح كرمان وكان أهلُها قد نكثوا وغدروا فسار حتى أتى هميد فافتتحها عنوةً واستبقى أهلها وأعطاهم أماناً وبنى بها قصراً يعرف بقصر مجاشع، ثم أتى السيرجان وهي مدينة كرمان فأقام عليها أياماً يسيرةً وأهلها متحصنون ، ثم خرجت له خيلٌ فقاتلهم وتمكن من فتحها عنوةً، ثم أن كثيرًا من أهلِها جلوا عنها ، وفتح جيرفت عنوةً .

ثم سار في نواحي كرمان ومدنها وقراها فدوّخ أهلها ثم افتتح تلك المدن وقد هرب كثيرٌ من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وأتى بعضهم

---

(١) - ابن الأثير ج٣ ص١٢٤ ، الطبري ج٤ ص٣٠١.

سجستان فاقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فغمروها واحتفروا القنوات في مواضعها وأدوا العُشْر منها .

فتح سجستان وكابل

وقتها : السنة الحادية والثلاثون للهجرة.

موقعها : سجستان - كابل .

قادتها : الربيع بن زياد الحارثي.

أحداثها

سار الربيع بن زياد إلى فتح سجستان ، فأتى حسن زالق وأغار على أهلِهِ في يوم مهرجان فأخذ دهقانه فافتدى نفسهُ بأن ركز عنزة (أطول من العصر وأقصر من الرمح) ثم غمرها ذهباً وفضةً وصالحه على حقنِ دمهِ وعلى مثل صلح فارس، ثم أتى قريةً يقالُ لها، كركويه على خمسة أميال من زالق فصالحه أهلُها ، ثم أتى مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله أهلُها وأُصيب رجالٌ من المسلمين ، ثم انهزم أهلُها وقتل منهم مقتلةً عظيمةً.

ثم أتى ناشروذ ففتحها، ثم زرنج فقاتله أهلُها فهزمهم وصالحه مرزبانهم على مالٍ كثيرٍ ودخل المسلمون المدينة ، ثم أتى واد سناروز فعبره وأتى القريتين وهناك مربط فرس رستم فقاتله أهلُها فظفر بهم وعاد إلى زرنج، وأقام بها سنةً وقيل سنتين ثم استخلف عليها عاملاً من بني الحارث بن كعب وعاد إلى ابن عامر إلا أن أهل زرنج ثاروا على العامل وأخرجوه وامتنعوا .

فولّى ابن عامر عليها عبدالرحمن بن سمرة فخرج إليهم وحاصر زرنج فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وغلب عبدالرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند.

ثم غلب من ناحية الرُّخج على ما بينه وبين بلاد الدوان فلما انتهى إلى بلاد الدوان حاصرهم في جبل الزور ثم صالحهم فكانت عدة مَنْ معه من المسلمين ثمانية آلافٍ فأصاب كلٌّ منهم أربعة آلافٍ ودخل على الزور وهو صنمٌ من ذهبٍ وعيناه ياقوتتان فقطع يدَه وأخذ الياقوتتين، ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر ، وإنما أردتُ أن أعلمك أنه لا يضرّ ولا ينفع ثم قدم على كابل وزابلستان ففتحهما وهما بولاية غزنة ثم عاد إلى زرنج فأقام بها. حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها أمين بن أحمر وانصرف فعاد القوم إلى العصيان.

غزوة بلنجر

وقتها : السنة الثانية والثلاثون.

موقعها : بلنجر (مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب).

قادتها : عبدالله بن حازم.

أحداثها

ذكرنا سابقاً وصولَ المسلمين إلى بابِ الأبوابِ، وتكررت غزواتهم على الترك حتى اعتقدوا أنّ العرب لا يموتون فكانوا يقولون : إنّ هؤلاء لا يموتون، ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا .

ثم قالوا : أفلا تجرِّبون . وكمنوا لهم في الغياض ، فمرّ بالكمين نفرٌ من الجند فرموهم فقتلوهم فتبين لهم أنّ العرب يموتون كغيرهم وتنادوا بذلك حتى اجترأوا على المسلمين وأوقعوا بهم.

ولما غزاهم عبدالرحمن بن ربيعة اجتمعت عليه الترك والخزر وقاتلوه قتالاً شديداً حتى استشهد فأخذ الرايةَ أخوهُ و لم يزل يُقاتِل حتى أمكنه دفْنَ أخيه بنواحي بلنجر وكان يقال لعبدالرحمن: ذو النور وهو اسمُ سيفِهِ فأخذ أهل بلنجر جسده وجعلوه في تابوت فهم يستسقون به.

أما المسلمون فقد انهزموا وافترقوا فرقتين، فرقةٌ اتجهت نحو الباب وكان بها سلمان بن ربيعة فحماهم وأخرجهم وفرقةٌ اتجهت نحو جيلان وجرجان وفيها سلمان الفارسي وأبو هريرة.

ولما كانت السنة الثانية والثلاثون للهجرة . خرجت جموعٌ من الترك من ناحية خراسان في أربعين ألفا وعليهم قارن وهو من كبار قوّاد الفرس فانتهى إلى الطبسين واجتمع له أهل باذغيس وهراة وقهستان وكان على خراسان قيس بن الهيثم ومعه ابن عمه عبدا لله بن خازم.

فلما أقبلت جموعُ الترك قال قيس لابن خازم ما ترى ؟ قال: أرى أن تخرج من البلاد فإنّ عهد ابن عامر عندي بولايتها ، فترك منازعته وذهب إلى ابن عامر . وقيل أشار عليه أن يخرج إلى ابن عامر يستمدّه.

سار عبدا لله بن خازم إلى قارن في أربعةِ آلافٍ وأمر الناس فحملوا الودك (الدسم من اللحم والشحم) فلما قرب من قارن أمرَ الناس أن يربط كل رجل منهم على زج رمحه خرقة أو قطنا ثم يكثروا دهنَهُ، ثم سار حتى أمسى فقدّم مقدمته ستمائة ثم أتبعهم ، وأمر الناس فأشعلوا النار في أطراف الرماح فانتهت مقدمته إلى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم، وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات .

ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنةً ويسرةً تتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع فلا يرون أحداً فهالهم ذلك ، ومقدمة ابن خازم تقاتلهم ، ثم غَشِيَهُم ابن خازم بالمسلمين فقُتِل قارن وانهزم الترك فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا وأصابوا سبياً كثيراً وكتب ابن خازم بالفتح إلى ابن عامر فرضيَ وأقرّه على خراسان فلبثَ بها حتى انقضى أمر الجمل فأقبل الى البصرة.



عهد الخليفة علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

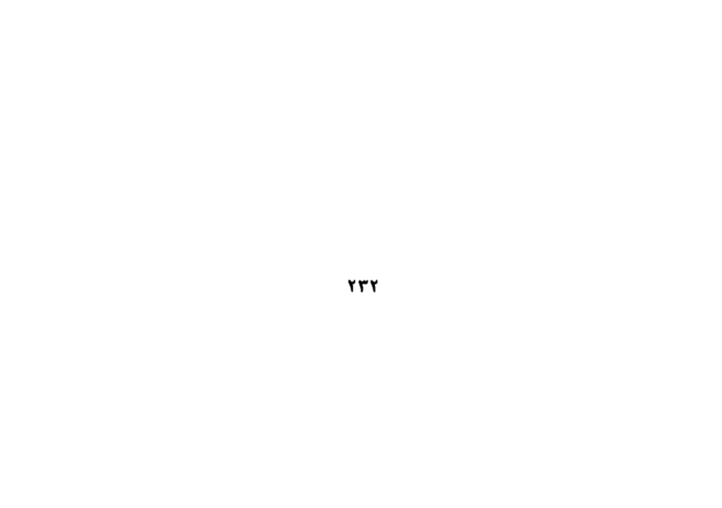
الفصل الأول

سيرته

الفصل الثاني

المعارك في عهد الخليفة علي بن أبي طالب

رضي الله عنه



۲۳۲

الباب الثالث

عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الفصل الأول

سيرته

نسبه

هو علي بن أبي طالب - واسم أبي طالب عبد مناف - بن عبدالمطلب - واسمه شيبة بن هاشم ، واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي ، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة . يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد المطلب ، الجد الأدنى وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهي أولُ هاشمية ولدت هاشمياً . أسلمتْ وتوفيتْ مسلمةً بالمدينة.

كنيته

لقب علي رضي الله عنه بأبي الحسن ، وأبي تراب وقد كنّاه النبي ﷺ بأبي تراب وذلك أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة فقال : أين ابن عمك؟ قالت : هو ذا مضطجعٌ في المسجدِ، فخرج النبي ﷺ فوجد رداءه قد سقط عن ظهره فجعل رسول الله ﷺ يمسحُ التراب عن ظهره ويقول: اجلس يا أبا تراب. فكان هذا الاسم أحبُّ الأسماءِ اليه. وكنّاه رسول الله ﷺ بأبي الريحانتين.

عن جابر بن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب : سلام عليك يا أبا الريحانتين ، فعَنْ قليلٍ يذهب ركناك والله خليفتي عليك، فلما قُبِضَ

رسول الله ﷺ قال علي : هذا أحدُ الرُكنين الذي قال ﷺ . فلما ماتت فاطمةُ قـال: هذا الركن الآخر الذي قال ﷺ . (أخرجه أحمد في المناقب)[1] .

صفته

كان عليّ رضي الله عنه آدم شديد الأدمة [2] ، ثقيل العينين عظيمهما، أقرب إلى القصر من الطول ، ذا بطـنٍ، كثيَر الشعرِ، عظيـمَ اللحيـة، أصلـعَ، أبيـضَ الـرأسِ واللحيةِ لم يصفه أحدٌ بالخضاب إلا سوادة بن حنظلـة فإنـه قـال : رأيـت عليـا أصفـر اللحيةِ ، ويشبه أن يكون قد خضّب مرةً ثم ترك[3] .

مولده

ولد قبل الهجرة باحدى وعشرين سنـةً ، وقـد ضمّـهُ رسـول الله ﷺ إليـه حين أصابت قريش أزمةٌ شديدةٌ فأراد التخفيف عن ابي طـالب وكـان ذا عيـالٍ كثـيرٍ فقال لعمّه العباس : يا عباس إنّ أخاك أبا طالبٍ كثيرُ العيالِ ، وقـد أصـاب النـاس مـا ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله فـآخذ مـن بنيـه رجـلاً وتـأخذ رجلاً فقال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنّا نريد أنْ نخفّفَ عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهم أبو طالب: إذا تركتما لي عقيـلاً فاصنعـا مـا شئتما .

فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمّه إليه ، فلم يزل مـــع رسـول الله ﷺ حتـى بعثه الله نبياً فتابعه عليّ وآمن به وصدّقه.

---

(1) – الرياض النضرة في مناقب العشرة / ابي جعفر احمد الشهير بالمحب الطبري.

(2) – الأدمة : السمرة الشديدة.

(3) – صفة الصفوة لابن الجوزي ٣٠٨/١.

إسلامه

ولد علي رضي الله عنه داخل الكعبة وكرَّمَ الله وجهَهُ عن السجود للأصنام، ثم تربّى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية فعرفَ العبادةَ من صلاة النبي ﷺ وزوجته الطاهرة .

أسلم علي رضي الله عنه في نحو العاشرة من عمره وتبع رسول الله ﷺ في الوقت الذي أصَرَّ فيه كثيرٌ من أقربـاء رسول الله ﷺ على الشِرْكِ زمناً طويلاً منهم عقيل أخو علي وأحبّ اخوته إلى أبيه حارب عقيل المسلمين في بدرٍ ولم يُسْلِمْ وقد وقع في أسر النبي ﷺ وصحْبِهِ، وافتداهُ عمّه العباس وخرج من الأسْر وهو على دينه ثم أسلم بعد صلح الحديبية.

ملأ الدينُ قلبَ عليّ رضي الله عنه ولم ينازعه فيه منازعٌ من عقيدةٍ سابقةٍ، فكان إسلامه صادقاً نقياً عميقاً، صدقَ في عبادته وعِلْمِهِ وعَمَلِهِ فكان عابداً يشتهي العبادةَ يريح نفسه بها فقيهاً قاضياً [1] .

أزواجه وأولاده

كانت أول زوجةٍ تزوجها عليّ رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها حتى توفيتْ عنده، وكان لها منه من الولْدِ : الحسن والحسين ويذكر أنه كان لها منه ابن آخر يسمى محسناً توفي صغيراً، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى.

ثم تزوج بعدئذ أم البنين بنت حزام وهو أبو المجل بن خالد بن ربيعة فَوُلِدَ لها منه العباس ، وجعفر ، وعبدالله ، وعثمان قتلوا مع الحسين بكربلاء ولا بقية لهم غير العباس.

وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك فولدت له عبيدالله وأبابكر.

---

(١) - بتصرف من موسوعة العقاد – العبقريات الاسلامية ٢/٧٠٩

وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمد الأصغر وذُكر أنّه لا عقب لهما.

وله أم ولد هي الصهباء - وهي أم حبيب بنت ربيعة من السبي الذين أصابهم خالد بن الوليد حين أغار على عين التمر ، وَلَدَتْ له عُمر ورقية.

وتزوج أُمامة بنت أبي العاصي بن الربيع بن عبدالعزى وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ فولدت له محمد الأوسط.

وله محمد بن علي الأكبر الذي يقال له : محمد بن الحنفية ، أمه خولة بنت جعفر بن قيس .

وتزوج أم سعيد بنت عروة بن مسعود فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى.

وكان له بنات من أمهات شتّى لم يُسَمّ لنا أسماء أمهاتهن منهن أم هانئ ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى وفاطمة، وأمامة، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ،وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة .

وتزوج محيّاة بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس فولدت له جاريةً هلكت وهي صغيرة.

فجميع وشلد علي لصلبه أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة امرأةً[1] .

صحبته لرسول الله ﷺ

تربى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كنفِ رسول الله ﷺ وهو دون العاشرة من عمره ، وذلك عندما أصاب الناسَ أزمةٌ شديدة فأخذه رسول الله ﷺ من عمّه "أبو طالب" وضمّه إليه وبقي معه حتى البعثة حيث كان علي رضي الله عنه أول الصبيان إسلاماً.

---

(١) - تاريخ الطبري ١٥٣/٥.

ولما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة نام علي بن أبي طالب في فراشِهِ ليلةَ الهجرة مع عِلْمِهِ أن البيت محاطٌ بأربعين شابا مسلحين بالسيوف جاهزين للانقضاض على الراقِدِ على ذلك الفراش فكان رضي الله عنه أول فدائي في الاسلام.

وبقي عليّ رضي الله عنه بعد هجرة رسول الله ﷺ في مكة يؤدي ما عليه من أماناتٍ ويدفع ما عنده من ودائع لأصحابها ثم هاجر إلى المدينة.

كما شهد علي رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كل الغزوات عدا غزوة تبوك حيث بقي في المدينة بأمر رسول الله ﷺ مستخلَفاً عليها وقد قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله ﷺ :" أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبيَ بعدي".

وكان كاتب رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً فقال : يا رسول الله بعثني وأنا شابٌ أقضي بينهم ولا أدري ما القضاءُ ، فضرب صدري بيده ثم قال : " اللهم اهدِ قلبَه وثبّتْ لسانَه" فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاءٍ بين اثنين.

وقد بقي عليّ رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ يتعلم منه ويتفقه على يديه حتى انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى.

شجاعته ومشاركته في معارك الإسلام

تدل أخبار علي كما تدل صفاته على أنه صاحب قوة جسدية بالغةٍ فربما رفع الفارس بيده فجلد به الأرضَ غيرَ جاهدٍ ولا حافلٍ، ويمسك ذراع الرجل فكأنما أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس . اشتهر عنه أنه لم يصارع أحداً إلا صرعه ولم يبارز أحداً إلا قتله .

وكان إلى قوته البالغة شجاعاً جريئاً لا يهابُ الموت شارك في معارك الإسلام وتصدى للمتكبرين المغرورين من أعداء الإسلام وبارزهم وصرعهم.

ومن أهم الغزوات التي شارك فيها :

غزوة بدر

كانت المبارزةُ أولَ شيءٍ بدئ فيه من القتال يوم بدر كما هي عـادة الجيـوش عندما تلتقي في ذلك الوقت، كما جرت العادة أن لا يخرج للمبارزة إلا قـادة الجيـوش والشجعان من الرجال وهذا ما حصل في بدر، فقد خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة ابن ربيعة وابنهِ الوليد بن عتبة حتى إذا فُصِلَ من الصـف دعـا إلى المبـارزة فخـرج إليـه فتيةٌ من الأنصار ثلاثةٌ وهم: عوف، ومعوذ أبناء الحارث وأمهمـا عفـراء ورجـلٌ آخـر يقال هو عبدا لله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟

فقالوا :رهطٌ من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم حاجة.

ثم نادى مناد بهم: يا محمد أخرج إلينا أكفّاءنا من قومنا .

فقال رسول ا لله ﷺ :" قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يـا علـيّ" فلما قاموا ودنوا منهم:

قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقـال علـيّ: علـيّ.

قالوا : نعم أكفّاء كرام.

فبارز عبيدة وكان أَسَنُّ القوم ، عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بـن ربيعـة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة فقتله ، وأما عليّ فلـم يمهـل الوليـد فقتلـه واختلـف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه وكَرَّ حمزة وعلي بأسـيافهما علـى عتبة فدفّفا عليه – أي أسرعا في قتله– واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه[1]

غزوة أُحُد

ولما اشتد القتال يوم أُحُد ، جلـس رسول ا لله ﷺ تحت راية الأنصار وأرسل

(١) – تهذيب سيرة ابن هشام / عبدالسلام هارون ١٦٠، غزوة بدر – أحمد باوزير ٢٠٢.

إلى علي بن أبي طالب : أن قدِّم الراية فتقدم عليّ فقال: أنا أبـو القُصـم[1] فنـاداه أبـو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يـا أبـا القُصـم في الـبراز من حاجة؟

قال : نعم.

فبرز بين الصفين فاختلفا ضربتين ، فضربه عليّ فصرعه ثـم انصـرف عنـه و لم يجهز عليه . فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه؟ قال : إنه استقبلني بعورته فعطفتـني عنه الرحم، وعرفتُ أن ا لله عز وجل قد قتله[2] .

غزوة الخندق

حاصر مشركو مكة ومن حالفهم المسـلمين في المدينـة يفصـل بينهـم الخنـدق الذي حفره المسلمون بمشورة سلمان الفارسي . ثم تيمم بعض المشركين معهم عمرو بن عبد ود مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحموه. ونادى عمرو من يبارز؟

فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنك كنت قـد عـاهدت ا لله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين إلا أخذتها منه. قـال لـه : أجـل ! قـال: فإني أدعوك إلى ا لله ورسوله وإلى الإسلام. قال : لا حاجـة لي بذلـك . قـال : فـإني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يا ابن أخـي ؟ فـوا لله مـا أُحِـبُّ أنْ أقتلـك . قـال لـه عليّ: لكني وا لله أُحِبُّ أن أقتلك ! فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عـن فرسـه فعقـره وضرب وجهه ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا . فقتله عليّ رضي ا لله عنه.وخرجت خيلُهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربةً [3] .

---

(1) القصم : الدواهي : واحدتها قصمى، وإنما قال ذلك ردا على قول أبي سعد: أنا قاصم من يبارزني.

(2) – تهذيب سيرة ابن هشام / عبدالسلام هارون ١٨٢.

(3) – تهذيب سيرة ابن هشام ٢١٧.

غزوة بني المصطلق

شارك علي بن أبي طالب في هذه الغزوة وقتلَ منهم رجلين مالِكاً وابنه.

غزوة خيبر

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برايته إلى بعض حصون خيبر فقاتل ولم يك فتحٌ، وقد جهدَ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتحٌ وقد جهدَ.

فقال رسول الله ﷺ :" لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار . فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه وهو أرمد فتفل في عينه ثم قال : خذ هذه الراية فامضي بها حتى يفتحَ الله عليك.

فخرج حتى ركز رايته على حجارةٍ تحت الحصن فما رجع حتى فتح الله على يديه[1] .

معركة حنين

وفي معركة حنين لما حمي الوطيس بين المسلمين وقبائل هوازن وثقيف تقدّم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ومعه رجلٌ من الأنصار إلى حامل راية الأعداء فضرب عليّ عرقوبي جَمَلِهِ فوقع على عَجْزِهِ ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربةً أطارت نصفَ ساقِهِ.

واجتلد الناس حتى انتصر المسلمون.

وفي معركة الجمل : كان عليّ رضي الله عنه صاحب مروءةٍ فأبى على جُنْدِهِ وهم ناقمون أن يعتلوا مُدْبراً أو يُجهزوا على جريحٍ أو يكشفوا ستراً ، أو يأخذوا مالاً.

وصلّى في وقعة الجمل على القتلى من أصحابه ومن أعدائه على السواء[2] .

---

(١) - المرجع السابق ٢٦٣.

(٢) - مجموعة العبقريات الإسلامية - عباس العقاد ٢/٦٩٢

وفي صفين

خرج رجلٌ من أصحاب معاوية يسمى كريز بن الصباح الحميري فصاح بين الصفّين: من يبارز ؟

فخرج إليه رجل من أصحاب عليّ فقتله . ووقف عليه ونادى : من يبارز؟ فخرج إليه آخرُ فقتله وألقاه على الأول . ثم نادى : من يبارز ؟ فخرج إليه الثالثُ فصنع به صنيعه بصاحبه ثم نادى رابعةً: من يبارز؟

فأحجم الناس ورجع من كان في الصف الأول إلى الصف الذي يليه وخاف علي أن يشيع الرعب بين صفوفه.

فخرج إلى ذلك الرجل المدّل بشجاعته وبأسه فصرعه ثم نادى نداءه حتى أتمّ ثلاثة صنع بهم صنيعه بأصحابه ثم قال مُسْمِعاً الصفوف : يا أيها الناس : إنّ الله عز وجل يقول : ﴿ **الشَهْرُ الحَرامِ بِالشَهرِ الحَرامِ ، وَالحُرُمَاتُ قِصَاص** ﴾ . ولو لم تبدؤونا ما بدأناكم ، ثم رجع مكانه[1] .

صحبته للخلفاء

أخرج ابن عساكر عن الحسن عن علي رضي الله عنه قال : لما قَبَضَ الله نبيّهُ ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله ﷺ لديننا ، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهي أمير الدين ، وقوام الدين فبايعنا أبا بكرٍ وكان لذلك أهلاً ، لم يختلف عليه مِنّا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ولم تقطع منه البراءة ، فأديت إلى أبي بكر حقّه وعرفتُ له طاعته وغزوتُ معه في جنوده، وكنتُ آخذُ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني وأضرِبُ بين يديه الحدود بسوطي .

فلما قُبِضَ تولاها عمر ، فأخذها بسنة صاحِبِهِ وما يعرفُ من أمْرِهِ فبايعنا عمر، ولم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعضٍ ولم تقطع منه البراءة،

---

(١) - المرجع السابق ٢/٦٩١.

فأديتُ إلى عمر حقَّهُ، وعرفت له طاعته، وغـزوتُ معه في جيوشِهِ وكنـت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما قُبض تذكرت في نفسي قرابتي، وسابقتي وسالفتي وفضلـي وأنـا أظنُّ أن لا يُعدَلَ بي، ولكن خشي أن لا يعمل الخليفةُ بعده ذنبا إلا لحقه في قبره فـأخرج منهـا نفسَهُ وولده ولو كانت محاباةً منه لآثر بها ولده ، فبرئ منها إلى رهطٍ من قريشٍ سـتة أنا أحدهم فلما اجتمع الرهطُ ظننـتُ أن لا يعدلوا بـي فـأخذ عبدالرحمن بن عـوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاّه الله أمْرَنا ثم أخذ بيد عثمان بن عفان وضـرب بيده على يده فنظرتُ في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أُخِذَ لغـيري فبايعنا عثمان فأديتُ له حقَّه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .[1]

دفاعه عن أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

عن سويد بن غفلة قال : مررتُ بقـومٍ يذكرون أبـا بكـر وعمـر رضـي الله عنهما ينتقصونهما ، فأتيتُ علياً رضي الله عنه فذكرتُ له ذلك فقـال: لَعَنَ الله مـن أضمر لهما إلا الحسـن الجميل، أخوا رسول الله ﷺ ووزيراه ! ثم صعد المنبر فخطب خطبةً بليغة فقال :

ما بالُ أقوامٍ يذكرون سيِّدي قريش وأبوي المسلمين بمـا أنـا عنـه متنزه، ومما يقولون بريءٌ وعلى ما يقولون معاقبٌ؟ والذي فلق الحبة وبرأ النسـمة! إنـه لا يحبهمـا إلا مؤمنٌ تقيٌ ولا يبغضهما إلا فاجرٌ رديءٌ ، صحبا رسول الله ﷺ بالصدق والوفاء، يأمران وينهيان ويعاقبان فما يجاوزان فيمـا يصنعان رأيَ رسـول الله ﷺ ، ولا يرى رسول الله ﷺ كرأيهما رأياً ولا يحب حبهما حباً .

(1) - تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧٧.

مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض والناس راضون ثم ولّي أبو بكر الصلاةَ فلمـــا قَبَض الله نبيه ﷺ ولاّه المسلمون ذلك وفوّضوا إليه الزكاةَ لأنهما مقرونتان . وكنت أول من يسمى له من بني عبدالمطلب وهو لذلك كارهٌ يودُ أن بعضنا كفاه فكان والله خير من بقي أرأفه رأفة وأرحمه رحمةً وأكيسه ورعاً وأقدمه إسلاماً شبهه رسول الله بميكائيل رأفةً ورحمةً وبإبراهيم عفواً ووقاراً ، فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى قبض - رحمه الله تعالى.

ثم وَلِيَ الأمرَ من بعده عمر بن الخطاب واستأمرَ في ذلك الناسَ فمنهم مَنْ رضي ومنهم من كَرِهَ فكنتُ ممن رضي . فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهاً فأقام الأمـــر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله خير مَنْ بقي رفيقاً رحيماً وناصرَ المظلوم على الظالم.

ثم ضرب الله بالحق على لسانه حتى رأينا أنّ ملكاً ينطق على لسانه ، وأعزّ الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قواماً وقذف في قلوب المؤمنين الحبَّ له وفي قلوب المنافقين الرهبةَ منه ، شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء وبنوح حنقاً ومغتاظاً على الكافرين فمن لكم بمثلها ؟ لا يبلغ مبلغهما إلا بالحبِّ لهما واتباع آثارهما فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني وأنا منه بريء . ولو كنتُ تقدمتُ في أمرها لعاقبتُ أشد العقوبة، فمن أتيت به بعد مقامي هذا فعليه ما على المفتري. ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ثم الله أعلم بالخير أين هو، أقول قولي هذا ويغفر الله لي ولكم[1] .

وعن علي بن الحسين قال : قال فتىً من بني هاشم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حين انصرف من صفّين : سمعتك تخطب يا أمير المؤمنين في الجمعة ! تقول: اللهم أصلحنا بما أصلحتَ به الخلفاءَ الراشدين فمن هم ؟ فاغرورقت عيناه ثم قال:

---

(1) - حياة الصحابة - محمد الكاندهولي ٤٥٣/٢.

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إماما الهدى وشيخا الإسلام والمهتدى بهمـــا بعد رسول الله ﷺ من اتبعهما هدي إلى صراطٍ مستقيمٍ ومن اقتدى بهما يُرْشَدُ ومن تمسّك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون[1] .

مناقبه[2]

- قال رسول الله ﷺ لعليّ " أنت مني وأنا منك ".

- وقال عمر رضي الله عنه " توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ ".

- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه . قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال : أين علي بن أبي طالب؟

فقالوا : يشتكي عينيه يا رسول الله . قال: فأرسلوا إليه فأتوني به فلما جاء بصق في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية.

فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه ، فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم.[3]

- وعن عبدالعزيز بن ابي حازم عن أبيه " أنّ رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال : هذا فلان - لأمير المدينة - يدعو علياً عند المنبر قال : فيقول ماذا ؟ قال: يقول له أبو تراب ، فضحك.

قال : والله ما سّماه إلا النبي ﷺ ، وما كان له اسم أحب إليه منه.

---

(1) - المرجع السابق ٤٧٧/٣.

(2) - المرجع السابق .

(3) - المرجع السابق.

فاستطعمت الحديث سهلاً وقلت يا أبا عباس كيف ذلك؟

قال: دخل عليّ على فاطمة ، ثم خرج فاضطجع في المسجد.

فقال النبي ﷺ : أين ابن عمك؟ قالت : في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول : اجلس يا أبا تراب. مرتين"(١).

– وعن شعبة عن سعد قال : سمعت إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: " قال النبي ﷺ لعليّ : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟(٢) .

وذكر مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبي بعدي)(٣) .

– وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُم ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً ، وفاطمة وحسناً ، وحسيناً فقال: "اللهم هؤلاء أهلي "(٤)

– وأخرج الترمذي عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم، عن النبي ﷺ قال:"من كنتُ مولاه فعليّ مولاه"وأخرج أحمد بسندِهِ هذا الحديث بزيادة" اللهم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه".(٥)

– وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عن حبشي بن جنادة ، قال : قال رسول الله ﷺ :" عليّ مني وأنا من عليّ ".(٦)

---

(١) – صحيح البخاري (فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٧٠/٧.

(٢) – المرجع السابق ص٧١.

(٣) – جامع الأصول ٦٤٩/٨.

(٤) – صحيح البخاري (فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٧٠/٧).

(٥) – المرجع السابق .

(٦) – المرجع السابق .

- وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال : آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء عليّ تدمعُ عيناه ، فقال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحدٍ ، فقال رسول الله ﷺ : (أنت أخي في الدنيا والآخرة)[1].

- وأخرج مسلم عن عليّ قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة [2] إنه لعهد النبي الأمي إلي أنّه لا يحبني إلا مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافقٌ.

- وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري ، قال : إن كنا لنعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم علي بن أبي طالب [3] .

- وأخرج أبو يعلي والبزاز عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ " من آذى علياً فقد آذاني"[4] .

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أنّ النبي ﷺ قال لعليّ " أشقى الناس رجلان : أحيمر ثمود الذي عقرَ الناقةَ ، والذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه - من الدم - يعني لحيته.[5]

- أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " بُعِثَ رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلّى علي يوم الثلاثاء - أخرجه الترمذي - إسناده ضعيف [6] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه " أن معاوية بن أبي سفيان أمر سعداً، فقال: ما يمنعك أن تسُبّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسُبَّهُ، لأنْ تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حُمر النعم، سمعت رسول

---

(1) - تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٦٩ ، ١٧٠ ، جامع الأصول ٦٤٩/٨ قال الترمذي حديث حسن غريب .

(2) برأ النسمة : خلق كل ذي روح.

(3) - جامع الأصول ٦٥٦/٨.

(4) - تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧٢.

(5) - المرجع السابق ١٧٣.

(6) - جامع الأصول ٦٤٨/٨.

ا لله ﷺ يقول له- وقد خلّفه في بعض مغازيه- فقال له علي: يا رسول الله، خلفتني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول ا لله ﷺ :أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ ا لله ورسوله، ويحبه ا لله ورسوله، قال: فتطاولنا، فقال: ادعوا لي علياً، فأتي به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح ا لله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿ نَدْعُ أَبنَاءَنا وَأَبْنَاءكُم ﴾[1] دعا رسول ا لله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاءِ أهلي"أخرجه مسلم والترمذي[2].

وعن حبشي بن جنادة رضي ا لله عنه أنّ النبي ﷺ قال : "علي مني، وأنا من عليّ ، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو عليّ "أخرجه الترمذي [3].

وعن بريدة رضي ا لله عنه قال : " خطب أبو بكر وعمر فاطمة ، فقال رسول ا لله ﷺ : إنها صغيرة ، فخطبها عليّ، فزوجها منه"أخرجه النسائي[4] .

زهده وورعه

كان علي رضي ا لله عنه زاهداً في الدنيا متعلقا بالآخرة ومن أقواله في ذلك وهو يحدث المسلمين :

ألا وإنّ الدنيا قد ارتحلتْ مُدبرةً وإنّ الأخرةَ قد أتَتْ مقبلةً ولكلٍّ واحدةٍ منها بنون. فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .

ألا وإن الزاهدين في الدنيا قد اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً.

---

(1) – آل عمران : ٦١.

(2) – جامع الأصول ٦٥١/٨.

(3) – المرجع السابق ٦٥٢/٨حديث ٦٤٩٣.

(4) – المرجع السابق ٦٥٨/٨ حديث ٦٥٠٣.

ألا وإن من اشتاق إلى الآخرة ، سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار، رجع عن المحرمات ومن طلب الجنة ، سارع إلى الطاعات ومن زهد الدنيا، هانت عليه مصائبها.

ألا وإن لله عباد، شرورهم مأمونة .. وقلوبهم محزونة أنفسهم عفيفة، وحوائجهم حفيفة صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة.

إذا رأيتهم في الليل رأيتهم صافّين أقدامهم، تجري دموعُهُم على خدودِهم .. يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم وأما نهارهم فظمّاء حُلَماء ، بررة، أتقياء.(١)

لقد جاهد رضي الله عنه من أجل هذا الدين وترك الدنيا وراءه ظهرياً ولما نزل الكوفة أبى أن ينزل قَصْرَ الإمارة وآثر الأرض الخلاء.

ومن أجل هذا لبس رضي الله عنه الثوب الخشن وكان يقول: هذا الثوب يصرف عني الزهو ويساعدني على الخشوع في صلاتي.. وهو قدوة صالحة للناس كي لا يسرفوا ويتبذخوا ثم يتلو الآية القرآنية : **﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرة نجعَلُها للَّذِين لاَ يُرِيْدُون عُلُّوا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِين ﴾**.

وعن عبدالله بن شريك عن جدّه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أُتِيَ بفالوذج فوُضِعَ قدّامه بين يديه فقال : إنك طيّب الريح حسن اللون طيب الطعم ولكن أكره أنْ أعود نفسي ما لم تعتده (٢) .

– وأخرج البيهقي عن رجلٍ قال : رأيتُ على عليّ رضي الله عنه إزاراً غليظاً قال: اشتريته بخمسة دراهم، فمن أربحني فيه درهما بعتَهُ إياه(٣) .

---

(١) – خلفاء الرسول : خالد محمد خالد ٤٨١.

(٢) – حياة الصحابة – الكاندهلوي ٢/٢٧١.

(٣) – المرجع السابق ٢/٢٧١.

- وأخرج يعقوب بن سفيان عن مجمع بن سمعان التيمي قال : خرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بسيفه إلى السوق فقال: من يشتري مِنّي سيفي هذا ؟ فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزاراً ما بعتُه[1] .

وكانت معيشته في بيته بين زوجاته وأبنائه، معيشةَ الزهد والكفاف، وأوجز ما يقال فيها أنه كان يتفق له أن يطحن لنفسه وأن يأكل الخبز اليابس الذي يُكَسِّرُهُ على ركبته وأن يلبس الرداء الذي يرعِدُ فيه .[2]

جاءه ابن التياح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء . فقال : الله اكبر ، فقام متوكئاً على ابن التياح حتى قام على بيت المال وهو يقول: يا صفراء ، يا بيضاء ، غُرّي غيري هاء وهاء ، حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلّى فيه رَكعتين.

وأخرج ابن الجوزي عن أبي صالح قال : قال معاوية لضرار : صِفْ لي علياً. فقال: أوَ تعفيني . قال: بل تصفه. فقال: أوَ تعفيني . قال: لا أعفيك. قال: أما ولا بد فإنه كان والله بعيدَ المدى ، شديدَ القوى ، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العِلْمُ من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته . كان والله غزيرَ الدمعة ، طويل الفكرة، يُقَلِّب كَفَّه ويخاطب نفسه. يعجبه من اللباس ما خشُنَ ، ومن الطعام ما خشُنَ. كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه. إلى أن قال : لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه يقول : يا دنيا إليّ تعرضت أم بي تشوفت ؟ هيهات

---

(١) - المرجع السابق ٢/٢٧١.

(٢) - عبقرية علي - مجموعات العبقريات الإسلامية للعقاد - ٨٢١.

هيهات، غري غيري قد بتّك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطوك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال : فذرفت دموع معاوية، فما يملكها وهو ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء . ثم قال معاوية: رحم الله تعالى أبا الحسن، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ فقال: حزنُ من ذُبِحَ ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[1] .

علمه وفقهه

يعتبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أكثر الصحابة عِلْماً فعليّ الذي تربى مع الإيمان والعبادة والهدي بدأ وهو في السادسة من عمره يعيشُ مع رسول الله ﷺ يتلقى العلم منه ويتأدب على يديه ويتأثر بطهره وعظمة نفسه، ولما بلغ العاشرة كان الوحيُ قد نزل على رسول الله ﷺ يأمره بالدعوة إلى الله فكان علي رضي الله عنه من أوائل المستجيبين للدعوة.. طفولته بعيدة عن اللهو والعبث كيف لا وهو يتعلم من الصادق الأمين آيات بينات تُنيرُ القلبَ وتَبني الشخصية بناءً رجولياً. فحمل ذلك في قلبه ومضى زاهداً عالماً ورعاً ،وقد شهد له رسول الله ﷺ ، ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى : أنّ رسول الله ﷺ قال لابنته فاطمة " أما ترضين أن أُزَوِّجُكِ أقدم أمتي سلماً (إسلاماً) وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً"[2] .

وفي سنن الترمذي قول رسول الله ﷺ :" أنا دارُ الحكمة وعليّ بابُها"[3] .

ولذلك فقد عرف الصحابة قدر علي فكانوا لا يقطعون أمراً ذا بالٍ دون مشورته، فقد استشاره أبو بكر واستشاره عمر بن الخطاب وأكثر من مشورته واستشاره عثمان بن عفان ، ففي كنز العمال أن أبا بكر استشار علياً في أهل الردة

---

(1) - مختصر التحفة الاثنى عشرية / شاه عبدالعزيز الدهلوي ٢٨٢.

(2) - موسوعة فقه علي بن أبي طالب / محمد قلعه جي ٥.

(3) - المرجع السابق ٦.

فقال له علي : إنّ الله جمع بين الصلاة والزكاة ولا أرى أنْ تفرق بينهما ، عند ذلك قال أبو بكر : لو منعوني عقالا لقاتلتهم عليه كما قاتلهم رسول الله ﷺ .

وكان رضي الله عنه لا يجامل في الحدّ أحداً.

فقد أتى رجل إلى عليّ فقال : يا أمير المؤمنين : والله إني لأحبك في الله فقال: ولكني أبغضك في الله قال : ولم ذاك ؟

قال : لأنك تتغنى بأذانك وتأخذ على تعليم القرآن أجراً وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: " من أخذ على تعليم القرآن أجراً كان حظّه يوم القيامة"[1].

من مواعظه

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال عمر لعليّ رضي الله عنهما : عِظْني يا أبا الحسن قال : لا تجعل يقينك شكاً ولا علمك جهلاً ولا ظنك حقاً واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت وقسّمتَ فسويتَ ولبست فأبليتَ ، قال : صدقتَ يا أبا الحسن.

وأخرج البيهقي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إنْ سَرّك أن تلحق بصاحبيك فاقصر الأمل وكل دون الشبع واقصر الأزار وارقع القميص واخصف النعل تلحق بهما[2] .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن علي رضي الله عنه قال : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وتباهي بعبادة ربك، فإنْ أحسنتَ حمدتَ الله وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين:

---

(١) - المرجع السابق ١٧.

(٢) - حياة الصحابة.

رجل أذنب ذنبا فهو تدارك ذلك بتوبته أو رجلٌ يسارع في الخيرات ، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل "[١] .

وأخرج ابن عساكر عن عقبة عن ابن أبي الصهباء قال: لما ضَربَ ابنُ ملجم علياً رضي الله عنه دخل عليه الحسن رضي الله عنه وهو باكٍ فقال له: ما يُبكيك يا بني ؟ قال: ومالي لا أبكي وأنتَ في أول يوم من الآخرة وآخر يومٍ من الدينا ؟

فقال : يا بني ! احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن قال: وما هن يا أبت؟

قال: إنّ أغنى الغنى العقلُ ، وأكبر الفقرِ الحمقُ ، وأوحشَ الوحشةِ العجب، وأكرمَ الكرمِ حسنُ الخلُق .

قال : قلت : يا أبتِ ! هذه الأربع فأعلِمني الأربع الأخرى قال : وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه.[٢]

قضاؤه

اشتهر الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالقضاء ولما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضيا وهو شاب لا يدري ما القضاء دعا له رسول الله ﷺ فقال: " اللهم اهد قلبه وثبّت لسانه ".

قال علي : فوالذي فلق الحبة ما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين.

---

(١) – المرجع السابق.

(٢) – المرج السابق ٣/٥٠٦

ومن أمثلة أقضيته

جلس اثنان يتغديان ، ومع أحدهما خمسة أرغفةٍ والآخر ثلاثة أرغفة وجلس إليهما ثالثٌ واستأذنهما في أن يصيبَ من طعامهما فأذنا له فأكلوا على السواء ثم ألقى إليهما ثمانية دراهم وقال : هذا عوض ما أكلت من طعامكما، فتنازعا في قسمتها.

فقال صاحبُ الخمسة : لي خمسةٌ ولك ثلاثةٌ وقال صاحب الثلاثة بل نقسمها على السواء.

فترافعا إلى علي رضي الله عنه فقال لصاحب الثلاثة : اقبل من صاحبك ما عرض عليك .

فقال عليّ : لك في مر الحق درهم واحد وله سبعة دراهم.

فقال الرجل : سبحان الله : قال : هو ذلك.

فقال فعرّفني الوجه في مر الحق حتى أقبله.

فقال عليّ : أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل ؟ فتحملون في أكلكم على السواء:

قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، وإنما لك تسعةُ أثلاثٍ.

وأكل صاحبك ثمانيةَ أثلاثٍ وله خمسة عشر ثلثاً، أكل منها ثمانية وبقي له سبعة أكلها صاحب الدراهم وأكل لك واحداً من تسعة فلك واحدٌ بواحدك وله سبعة.

فقال الرجل : رضيت (١) .

ومن قضاياه في اليمن

أن أربعةُ وقعوا في حُفرةٍ حُفِرَتْ لِيُصطاد فيها الأسد، سقط أولاً رجلٌ فتعلق بآخر وتعلق الآخر بآخر حتى تساقط الأربعة فجرحهم الأسد وماتوا من جراحته.

---

(١) – تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٨٠.

فتنازع أولياؤهم حتى كادوا يقتتلون ، فقال علي : أنا أقضي بينكم فإن رضيتم فهو القضاء . وإلا حجزت بعضكم عن بعض حتى تأتوا رسول الله ﷺ ليقضي بينكم.

اجمعوا من القبائل التي حفروا البئر ربع الديّة وثلثها ونصفها ودية كاملةً: فللأول ربع الدية لأنه أهل من فوقه ، وللرابع الدية الكاملة ، فأبوا أنْ يرضوا. فأتوا رسول الله ﷺ فلقوه عند مقام إبراهيم فقصّوا عليه القصةَ فقال: أنا أقضي بينكم واحتبي ببردة ، فقال رجلٌ من القوم: إن عليا قضى بيننا فلما قصّوا عليه القصة أجازه.

بيعة علي بن أبي طالب

لما قُتِل عثمان بن عفان اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة[1] ، والزبير[2] فأتوا علياً فقالوا له : إنه لا بدّ للناس من إمامٍ.

قال : لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيتُ به .

فقالوا : ما نختارُ غيرَكَ .

وترددوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك : إنّا لا نعلم أحداً أحقُّ به منك ولا أقدم سابقةً ولا أقربُ قرابةً من رسول الله ﷺ .

فقال : لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خيراً من أن أكونَ أميراً .

فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

---

(1) – طلحة بن عبيد الله : يعرف بطلحة الفياض : أسلم على يدي ابي بكر الصديق ثم هاجر إلى المدينة، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرا فإنه كان بالشام في تجارة له، قتل يوم الجمل وعمره ستون عاما.

(2) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أسلم وعمره ١٥ سنة هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ صحب أبا بكر في خلافته ودافع عن عثمان في حصاره، قتل بعد معركة الجمل وهو راجع إلى المدينة.

قال : ففي المسجد ، فإنّ بيعتي لا تكون خفية ، ولا تكون إلا في المسجد وكان في بيته ، وقيل في حائط لبني عمرو بن مبذول فخرج إلى المسجد وعليه إزارٌ، وطاقٌ، وعمامةُ خزٍ ونعلاه في يده متوكئاً على قوسٍ فبايعه الناس .

وكان أولَ مَنْ بايعه من الناس طلحةُ بن عبيدا لله ، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال : إنّا لله أول من بدأ بالبيعة يد له شلاء[1] لا يتم هذا الأمر ، وبايعه الزبير، وقال لهما علي : إن أحببتما أن تبايعاني، وإن أحببتما بايعتكما ، فقالا : بل نبايعك، وقال بعد ذلك: إنما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا وعرفنا أنه لا يبايعنا ، وهربا إلى مكة بعد قَتْلِ عثمان بأربعة أشهرٍ وبايعه الناسُ .

وجاءوا بسعد بن أبي وقاص فقال علي: بايعْ فقال : لا حتى يبايع الناس، وا لله ما عليك مني بأس فقال : خلّوا سبيله.

وجاءوا بابن عمر فقالوا : بايعْ قال : لا . حتى يبايع الناس .

قال: ائتني بكفيلٍ، قال: لا أرى كفيلاً، قال الأشتر: دعني أضرب عنقه. قال علي: أنا كفيله، إنك ما علمت لسيء الخلق صغيراً وكبيراً وبايعت الأنصار إلا نفراً يسيراً.

أما على قول من قال : إنّ طلحة والزبير بايعا كرها فقال: إن عثمان لما قتل بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، ووجدوا طلحة في حائط له ووجدوا سعداً والزبير قد خرجا من المدينة، ووجدوا بني أمية قد هربوا إلا من لم يُطقْ الهرب، وهرب سعيد والوليد ومروان إلى مكة وتبعهم غيرهم.

فأتى المصريون علياً فباعدهم ، وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم وأتى البصريون طلحة فباعدهم ، وكانوا مجتمعين على قَتْلِ عثمان مختلفين فيمن يلي الخلافة.

---

(١) - شلت يده عندما وقى بها رسول الله ﷺ

فأرسلوا إلى سعد يطلبونه فقال: إني وابن عمر لا حاجة لنا فيها . فأتوا ابن عمر فلم يجبهم فبقوا حيارى .

قال بعضهم : لئن رجع الناس إلى أمصارهم بغير إمام لم نأمن الاختلاف وفساد الأمة فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم : يا أهل المدينة : أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الإمامة وحكمكم جائزٌ على الأمة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تُبَّعٌ وقد أجلناكم يومكم. فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا علياً ، وطلحة والزبير وأناساً كثيراً.

فغشي الناس علياً فقالوا : نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من بين القرى[1] .

فقال عليّ : دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلوا أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول .

فقالوا : ننشدك الله ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى الإسلام، ألا ترى الفتنة، ألا تخاف الله ؟

فقال : قد أجبتكم واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وإنْ تركتموني فأنا إنما كأحدكم إلا أني من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه ، ثم افترقوا على ذلك ، واتعدوا الغد.

وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت، فبعث البصريون إلى الزبير حكيم بن جبلة وقالوا : احذر لا تحابه ومعه نفر فجاءوا به يحدونه بالسيف فبايع وبعثوا إلى طلحةَ الأشتَر ومعه نفرٌ فأتى طلحة فقال ؛ دعني أنظر ما يصنع الناس فلم يدعه فجاء به يتلّه تلاً عنيفاً وصعد المنبر فبايع وكان الزبير يقول: جاءني لصٌ من لصوص عبدالقيس فبايعتُ والسيفُ على عنقي وأهل مصر فرحون بما

---

(1) - من ذوي القربى (الطبري).

اجتمع عليه أهل المدينة وقد خشع أهل الكوفة والبصرة أن كانوا أتباعاً لأهل مصر وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً.

ولما أصبحوا يوم البيعة - وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء علي فصعد المنبر وقال : أيها الناس عن ملأ وأذن إنّ هذا أمْركُم ليس لأحَدٍ فيه حق إلا من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمرٍ وكنتُ كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي دونكم إلا مفاتيح مالكم معي وليس لي أن آخذ درهماً دونكم فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا آخذ فقالوا : نحن على ما فارقناك عليه بالأمس.

فقال : اللهم اشهد.

ولما جاءوا بطلحة ليبايع قال : إنما أبايع كُرهاً فبايع ، وكان به شَلَلٌ، فقال رجل يعتاف: إنّا لله وإنا إليه راجعون ، أول يدٍ بايعت يدٌ شلاّء لا يتم هذا الأمر.

ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع - وفي الزبير اختلاف- ثم جيء بعده بقومٍ كانوا قد تخلّفوا فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم.

ثم قام العامة فبايعوا ، وصار الأمر أمر أهل المدينة وكأنهم كما كانوا فيه وتفرقوا إلى منازلهم(١) .

وكانت بيعته يوم الجمعة لخمسٍ بقين من ذي الحجة.

خطبته بعد البيعة

كانت أول خطبة خطبها عليّ حين استُخلف بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال:

إنّ الله أنزل كتاباً هادياً يبينُ فيه الخير والشرَّ فخذوا بالخير ودعوا الشرّ، الفرائض أدوها إلى الله تعالى يؤدكم إلى الجنة ، إنّ الله حرّم حرماتٍ غير مجهولة

---

(١) - الكامل لابن الأثير ٩٨/٣، ٩٩.

وفضّل حُرمةَ المسلم على الحُرَمِ كلّها وشدّ بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، فالمسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل دم امرئ مسلم إلا بما يجب.

بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم وإن ما خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا تلحقوا فإنما ينتظر الناس أخراهم.

اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عزّ وجَلّ فلا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض.(١)

ثم رجع إلى بيته .

توزيع الولاة على الأمصار عام ٣٦هـ

وزّع عليّ عماله على الأمصار كالتالي :

البصرة : بعث إليها عثمان بن حنيف .

الكوفة : بعث إليها عمارة بن شهاب .

اليمن : بعث إليها عبيدالله بن عباس .

مصر : بعث إليها قيس بن سعد.

الشام : بعث إليها سهيل بن حنيف.

فامّا سهيل فإنه خرج حتى أتى تبوك فلقيتهُ خيلٌ فسألوه: من أنت؟ فقال: أميرٌ على الشام.

قالوا : إن كان بعثك عثمان فأهلاً بك وإن كان غيره بعثك فارجع.

قال : أوما سمعتم بالذي كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى عليّ .

وأما قيس بن سعد فإنه سار حتى أتى أيلة فلقيته خيل فقالوا له: من أنت؟ قال : من فالة عثمان ، فأنا أطلب من آوي أليه فأنتصر به لله. قالوا: من أنت؟ قال:

---

(١) – المرجع السابق ١٠٠.

قيس بن سعد . قالوا: امض. فمضى حتى دخل مصر. فافترق أهل مصر فرقاً، فرقةٌ دخلت في الجماعة فكانوا معه، وفرقة اعتزلت بـ خرنبا وقالوا: إن قُتل قتلة عثمان فنحن معكم. وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا .

وفرقة قالوا : نحن مع عليّ ما لم يقد من إخواننا وهم في ذلك مع الجماعة. وكتب قيس إلى عليّ بذلك[1] .

وأما عثمان بن حنيف فإنه سار حتى أتى البصرة و لم يرده أحدٌ عن دخولها و لم يجد لواليها من قبل عثمان عبدا لله بن عامر رأياً ولا استقلالاً بحربٍ وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة في الجماعة.

وأما عمارة بن شهاب فلما بلغ زُبالة لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بثأر عثمان وهو يقول : لهفي على أمر لم يسبقني و لم أدركه.

فلما قابله قال له طليحة: ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً فإن أبيت ضربتُ عنقك، فرجع عمارة إلى علي وأخبره الخبر.

وأما عبيد الله بن عباس فانطلق إلى اليمن فجمع بعلي بن أمية والي عثمان على اليمن كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال.

وهكذا اختلفت الأمصار على الولاة فمنهم من ردّ الوالي الجديد ومنهم من افترق عليه بشروط ومنهم من قبل به. وبذلك اتسعت رقعة الخلاف فسارت الأمور إلى طريق الفتنة .

---

(١) – ابن الأثير ج٣ ص٢٠١.

رسول معاوية إلى علي

بعد ثلاثة أشهر من مقتل عثمان أرسل معاوية رسولاً إلى الإمام علي هو قبيصة العبسي وعندما وصل الرسول إلى المدينة طلب الأمان من الإمام فأعطاه الأمان فقال الرسول إنّي تركت قوما لا يرضون إلا بالقود[1] .

قال الإمام علي : ممن ؟

قال الرسول : من خيط رقبتك ، وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق .

قال الإمام عليّ : أَمِنّي يطلبون دم عثمان ! ألست موتورا كِتِرَةِ عثمان؟ اللهم إنّي ابرأ إليك من دم عثمان !

نجا وا لله قتلة عثمان إلا أن يشاء ا لله فإنه إذا أراد أمراً أصابه، أخرج.

فقال الرسول : وأنا آمن.

قال الإمام علي : وأنت آمن [2] .

مقتل علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه [3]

اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم عبدالرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ، والبرك بن عبدا لله التيمي ، وعمرو بن بكر التميمي . وتذاكروا قتل إخوانهم من أهل النهروان وترحموا عليهم وقالوا : ماذا نصنع بعدهم ؟ فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا؟ فقال ابن ملجم : أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب . وقال البرك : وأنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص .

---

(١) – القود : القصاص .

(٢) – تاريخ الطبري ٤٤٤/٤، الإمام علي بن أبي طالب / د.الشيخ الأمين عوض ا لله ٦٣.

(٣) – البداية والنهاية ٣٢٦/٧ ، الطبري ١٤٤،١٤٣/٥ (بتصرف).

فتعاهدوا وتواثقوا با لله لا ينكص رجلٌ منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه.

فأخذوا أسيافهم فسمّوها وتواعدوا في اليوم السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ.

فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة وكتم أمره عن الخوارج الذين هُمْ بها حتى كانت الليلة التي واعد بها أصحابه جلس مقابل السدّة التي يخرج منها عليّ، فلما خرج وأخذ ينادي في الناس الصلاة الصلاة ضربه الشقي على قرنه وقال له: " لا حكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك ".

فأصابته الضربة وسال دمه على لحيته رضي ا لله عنه.

فقال : عليكم به، فشدّوا عليه حتى أخذوه . وحُمِلَ عليّ إلى منزله وحُمِلَ إليه ابن ملجم فأوقف بين يديه، فقال له علي : أي عدو ا لله ألم أحسن إليك؟ قال : بلى، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحاً وسألتُ ا لله أن يقتل به شرّ خلقه، فقال له علي لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلق ا لله، ثم قال: إن متُّ، فاقتلوه وإن عشتُ فأنا أعلم كيف اصنع به.(١)

وأما البرك فإنه قعد لمعاوية فلما خرج يصلي شدّ عليه بسيفه فوقع في إليته فعولج منها وشفي .

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص فلم يخرج وكان اشتكى بطنه فأمر خارجة بن حذافة وكان صاحب شرطته فخرج ليصلّي فشد عليه وهو يرى أنه عمرو فضربه فقتله. فقال عمرو : أردتني وأراد ا لله خارجه(٢).

---

(١) – الطبري ٥/ ١٤٧،١٤٨.

(٢) – المرجع السابق .

وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لما حضرت الوفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أوصى بهذه الوصية، أضعها لما فيها من معانٍ سامية ونصائح تنفع المسلم في دنياه وآخرته:

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ، ثم إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أُمرتُ وأنا من المسلمين .

ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني سمعتُ أبا القاسم ﷺ يقول : إنّ صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب ، الله الله في الأيتام ، فلا تعنوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم.

والله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم ﷺ ، ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه.

والله الله في القرآن ، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم.

والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم.

والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم يناظر.

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الربِّ ، والله الله في ذمة نبيكم ، فلا يُظلمنّ بين أظهركم .

والله الله في أصحاب نبيكم فإنّ رسول الله أوصى بهم. والله الله في القرآن والمساكين فأشركوهم في معايشكم ، والله الله في ما ملكت أيمانكم.

الصلاة ، الصلاة ، لا تخافنّ في الله لومة لائم يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي الأمر شراركم ، ثم تدعون فلا يستجابُ لكم.

وعليكم بالتواصل والتباذل ، وإيّاكم والتدابر والتقاطع والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم ، أستودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه[1] ودفنه ولده الحسن والحسين وابن أخيه عبدالله بن جعفر.

عمره ومدة خلافته

قتل علي بالكوفة في شهر رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة خلون منه سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر [2] .

موقعة الجمل

لم يكن في نيتي أن أذكر شيئاً عن هذه الموقعة والموقعة التي تليها وهي موقعة صفين لأن هاتين المعركتين تخرجان من إطار كتابنا هذا الذي يحوي الغزوات والمعارك الإسلامية التي وقعت بين المسلمين وغير المسلمين بينما الجمل وصفين معركتان نَتَجَتَا عن خلافٍ بين الصحابة واجتهاد في الرأي، لم يقصد أيُّ طرفٍ منهم أن تسيل الدماء بينهم ، إلا أني قرأت ذكراً لهاتين المعركتين في كتاب مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي[3] وضع فيه النقاط على الحروف وصحّحَ الكثير من معلومات الكُتّاب الذين

---

(1) - المرجع السابق .

(2) - المرجع السابق ١٤٣/٥ ، ١٥٢.

(3) - مختصر التحفة الاثني عشرية تأليف شاه عبدالعزيز الدهلوي تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب طباعة الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية - الرياض ص٢٧٥.

ذكروا هاتين المعركتين وأخذوا يكيلون التُهَمَ لهذا الطرف أو لذاك دون تدقيقٍ فرغبت في ذكر هذا الشرح لهاتين المعركتين دون أية إضافة:

لما قُتِلَ عثمان رضي الله عنه توجَّعَ المسلمون فسار طلحة والزبير وعائشة - وكان قد لقيها الخبر وهي مقبلةٌ من عمرتها - نحو البصرة ، فلما علم علي كرم الله تعالى وجهه بمخرجهم اعترضهم من المدينة لِئَلاّ يحدث ما يشقّ عصا الإسلام ، ففاتوه.

وأرسل ابنه الحسن وعماراً يستنفران أهل المدينة وأهل الكوفة، ولما قدموا البصرة استعانوا بأهلها وبيت مالها حتى إذا جاءهم الإمام كرم الله وجهه حاول الصلح واجتماع الكلمة وسعى الساعون بذلك (١) فثار قتلة عثمان وكان ما كان، وانتصر علي كرم الله تعالى وجهه وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى صلاة العصر لعشرٍ خَلَوْنَ من جمادى الآخرة .

ولما ظهر علي رضي الله تعالى عنه جاء إلى أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها فقال : " غفر الله لك " قالت : " ولك . ما أردتُ إلاّ الإصْلاح ".

ثم أنزلها دارَ عبدالله بن خلف (٢) وهي أعظمُ دارٍ في البصرة على سنية بنت الحارث أم طلحة الطلحات ، وزارها بعد ثلاثٍ ورحّبت به وبايعته وجلس عندها. فقال رجلٌ : يا أمير المؤمنين إنّ بالباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحدٍ منهما مائة جلدة وأنْ يجردهما من ثيابهما ففعل.

ولما أرادت الخروج من البصرة بعث اليها بكل ما ينبغي من مركبٍ وزادٍ ومتاع وأذن لمن نجا من الجيش أن يرجع إلا أن يحب المقام ، وأرسل معها أربعين امرأة، وسيّر معها أخاها محمد. ولما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي كرم الله تعالى وجهه فوقف على الباب وخرجت من الدار في الهودج فَوَدَّعَتْ الناس وَدَعَتْ

---

(١) - وعلى رأسهم القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه.

(٢) - هو والد طلحة بن عبدالله بن خلف وكان في معركة الجمل مع عائشة رضي الله تعالى عنهما.

لهم وقالت : " يا بني لا يغتب بعضكم بعضاً ، إنه وا لله ما كان بيني وبين علي بن أبي طالب رضي ا لله تعالى عنه في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه لمن الأخيار" فقال علي كرم ا لله تعالى وجهه " صَدَقَتْ ، وا لله ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة " وسار معها مودعاً أميالاً، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم، وكانت رضي ا لله تعالى عنها بعد ذلك إذا ذكرت ما وقع منها تبكي حتى تبلّ خِمارها [1] .

ثم ذكر ما يلي عن طلحة والزبير رضي ا لله عنهما فقال :

وأما طلحة والزبير رضي ا لله تعالى عنهما فلم يموتا إلاّ على بيعة الإمام كرم ا لله تعالى وجهه. أما طلحة فقد روى الحكم عن ثور بن مجزأة أنه قال : مررت بطلحة يوم الجمل في آخر رمقٍ فقال لي : من أنت ؟ قلت : من أصحاب أمير المؤمنين علي رضي ا لله تعالى عنه ، فقال : ابسط يدك أبايعك ، فبسطت يدي فبايعني وقال: هذه بيعة علي ، وفاضت نفسه. فأتيت عليا رضي ا لله تعالى عنه فأخبرته فقال : ا لله أكبر صدق ا لله تعالى ورسوله ﷺ أبى ا لله سبحانه أن يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتي في عنقه.

وأما الزبير رضي ا لله تعالى عنه فقد ناداه علي كرم ا لله تعالى وجهه وخلا به وذكّره قول النبي ﷺ له : لتقاتلن علياً وأنت له ظالمٌ، فقال: لقد أذكرتني شيئاً أنسانيه الدهر، لا جرم لا أقاتلك أبداً ، فخرج من العسكرين نادماً وقُتِلَ بوادي السباع مظلوماً وقتله عمرو بن جرموز . وقد ثبت عند الفريقين أنه[2] جاء بسيفه واستأذن على الأمير كرم ا لله تعالى وجهه فلم يأذن له ، فقال : أنا قاتل الزبير ، فقال: أبِقَتْلِ ابن صفية تفتخر ؟ سمعت رسول ا لله ﷺ يقول " بَشّر قاتل ابن صفية بالنار".

---

(١) – المرجع السابق ٢٧٦.

(٢) – اي عمرو بن جرموز.

وقد علق محب الدين الخطيب على موقف عائشة فقال : إنها اجتهدت وأصابت لأنها أرادت الإصلاح والتعاون مع أمير المؤمنين عليّ على إقامةِ حدود الله في القتلة والمجرمين ، والدماء التي سُفكت في وقعة الجمل كانت جريمة أخرى من جرائم قتلة عثمان لا يلحق منها شيء بعلي ولا بعائشة ومن معها ولو توفقوا إلى اقامة الحدود على قتلة عثمان لتغيّرت الحوادث بعد ذلك ولما وجدت الخوارج ولا الروافض[1] .

موقعة صفين

وأما تلخيص الواقعة الثانية فقد ذكر المؤرخون أنّ معاوية رضي الله تعالى عنه كان قد استنصَرَهُ ابنا عثمان رضي الله تعالى عنه وَوَكَلاَه في طلبِ حقهما من قتلة أبيهما ، فلما بلغه فراغُ علي كرم الله تعالى وجهه من وقعةِ الجملِ ومَسيْرِهِ إلى الشام خرج عن دمشق [2] حتى ورد صفين في نصف المحرم فسبق إلى سهولة المنزل وقرب من الفرات .

فلما ورد الأمير رضي الله تعالى عنه دعاهم إلى البيعة فلم يفعلوا ، وطلبوا منه قتلة عثمان – وكانوا قد انحازوا إلى عسكره ولهم عشائر وقبائل ومع هذا لم يمتازوا بأعيانهم – فمالَ رضي الله تعالى عنه إلى التأخير حتى يمتازوا ويتحقق القاتل من غيره، فأبى معاوية إلا تسليم مَنْ يزعمونه قاتلاً. وكثر القيلُ والقال حتى اتهم بنو أمية

---

(١) – المرجع السابق ٢٧٦ (الهامش).

(٢) – لما انتهى علي من حرب الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب ، أرسل جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية في دمشق يدعوه إلى طاعته ، فجمع معاوية رؤوس الصحابة وقادة الجيوش وأعيان أهل الشام واستشارهم في ما يطلب علي . فقالوا : لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان، أو يسلمهم إلينا. فرجع جرير إلى علي بذلك: فاستخلف علي على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر وخرج منها فعسكر بالنخيلة أو طريق الشام من العراق . وبلغ معاوية أن عليا تجهز وخرج بنفسه لقتاله هو أيضا قاصد صفين.

الأمير كرم الله تعالى وجهه بأنه الذي دلّس على قتلةِ عثمان رضي الله تعالى عنه، وكان كرم الله تعالى وجهه قد تصرّفَ بسلاح عثمان.

وكان الأمير كرم الله تعالى وجهه يلعن القتلة ويقول " يا معاوية، لو نظرت بعين عقلك دون عين هواك لرأيتني أبْرأُ الناسِ من قتلة عثمان ". وتصرفه رضي الله تعالى عنه بسلاحه لأنه كان من الأشياء الراجعة إلى بيت المال، وحُكْمَه إذْ ذاك كحكم المدافع في زماننا في أنّ حقَّ التصرفِ في ذلك للإمام.

ثم إنه قد وقع القتالُ بينهم مراراً وبقي كرم الله تعالى وجهه بصفين ثلاثة أشهر وقيل سبعة وقيل تسعة، وجرى ما تشيب منه الرؤوس وتهون معه حرب البسوس ، وليلة الهرير أمرها شهير ، وآلَ الأمرُ إلى التحكيم ، وحدث من ذاك ما أوجب ترك القتال مع معاوية واشتغالٍ بأمر الخوارج، وذلك تقدير العزيز العليم.

وأهل السنة إلا من شذّ يقولون: إنّ علياً كرم الله وجهه في كل ذلك على الحقِّ لم يفترق عنه قيدَ شبر ، وإن مقاتليه في الوقعتين مخطئون باغون وليسوا بكافرين خلافا للشيعة ، ولا فاسقين خلافا للعمرية أصحاب عمرو بن عبيد من المعتزلة. أما أنّ الحق مع علي كرم الله تعالى وجهه فغنيٌ عن البيان.

وأما كون المقاتل باغياً فلأن الخروج على الإمام الحقّ بغي ، وقد صح عنه ﷺ أنه قال : ويح عمار تقتله الفئة الباغية (١) وقد قتله عسكر معاوية. وقوله حين أخبرَ بذلك " قتله من أخرجه " مما لا يُلتفتُ إليه (٢) وإلا لصح أن يقال إن رسول الله ﷺ قاتلُ حمزة وأضرابَهُ ممن قُتِلَ معه ﷺ .

وكذلك قول مَنْ قال : المراد من الفئة الباغية الفئة الطالبة أي لدم عثمان، فلا يدل الخبر على البغي بالمعنى المذموم ، وأما كونه ليس بكافرٍ فَلِما في نهج البلاغة أن

(١) - ابن الأثير ج٣ص٣٢٦.

(٢) المرجع السابق ج٣ ص٣٨١-٣٨٢.

علياً كرم الله تعالى وجهه خطب يوما فقال : " أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة"، ولقوله تعالى ﴿ **وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُما عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَى تَفِيءَ إِلى أَمرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين**﴾[1] فسمى الله تعالى الطائفتين المقتتلتين "مؤمنين" وأمر بالإصلاح بينهما.

---

(١) - الحجرات : ٩ .

الفصل الثاني

المعارك في عهد الخليفة علي بن أبي طالب

رضي الله عنه


٢٧٠

الفصل الثاني

المعارك في عهده

في سنة ٣٧هـ بعثَ عليّ جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان بعد عودته من صفّين ، فانتهى إلى نيسابور ، وقد كفروا وامتنعوا ، فرجع إلى عليّ ، فبعث خليد بن قرة اليربوعي، فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مرو.

وفي سنة ٣٩هـ ولّى عليّ زياد كرمان وفارس، وسبب ذلك أنه لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على عليّ طمع أهل فارس وكرمان في كسر الخراج ، فطمع أهل كل ناحيةٍ وأخرجوا عاملهم وأخرج أهل فارس سهل بن حنيف ، فاستشار علي الناس فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجلٍ صلب الرأي عالم بالسياسة كاف لما ولي ؟ قال : من هو ؟ قال : زياد. فأمر علي بن عباس أن يولي زياداً فسيّره إليها في جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس ، وكانت قد اضطرمت، فلم يزل يبعث الى رؤوسهم بعد من ينصره ويمنيه ويخوّف من امتنع عليه وضرب بعضهم ببعض فدل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة ، فقتل بعضهم بعضاً، وصفّت له فارس ولم يلق منها جمعاً له.

ثم نزل اصطخر ، وحِصن قلعةٍ تسمى قلعة زياد قريب اصطخر . ثم تحصّن فيها بعد ذلك منصور اليشكري فهي تسمى قلعة منصور .

مبايعة الحسن بن علي

لما ضرب عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه قال له الناس : استَخْلِفْ يا أمير المؤمنين فقال : لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ - يعني بغير استخلاف

- فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيّركم بعد رسول الله ﷺ .

فلما توفي وصلّى عليه ابنه الحسن لأنه أكبر أبنائه ودُفِنَ، تقدم قيس بن سعد بن عبادة من الحسن فقال له:

أبسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده وكان ذلك يوم مات علي .

بقي الحسن في الخلافة ستة أشهر رأى خلالها تخاذل أصحابه فآثر الصلح ودعا معاوية إليه فوافقه وتنازل له في ٢٥ ربيع الأول عام ٤١هـ ودخل معاوية الكوفة فبايعه الناس . وانتقل الحسن والحسين إلى المدينة.

وبهذا صدق رسول الله ﷺ في قوله :

" إنّ ابني هذا سيدٌ ، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين".

المراجع

- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضري ، دار الاتحاد العربي .
- اخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر ، علي الطنطاوي ، ناجي الطنطاوي ، دار الفكر ١٣٧٩هـ.
- أشهر مشاهير الإسلام في الحروب السياسية : رفيق العظم ، دار الفكر ، القاهرة،١٩٧٣.
- الإمامة والسياسة ، الدينوري ، دار المعرفة ، بيروت.
- إمتاع الأسماع ، المقريزي ، القاهرة ، ١٩٤١.
- ايام العرب في الإسلام، محمد ابو الفضل ، علي محمد البجاوي ، ١٩٦١.
- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ١٩٧٨، دار الفكر .
- بين العقيدة والقيادة ، محمود خطاب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٢.
- تاريخ الإسلام السياسي ، د.حسين ابراهيم ، النهضة المصرية ،١٩٤٨.
- التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٤٠٤هـ.
- التاريخ الإسلامي العام ، د. علي ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٢.
- تاريخ الطبري ، دار سويدان ، بيروت .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ابن الأثير ، مكتبة الملواني ، بيروت ،١٣٨٩.
- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، د.محمد الوكيل ، دار المجتمع للنشر ، جدة ، ١٩٨٦.
- حياة محمد ، محمد حسنين هيكل ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٢.
- خاتم النبيين ، محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٢.
- الخلفاء الراشدون ، عبدالوهاب النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ.

- الخلفاء الراشدون، الأمين عوض الله ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٧.
- سيرة عمر بن الخطاب ، علي الطنطاوي ، ناجي الطنطاوي ، المكتبة العربية، دمشق، ١٣٥٥هـ.
- السيرة النبوية ، ابن هشام ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧.
- الصديق ابو بكر ، محمد حسنين هيكل ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٣هـ.
- صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، دار المعرفة ، بيروت.
- الصواعق المحرقة ، احمد بن حجر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.
- الطريق إلى المدائن ، أحمد عادل كمال ، ١٩٧٢.
- عثمان بن عفان ، محمد رضا ، القاهرة ، ١٣٨٣.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس ،دار المعرفة ، بيروت.
- غزوة بدر ، أحمد باوزير ، مكتبة طيبة ، ١٩٨٠.
- الفاروق عمر ، محمد حسنين هيكل ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ
- فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر ، دار المعرفة ، (تصوير).
- فتح العرب لمصر ، د.بتلر ، تعريب محمد أبو حديد.
- الفتنة الكبرى ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٧.
- فتوح البلدان ، البلاذري ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٧.
- فتوح الشام ، الواقدي ، المطبعة العثمانية ، ١٣٥٤هـ.
- فتوح الشرق ، احمد عادل كمال ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٤.
- فقه السيرة ، محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، مصر ،١٩٧٦.
- قادة فتح بلاد فارس ، محمود شيت خطاب ، دار الفكر ، ١٣٩٤.

- قادة فتح الشام ومصر ، محمود شيت خطاب ، دار الفكر .
- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الندوي ، دار الكتاب العربي ن بيروت.ن ١٩٦٥.
- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، محمد الخضري، دار المعرفة ، بيروت.
- مختصر التحفة الاثنى عشرية ، للدهلوي ، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية ، الرياض .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، المطبعة البهية ، ١٣٤٦.
- المغازي ، الواقدي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت.
- موسوعة التاريخ الإسلامي ، د.أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٧.
- موسوعة عباس العقاد الإسلامية ، دار الكتاب العربي، ١٩٧١.
- موسوعة فقه ابي بكر الصديق ، محمد رواس قلعه جي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٣.
- موسوعة فقه عثمان بن عفان ، محمد رواس قلعه جي .
- موسوعة فقه علي بن ابي طالب، محمد رواس قلعه جي.
- النجوم الزاهرة ، جمال الدين أبي المحاسن ، الهيئة المصرية ، ١٣٩٢هـ.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، محمد الخضري ، المكتبة التجارية ، مصر، ١٩٧٨.
- الوسيط في رسالة المسجد ، محمود خطاب ، دار القرآن ، بيروت ، ١٩٨١.
- ولاة مصر ، محمد يوسف الكندي ، دار بيروت ، ١٣٧٩هـ.



الغزوات والمعارك الإسلامية

يحوي هذا الكتاب «الغزوات والمعارك الإسلامية» على الغزوات والسرايا والمعارك التي حدثت خلال العهد الاسلامي الاول منذ عهد رسول الله ﷺ وحتى نهاية عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد ذكرت في بداية كل عهد نبذة موجزة عن صاحب كل عهد منذ ولادته وحتى وفاته ثم اتبعتها بذكر الغزوات والمعارك في عهده بصورة مشوقة تخدم كل الأعمار.

تمت مراجعة هذا الكتاب من قبل الأخوة الأفاضل

أ. د. محمد سليمان الأشقر	عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
د. سعد المرصفي	عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
د. عيسى شقرة	عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أ. د. عبدالستار أبو غدة	عهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما



